

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

ديوان أبي إسحاق الألبيري الأندلسي

(المتوفى نحو ٤٦٠ هـ)

محققه وشرحه واستدرك فائده
الدكتور
محمد رضوان اللايث



دار الفكر
دمشق - سورية

دار الفكر المقاصد
بيروت - لبنان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ديوان
أبي إسحاق الألبيري الأندلسي

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
ديوان
أبي إسحاق الألبيري الأندلسي

(المئذنة رقم ٤٦٠ هـ)

مفتي وشرحه واستدرك فائده
الدكتور
محمد رضوان اللايث

دار الفكر
دمشق - سورية

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان



الكتاب ٨٤٢
الطبعة الأولى ١٤١٠ هـ = ١٩٩١ م
جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل
والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق
إلا بإذن خطي من دار الفكر بدمشق

سورية - دمشق - برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد - ص.ب (٩٦٢)
برقياً: فكر - س.ت ٣٧٥٤ هاتف ٣٣٩٧١٧، ٣١١١٦٦ - تليكس FKR 411745 Sy

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
بسم الله الرحمن الرحيم

في التراث الأندلسي الشعري الباقي ديوان أبي إسحاق الإلبيري أحد أعلام القرن الهجري الخامس^(٥١). ويبرز هذا الديوان لونا من الشعر كان له شأن في هذه المدة وهو الدعوة إلى الزهد في ملذات الدنيا التي جذبت الأفئدة وغيّرت السلوك الإنساني، ثم إن الشاعر شارك في الدعوة إلى الإصلاح السياسي وإلى الجهاد في العدو. لقد كان رجل علم وعمل، ورجل قول وفعل. ونصب من نفسه مثالا أدار حوله كثيرا من أشعاره.

ويعدّ شعر الإلبيري وسلوكه الوجه الآخر للحياة في الأندلس في هذه المدة: فلم تكن حياة الناس كلها حياة ترف وبذخ وانسياق وراء ملذات الجسد وأهوائه؛ لقد وجدت الأصوات التي تنادي بالاعتدال، وتدعو إلى معادلة كفة الحياة، ووجدت

(٥١) ترجمة أبي إسحاق الإلبيري في: التكملة (لأن الأبار ١: ١٣٦، وبغية الملمس ٢١٠) رقم الترجمة ٥٢٠)، وترتيب المدارك للقاضي عياض: ٨٢٨، والمغرب لابن سعيد: ٢: ١٣٢، والروض المعطار (إلبيرة)،

ومواضع متفرقة من: الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين، ونفح الطيب للمقرّي، وأعمال الأعلام (أخبار دولة بني زيري).

ويُنظر مافي فهرسة ابن عطية، وفهرسة ابن خير، وبرنامج الوادي آشي، وأخبار وتراجم أندلسية: ١٣٥،

ومما فقد من تراجمه في الكتب المطبوعة مافي: صلة الصلة لابن الزبير (أخلّ به القسم المطبوع)، وسقطت ترجمته من نسخة الإحاطة المطبوعة. وغفل عنه صاحب الذخيرة.

واهتم بالإلبيري مؤرخو الأدب مثل بلانثيا في: تاريخ الفكر الأندلسي و إ. غ. غومث في مقدمته لطبعة الديوان، والدكتور إحسان عباس في عصر الطوائف والمرابطين، والدكتور عمر فروخ في تاريخ الأدب العربي، والزركلي في الأعلام.

وأجريت ذكره في كتابي: بحوث الأدب الأندلسي، والأدب العربي في الأندلس والمغرب، وخصصته بدراسة مستقلة (أبو إسحاق الإلبيري: زاهد الأندلس النادر).

الأمثلة الحية من أهل العلم والفقه ، ومن المتطوعين للجهاد والمُجاهدة ، ومن الذين
نبدوا الدنيا - كما كانت حالها آنذاك - وراء ظهورهم ونظروا إلى الآخرة ، وسَعَوْا لها
سَعْيَهَا .

ومن هنا اهتمت بديوان الإلبيري وأعدت النظر فيه ، وقدمته إلى قراء التراث
العربي ، ومحبي التراث الأندلسي والمغربي خاصة .

والحمد لله ربّ العالمين

أ . د محمد رضوان الداية

دوما - دمشق الشام في محرم الحرام ١٤١١

آب ١٩٩٠

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

حياة الشاعر وعصره

الشاعر صاحب الديوان هو : أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود بن سعد التُّجِيبِي واشتهر بالنسبة إلى مدينة البيرة ، فقليل فيه : أبو إسحاق الإلبِي ونُسبته كُتِبَ التراجم إلى كلِّ من : البيرة ، وغرناطة ، وحِصْن العُقَاب . هـ : الأمر أن أبا إسحاق من أهل حصن العقاب ؛ ويقال فيه رباط العقاب فيه وُلِدَ ونشأ ثم قصد إلى المدينة الكبيرة المجاورة ، حاضرة الكُورَة ، أعني (البيرة) فتلقَى مزيداً من علومه وثقافته فيها ، واستقرَّ فيها إلى أن أُخليت المدينة وانتقل أهلها إلى مدينة غرناطة . فهو إذن من العقاب (الحصن أو الرِّباط) ثم هو نزيل البيرة ؛ وساكنُ غرناطة ؛ ومن هنا قولُ الشاعر في قصيدته الطَّنَّانة في التحريض على ابن النُّغْيلة ورهطه : (القصيدة [٢٥] من هذا الديوان)

وإني احتللتُ بغرناطةٍ فكنت أراهم بها عابثين
وقد قسموها وأعمالها فمنهم بكلِّ مكانٍ لعينُ
فصارتُ حوائجنا عنده ونحنُ على بابهِ قائمونُ !

فقوله : « احتللتُ بِغَرْنَاطَة » أي نزلتُ بها ، وسكنتُ ، واتَّخذْتُها دارَ إقامة .

ونستخرج من أخبار أبي إسحاق ، وهي قليلة ، أنه وُلِدَ في حصن العقاب ، ونشأ فيها نشأته الأولى . ثم خرج إلى البيرة ، وما ندري أخرجَ في طلب العلم في فتوته المبكرة ليكون في رعاية بعض أقاربه في البيرة أم كان خروجه مع أهله إليها في نقلة شاملة ، لسببٍ من الأسباب . وفي هذه الحاضرة استقرَّ ، واستزاد من علومه ولقي الشيوخ وروى عنهم وتبحرَ في العلوم الشرعية : واشتهر بالفقه والقراءات القرآنية .

وكانت تُقلته إلى غرناطة فرصة أخرى للقاء العلماء ، ولاتخاذ مكانة بين الفقهاء ،
وطلبة العلم . وقد عَرَفنا من شيوخه : مُحَمَّد بن عبد الله بن أبي زَمْنين المتوفى سنة
٣٩٩ ؛ وكان من رؤوس فقهاء زمانه .

وفي نَسَبِ أبي إسحاق الإلبيري أنه تُجيبى ، من اليمَن من (تُجيب) . وقد ذكر
ابن حزم في جمهرة أنساب العرب أنَّ ديار تجيب بالأندلس في سَرَقُسطة ودرُوقَة وقلعة
أَيُوب . يعني : غَالِيَتهم ومُعظم جماعتهم . ووجَدْتُ في المنسويين إلى إلبيرة مَنْ هو من
تُجيب . فكانَ جماعة قليلة من هذه القبيلة سكنت كُورة إلبيرة ، أو نزحت إليها من
الشمال (ينظر جمهرة ابن حزم ٤٣٠ ، وصلة الصلة : ٤٦) .

ولد أبو إسحاق نحو سنة ٣٧٥ ، وهو من تلاميذ ابن أبي زمنين المتوفى سنة ٣٩٩ ،
وكان في هذه المدة في جملة الفقهاء (الشَّبَّان) يروي عن العلماء ، ويأخذ طريقه إلى
ممارسة الإقراء والتدريس والرواية والتعليم .

ولئن عرفنا من تلامذة أبي إسحاق - ومريديه - عدداً من الأسماء لقد غاب عنا
أسماء شيوخه إلا من ورد ذكره عَرَضاً . ولكنه - لاشك - لقي من العلماء الكبار في
عصرنا هض من الناحية العلمية والحضارية ، وفي ظلال الحركة الفكرية العظيمة التي
سعى لها بنو أمية عامة ؛ وعبد الرحمن الناصر لدين الله (ت ٢٥٠) وابنه الحكم
المستنصر (ت ٣٦٨) خاصة .

وفي هذه المدة التي عاصرها أبو إسحاق الإلبيري ظهرت شخصيات كبيرة مؤثرة
في الحياة الفكرية : العلمية والأدبية والفنية في الأندلس مثل ابن حزم الفقيه الظاهري
المعروف (ت ٤٥٦) وابن زيدون (ت ٤٦١) وابن شهيد (ت ٤٢٦ هـ) .

وظاهر أن أبا إسحاق ، انتقل إلى إلبيرة ، فاستوطنها إلى أن أدركها الخراب ، ثم
سكن غرناطة .

وفي البيرة تكوّنت شخصية أبي إسحاق ، وظهر بين أصحابه وأقرانه ونشر فيهم أوائل شعره ؛ وصار معروفاً لديهم بالشعر كعرفتهم إياه فقيهاً متميزاً بينهم . ومن يقرأ قصيدته في رثاء البيرة يتنبّه إلى درجة تعلقه بهذه المدينة ومعرفته بها ، وارتباطه نفسياً بذكرياتها وآثارها وأهلها . وفي هذه القصيدة (برقم [٢٠] في الديوان) يقول :

وكم بلغت فيها الأمانى وقُضيتْ لَصَبَّ لباناتُها ومآربُ
لَعُهدي بها مبيضة الليل فاغتدتْ وأيامها قد سَوَدَّتْها النَوائبُ

وينقضي زمانٌ على إقامته في غرناطة حتى نعرف أنّه عمل كاتباً لدى القاضي أبي الحسن عليّ بن توبة . وكان هذا القاضي قد تولى العمل لباديس بن حَبُوس الزيري صاحب غرناطة إثر توليه السُّلطة بعد أبيه سنة ٤٢٩ . ونعرف أيضاً أن أبا إسحاق رافق ابن توبة في رحلة سفارية إلى مدينة المَرِيّة في تلك السّنة نفسها ، قصد فيها إلى بلاط زُهير العامريّ ، ولقي - مع ابن توبة - أيضاً كاتبَ زهير : أبا جعفر أحمد بن عَبّاس بن أبي زكريّا الأنصاري .

طالت مدّة ولاية ابن توبة على القضاء ، فقد اشتهر منبر مسجد غرناطة الذي أشرف على صنعه سنة ٤٤٧ ؛ وإليه تُنسب قنطرة القاضي التي أقيمت على نهر حَدْرُو الذي يقطع مدينة غرناطة ، ويخرج عنها . « وما تزال أطلال هذه القنطرة باقية إلى اليوم وتحمل الاسم نفسه » . وكان ابن توبة حيّاً سنة ٤٥٠ .

وكانت علاقة الإلبيري بهذا القاضي وثيقة ، وكان به مُعْجَباً . ولكي نُنصف أبا إسحاق الإلبيري نذكر ما وُصِفَ به ابن توبة في تراجمه ، فقد قيل فيه إنه كان من قُضاة العَدْل ، ومن العُلَماء الجِلّة الفُقهاء . ومن هنا ، ومع أسباب الإلف والمودّة ، مدح أبو إسحاق هذا القاضي ، وأثنى عليه ، ودافع عنه . وما قاله فيه يعدّ نوعاً من الالتزام بمواقفه على جهة العموم .

ولا نعرف لأبي إسحاق مدحاً في رجلٍ آخر في ديوانه ، أو أخباره .

وفي هذه المدة - في أثناء إقامته بغرناطة - كثر أصحابه ، وتلامذته ، وقراء شعره والمستمعون إليه . وكان بعض شعره يُنشد ويُحتفل به ، كما كان شعره كله مما يتابعه الناس ويعجبون به .

ونقرأ في فهرسة ابن خير (٤١٨) أنه يروي قصيدة بديعة في الزهد بائية لأبي إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري رحمه الله ، قال : « حدثني بها الشيخ الفقيه أبو القاسم خلف بن هشام بن حسان الأموي الأشبوني رحمه الله ، قراءة مني عليه بمدينة شلب حرسها الله قال : حدثني بها الأستاذ أبو بكر محمد بن حسين بن عبادة البطليوسي رحمه الله قراءة عليه ، قال : قرأتها على الشيخ الزاهد أبي عبد الله محمد بن خميس اليابري ، قال : قرأتها على ابن أخت قائلها ، عن خاله رحمه الله » .

وعبارة « قصيدة بديعة في الزهد بائية » صوابها : تائية . وتكون الإشارة إلى القصيدة الأولى في الديوان . وقد نبه إلى ذلك ابن الأبار في التكملة (٣٠٢/١) وسماها : تائية .

وفي أسماء أصحاب أبي إسحاق ، ومريديه ، أبو محمد عبد الواحد بن عيسى بن سليمان الهمداني ، وكان فقيهاً جليلاً ، حافظاً للفروع ، حاز رياسة الفقه والشورى ببلده (غرناطة) وبه تفقه أكثر أهله (أي أهل بلده) واشتهر ذكره وعلاصيته (ت ٥٠٤) .

وفيه أبو حفص عمر بن خلف بن محمد الهمداني المعروف بابن قبال (ت ٥٠٢) وكان فقيهاً زاهداً فاضلاً مجاب الدعوة ؛ ولي الصلاة بجامع غرناطة إلى أن مات بها . وفيهم حفيده الذي سبقت الإشارة إليه .

وفيه ممن روى عنه قراءة معتمدة من القراءات القرآنية (برنامج الوادي أشي : ١٨٣) أبو محمد بن العسال الطليطلي ، ذكره ابن الأبار في ترجمة أبي إسحاق وقال فيه : « وسلك مسلكه أبو محمد بن العسال الطليطلي ؛ وكنا فرسي رهان في ذلك

الزمان صلاحاً وعبادةً » وكأنه غنى السَّير على منهجه في الزُّهد والعبادة والمسلك الاجتماعي أيضاً .

وقد اشترك ابن العسَّال مع أبي إسحاق في التنبية على المُشكلات الاجتماعيَّة الطارئة ، المسيطرة ، التي أدَّت إلى التقاعس والخمول والتضييع ، وفي الدَّعوة إلى الجهاد ومحاربة العدوِّ بلا هوادة ، وفي الدعوة إلى رفع الظلم عن الناس ، وفي الدَّعوة العارمة إلى الزُّهد ؛ وإنَّا يقصد الشاعر الفقيه الزاهد أولاً إلى تلطيف سلوك الناس المُندفعين إلى ملاذ الحياة وشواغلها وبهرجها والإشراف عليها في وقتٍ يتطلَّب التقشُّف ، والجهاد والمُجاهدة ، والجِدِّ .

أدرك الإلبيري من العُهود السياسيَّة ثلاثة ، وفي كل عهد أمراء ورؤساء وظروف مختلفة :

- فقد أدرك دولة العامريِّين بالأندلس ؛ أعني مدَّة تسلَّط محمد بن أبي عامر المتلقَّب بالحاجب المنصور ، ومدَّة ابْنِيهِ بعده .

- وأدرك مدَّة الفتنة حين نهض بنو أميَّة لاسترداد ماسلبهم إياه ابنُ عامر وأولاده من السُّلطة والقيام بشؤون الناس . وهي فترة امتدت من سنة ٤٠٠ إلى ٤٢٢ ، وكانت مضطربة ، ظهرت معها أوليات دول الطوائف التي اقتسمت الجسد الأندلسي الأموي الواحد . وكان ابنُ أبي عامر في مدَّته الطويلة قد أضعف العصبيَّة الأمويَّة خاصَّة والعصبيَّة العربيَّة عامَّة . وكانت ثمرة ذلك مرَّة .

- وعاصر مدَّة دول الطوائف ؛ ومات في أثنائها نحو سنة ٤٦٠ قبل انهيار الأندلس الكبير بسقوط طَلَيْطِلَة سنة ٤٧٨ هـ .

١ - حكم المنصور ابن أبي عامر نحواً من ٢٥ سنة ، كان الحاجب (والحاجب في الأندلس بمنزلة الوزير في المشرق) وكان الحاكم الفعلي ؛ وكان الخليفة آنذاك هشام بن

الحكم ولم يكن له غير الرّسم من الخطابة والنّقد ، والطاعة الاسمية . وحكم بعد المنصور ابنه عبد الملك (تلقّب بالمظفر) وكان في حكمة أبيه ودهائه (٣٩٢ - ٣٩٩) ثم جاء ابن المنصور الآخر : عبد الرحمن الملقب بشنّجول (كان حفيد شانجه ملك نباله) وكان أحق أهوج ، حمّل الخليفة الأموي على أن يجعل الخلافة فيه بعده .

٢ - تطورت الأحداث وحاول بنو أمية أن يعيدوا الملك فيهم على الحقيقة ولكنهم أخفقوا واحداً بعد واحد لظروف كثيرة منها غياب العصبية العربية التي كانت حماية لهم ، وتدخل البربر الذين وفدوا من إفريقية على الأندلس أيام المنصور العامري ، ثم تدخلوا في ترجيح كفة بعض الطامحين إلى الخلافة أو السّطنة إلى عوامل آخر يطول الوقوف عندها .

وكانت مدّة الفتنة هذه نكدة صعبة عسيرة لاقى منها النّاس شراً مُستطيراً . خربت معها الزّهاء والزّاهرة وتشوّهت معالم قرطبة ، وتغيّرت الموازين السياسية وتبدّلت قيم اجتماعية كثيرة ، وانهمك النّاس في أمور كانوا لا يؤغّلون فيها ، وشغلّتهم الدّنيا : بين توفير أدنى المطالب في هذه الظروف ، والانغاس فيها عند القادرين وعند أثرياء المرحلة !

٣ - وجلا عصرُ الفتنه عن سقوط دولة بني أمية ذات العز العظيم والمجد الغابر ، وظهور عدد كبير من الدويلات - تكبر وتنصغر - عرفت في التاريخ باسم دول الفِرَق أو دول الطوائف .

وكانت هذه المدّة من أشدّ عصور الأندلس غرابه ؛ فقد :

- ضَعُفت فيها الأمّة عن مواجهة عدوّها ، وصارت تنهوى عند رغباته وتنحني لمطالبه ؛

- وانتثر عقد الدولة الواحدة ، دولة الأمويين ، وصارت البلاد دويلات هزيلة تختلف

على العظام وعلى الصَّغائر ، وتمسَّح بأعتاب العدو لِيُزهَقَ بعضهم بعضاً ، وليكون هذا في مصلحة ذلك العدو ؛

- وأرهب ملوك الطوائف الناس لتتحقق لهم رغباتهم وأهواؤهم من جهة ، وليقدّموا ثمن سكوت ملك قشتالة وغيره - من ملوك الدول الشمالية المعادية - من جهة أخرى ؛

- وانغمس أولئك الحكّام - إلا القلة القليلة - في حياة بذخ وترف لا تُطيقها الرعية ولا تسمحُ بها ظروف البلاد والعباد ؛

- وأضاع معظم السياسيين والعسكريين رُشْمَ الجهاد ، وذهبت أَيْامُ العِزِّ ، وصارت كلمة الأندلسيين هي السُّفلى ، واستكلب العدو الذي كان قبل سنين قليلة مُستخدِياً ضعيفاً ؛

- وبدأ التراجع العربي الإسلامي عن أرض الأندلس . ويكفي أن نذكر سقوط طَلَيْطلة في يد ألفونسو السادس ملك قشتالة سنة ٤٧٨ ؛

- وأسَّهم الحُكّام الجُدُد - وأكثرهم لا يصلح لسياسة ولا لرياسة - في إفساد الذوق العام ، وفي غلبة الأهواء الشخصية ، والركون إلى النفاق السياسي ، والانغماس في الملذّات الآنيّة من مثل :

• الرّغبة العارمة في جمع المال وحياسة العقار ؛

• والتأنق الفائق في المأكّل والمشرب والملبس والسكن ؛

• والانغماس في ملذّات الجسد .

وقد بيّن ابن حزم معاصر أبي إسحاق الإلبيري مفاصد هذه المُدّة ، ومفاصد حُكّامها وأخطاءهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية (رسائل ابن حزم ٣٢/٣ - ٣٣) .

كان زاوي بن زيري زعيماً من زعماء صنهاجة ؛ وجَدّت معه ظروفٌ يطول شرحها دعتُه إلى مغادرة إفريقية والانحياز إلى جانب المنصور بن أبي عامر في الأندلس . وبعد فتنة شنجول بن المنصور واضطراب الأمور في الأندلس خرج زاوي عن قرطبة ؛ وسمع

إلى فئة من كبار أهل البيرة للسكنى بفئته معهم وحماية البلد من اضطرام الفتنة .
وهكذا نزل زاوي البيرة وصار أميراً عليها .

وما لبث أن اختار موقع غرناطة وكانت قرية صغيرة لتكون الحاضرة ، فوقعها
مكين ، ويسهل الدفاع عنه . وغادر أهل البيرة مدينتهم إلى غرناطة فعمرت هذه
وخربت تلك . وكان هذا سنة ٤٠١ .

وفي خبر آخر يترك زاوي الأندلس ويغادر إلى إفريقية ، ويحلّ محلّه في رئاسة
غرناطة وما صار تحت نظره من المنطقة : حَبُوس بن مأكْسِن . وكان هذا سنة ٤١٦ .

واستمر حبوس إلى سنة ٤٢٩ حيث تولى الحكم : باديس بن حَبُوس الذي استمر على
ولايته حتى ٤٦٩ ؛ ثم تولى حفيده عبد الله بن بلقين بن باديس . وعبد الله هو : الأمير
عبد الله الذي أذعن للمرابطين طوعاً . وله كتاب التّبيان : وفيه تسجيل لأحداث
زمانه - كما رآها وارتأها - وفيه ملامح عن شخصه أيضاً .

وفي زمن دولة باديس تولى أبو إسحاق الإلبيري الكتابة للقاضي أبي الحسن بن
توبة مدّة غير قليلة (لانعرف كم هي تحديداً) . وباديس هو المعنيّ بقصيدته الشهيرة
التي على النون : (القصيدة ذات الرقم [٢٥] من الديوان)

ألا قُلْ لصنْهاجَةٍ أَجْمَعِينَ بدور النديّ وأسدّ العرين

والتي أسهمت إسهاماً قوياً في الثّورة على الوزير المتسلّط المتآمر على الأمير نفسه ، وعلى
أسرته ، وعلى أهل غرناطة : يوسف بن إسماعيل بن النغريلة .

ولقصيدة أبي إسحاق قصّة ؛ وهي قصّة موصولة بيوسف بن إسماعيل بن
النغريلة . ولهذا الوزير اليهوديّ خبَرٌ يطول في دولة باديس بن حَبُوس الذي أسلم إليه
قياد دولته ، حتى ظلم وطني ، ودعا الناس إلى الثّورة عليه والإطاحة به !

كان لحبوس كاتب بارع يُعرف بأبي العباس . وكان لهذا الكاتب - الذي له مهمّة

الوزير وصلاحيته - كاتب آخر يساعده ويقوم بالشؤون الديوانية التي يكلفه بها أبو العباس هو إسماعيل بن النغيلة اليهودي . فلما توفي أبو العباس أقام حبوس أحد أولاده مكانه ، وكان فتى غراً قليل المتابعة للأعمال الإدارية ... فمكّن ابن النغيلة لنفسه ، وطرح الفتى الكاتب وراءه ، وصار هو في مكانة الكاتب الرئيسي (الوزير الذي يدير شؤون الدولة) .

وذكر الأمير عبد الله الأسباب التي دعت جدّه باديس إلى الاستنامة إلى ابن النغيلة ، وقال إنها تتلخّص في أمور : (التبيان : ٣١ - ٣٢)

- فقد كان كيساً يحسن فن المُدَاراة للناس ممّا يُناسب ذلك الزّمان ؛
- وهو يهودي لا تطمح نفسه إلى الولاية والاتقضاض على صاحب الدولة ؛
- وهو ليس من الأندلسيين فيخشى باديس منه أن يتفق مع سلطان من ملوك الطوائف ؛
- وهو قادر على الجباية ، وخصوصاً من بني جلدته .

وهذه الأسباب - وإن كانت تسوّغ صنيع باديس بمعايير سياسيّة خاصّة به - هي أسباب واهية ؛ وتجرّع الناس تسلط ابن النغيلة وتمكينه لقومه تدريجاً بصعوبة بالغة .

فلما مات خلفه ابنه يدعى يوسف . وكان يوسف أقلّ من أبيه في الدهاء والمكر والقدرة على المُدَاراة . فقد وُصف الأب بالبراعة في الوصول إلى ما يريد والكياسة في التعامل مع الناس - ولو ظاهراً - ولكنه من جهة ثانية مكّن لليهود في المناصب الماليّة والإدارية ، وجعل لهم صولة وجولة . وكان لابن حزم مناقشة معه ، ولم يثبت ابن النغيلة (الأب) عندها ؛ وانكشف عوّاره .

أمّا يوسف بن إسماعيل فكان إلى طغيانه ، وتأريشه ، وتأمّره على بيت باديس مظاهراً بحاله ، متورّطاً في الخوض في مسائل الإسلام ؛ وله كتابٌ تورّط فيه يوسف في

الكلام في مسائل إسلامية ، تصدى له عدد من العلماء فردّوا عليه وبيّنوا ضعفه وتهافته ؛ وفيهم الإمام ابن حزم في كتابه المطبوع : الردّ على ابن النغريلة (تنظر الطبعة الثانية بتحقيق الدكتور إحسان عباس في أول الجزء الثالث من مجموع رسائل ابن حزم) . وقد كشف ابن حزم عن جهل ابن النغريلة وتطاوله وطغيانه .

وتابع يوسف دسائس أبيه السّرية ، ولكنّه - لبَطْرِ فيه وأشر - تورّط في قتل بلقين بن باديس وألصق التهمة بعدد من رجال الحاشية ؛ (قتله مسموماً سنة ٤٥٦) . وتورط أيضاً في مؤامرة عقدها مع المعتصم بن ضامح صاحب المريّة سنة ٤٥٩ ، وكادت المؤامرة تتمّ لولا عيون خصوم يوسف بن النغريلة - وهم كثر - وهياج الشعب ضده ؛ وكان على رأس الناقين على تسلط هذا الوزير السيء : الفقيه الأديب أبو إسحاق الإلبيري ، وفعلت قصيدته في الناس فعل النار في المشيم وردّتها الألسنة ؛ قال لسان الدين بن الخطيب (أعمال الأعلام - قسم الأندلس : ٢٣١) : وحفظت القصيدة المنسوبة إلى المولى العابد أبي إسحاق الإلبيري رضي الله عنه التي يقول فيها مخاطباً باديس ومحرضاً على اليهودي (ورواية الشعر هنا له) :

ألا قل لسنهاجة أجمعين	بدور الزمان وأسد العرين
مقالة ذي مقبة مشفق	يعدّ النصيحة زلفى ودين
لقد زل سيّدكم زلّة	تقرّ بها أعين الشامتين

وانتهى أمر يوسف بأن قتلته العامة في ثورتها العارمة ، وتخلص الناس من مكايده ، وفساده ، وتخريبه . وكان ذلك سنة ٤٥٩ (قال لسان الدين : وقيل سنة ٤٦٥) .

وفي ديوان الإلبيري قطعة أنشدها في حصن العقاب : يقول فيها :

ألقت العقاب حذار العقاب وعفت الموارد خوف الذئاب

ويرجح أنه قالها في المدة التي نفي فيها عن البيرة ؛ نفاه الأمير باديس بتحريض من وزيره ابن النغريلة . وواضح أن يوسف بن النغريلة أزعجه من الشيخ الوقور ذي الكلمة المسموعة من الناس أن يحرض عليه ، ويكشف عواره ، ويدعو الناس إلى الثورة عليه .

وليس لدينا تاريخ معروف لنفي أبي إسحاق ، وأرجح أن يكون بعد وفاة القاضي ابن توبة الذي كان حماية له ولغيره من الفقهاء المتنورين . ويقوى عندي أن يكون هذا بعد مقتل بلقين على يد النغريالي حين اضطرب وساء ظنه بكل أحد يمكن أن يكون من المعارضة المسموعة .

ولا تعين كتب التراجم سنة وفاته ، ولكن وقع تقديرها في حدود سنة ٤٦٠ ، قال ابن الأبار في التكملة (١ : ١٣٧) : توفي في نحو الستين وأربع مئة .

لقد كان أبو إسحاق الإلبيري فقيهاً عالماً ، حذر وأنذر ودعا الناس إلى نقد الذات والعودة إلى طريق الله تعالى بعيداً عن الإسراف في ملاذ الدنيا الزائلة ، ودعا إلى محاربة العدو والوقوف صفاً واحداً ؛ وكان تركيزه على ذم الدنيا مناسباً للأحوال الاجتماعية في زمان اضطربت المعايير فيه ؛ وانغمس الناس في دنياهم : من كان ذامال فإنه يطلب المزيد ويسرف في الشهوات ، ومن قصرت حاله جعل همه في دنيا يصيبها على أية حال . ومن هنا كان زهد الإلبيري وتزهيده الناس وذمه للدنيا هو محاولة صارخة لتعديل الكفة المرجوحة مع الأخرى الراجحة ؛ محاولة للإصلاح الاجتماعي انطلاقاً من النفس ، من داخل الإنسان ووجدانه .

لقد خفيت هذه المقاصد والمعاني عن المستشرق دوزي الذي ناصب الإلبيري العداء وقال فيه كلاماً عجيباً هو إلى الذم أقرب منه إلى أي درس وبحث .

وخفيت أيضاً عن المستشرق إميليو غارثية غومز ناشر الطبعة الأولى من الديوان . وكان قد قدم للديوان بدراسة ، ترجمها الدكتور : الطاهر أحمد مكي في كتاب (مع

شعراء الأندلس والمنتبي) . وليس من الإنصاف أن يجري الأستاذ غومز مقارنة بين الإلبيري وابن حزم - وهما متعاصران - فإن لكل واحد منهما أفقاً مستقلاً . يقول غومز في الإلبيري (ص ١١٧ - ١١٨ من الترجمة) :

« ... هكذا تقدّم لنا هذه القصائد صورة فقيه إسباني - يريد : أندلسي - لآخرين كثيرين لعبوا دوراً مهماً في التاريخ الثقافي والسياسي للأندلس الإسلامي كانوا أصحاب الأمر والنهي خلال الإمارة الأموية ، يلاحقون الذين يحاولون جلب العلوم الشرقية ويضعون أمامهم العراقيل . وكانوا هم الذين أوقفوا تقدّم العلوم في ظل الخلافة وهي في أوج ازدهارها ، وكانوا دُمى يلعب بها المنصور ويحركها فحطموا مكتبة الحكم الثاني الهائلة ، وكانوا أعداء الدّاء لحضارة ملوك الطوائف البهيجة المصقولة المتحرّرة ... وكانوا هم الذين حاولوا فيما بعد أن يطوّقوا الازدهار الفلسفي العظيم ذا الطابع الهيليني على أيام الموحّدين ... » إلى آخر ما قال ممّا لا يصحّ تعميمه على هذه الصّورة ، ولا يصحّ تطبيقه على أبي إسحاق الإلبيري !

على أنه يقول في آخر كلامه (ص ١١٨) :

إن أبا إسحاق الإلبيري ، في نطاق ثقافته ، ومع جفاف قلبه المُدمّر وشموخه بالعفة وعناده الذي يُخفي هَوَات عديدة (كذا وردت) ومنطقه الثّرثار المليء بالقوّة ، وبغضه للشعراء ، وبقصيدته التي تشتعل توهجاً ضدّ اليهود ، والتي استطاع بها أن يلهب غرناطة ليس بأقل من أي واحد منهم وإنه لجدير بأن يحتلّ مكانه في الصف الأول من الشعراء .

وهذا - وإن أدّى إلى الاعتراف بأبي إسحاق شاعراً متقدّماً - يدلّ على ضعفٍ في فهم مسلك الشاعر وموقفه ، وعلى منهج مضطرب في رؤية أحداث الأندلس ومجرياتها ، وفيه متابعة قائمة على الاستهواء لآراء دوزي ، وفيه ميل شديد وازورار عن الفقهاء والزهاد والعُبّاد ؛ وهو ميل يُفسد الرأي ويذهب بالموضوعيّة .

يَتَغَفَّرُ الزَّامِدُ
أَبِي إِحْمَادٍ بِاسْمِهِ تَزِيْدُ
الْأَلْبِيْرِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

صورة غلاف الديوان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّيْ اللَّهَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ
 قَالِ الْقَبِيحِ الرَّاهِزِ أَبُو اسْتَبَو
 سَلَامُكَ بِمَنْ تَقْتَضِيهِ الْإِلَهِيَّةُ وَرَحْمَةُ

اللَّهِ عَلَيْهِ
 ثَبَّتْ فَوَاءَهُ الْإِلَهِيَّةُ فَتَلَا وَتَبَيَّنَتْ حُسْنُهُ الْمُسْلِمَانِ غَضَبُ
 وَتَرْغُوبُ الْمُتَوَكِّلِ غَمٌّ وَصَرٌّ كَلَامٌ صَاحِبٌ أَشْهَارُ بَدَأَتْ
 أَرْأَتْ عَيْنَهُ مَعْلُومَاتُ الْغَنِيِّ الْخَطْلُ فَهَذَا الْإِحْتِمَالُ بَشَرًا
 تَتَمُّمُ الزَّمَنُ وَنَحْنُ فِي عَيْلَةٍ بِمِثْلِهَا أَمَّا أَنْتُمْ فَتَسْتَلِ
 وَتَمُوتُ فَتَنْتَحِزُّ رُوحٌ وَحَقٌّ مَعَ لَا تَرْغُوبُ عَنْهَا وَحَقٌّ
 أَنْ يَحْرَمَ عَزْوَةً لَوْ أَشْتَرَا لَمْ يَبِهِ خَطْلُهَا أَنْ تَعْلَمَ
 إِنْ عَمَّ تَكُونُ بِإِمَامَةٍ فَدَعَا أَنْ تَقْبَلُ وَإِنْ أَمْرٌ
 دَخَلُوهُ بِغَنِيَّةٍ مِنْ عَشَائِهِ وَتَهْدِيَةِ الشَّيْخِ إِيَّاهُ صَلَاحُ
 وَتَحْمِلُ مَعَهُ بِتَرْبِيَةٍ تَأْتِي وَتَحْمِلُوهُ الْجَمَالَ زَائِدًا الْغَنِيَّةُ تَتَنَا
 لَهُ لَدَعُهُ تَأْتِي مَعَهُ وَتَنْعَمُ دَخْلُهُ لَكِنْ إِنْ تَمُوتَ
 هُوَ الْغَضَبُ الْهَيْئَةُ يَنْتَهِزُ تَقْضِيَةُ نَفْسِهِ نَفَائِلُ مِنْ حُرْمَتِهِ
 وَحَقٌّ لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ يَحْرَمُ خَلْقًا الْخَطْلُ يُوجِزُ خَيْرًا طَفِيفًا
 يَقْضِيهِ الْإِنْفَاقُ مَعَهُ وَتَقْضِيَةُ الزَّمَنِ تَقْدِيرُهُ
 فَتَلَا فَتَلَا خَلْقًا كَقَدْرٍ الْغَنِيَّةُ وَالْغَنِيَّةُ تَسْتَلِ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
ديوان
أبي إسحاق الألبيري
الأنثكشي

حققه وشرحه واستدرك فائته
الدكتور محمد رضوان الداية

بسم الله الرحمن الرحيم

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
صلى الله على سيدنا محمد وآله

[١]

قال الفقيه الزاهد أبو إسحاق إبراهيم بن مسعود الإلبيري ، رحمة الله عليه :

[في القصيدة خطاب وعتاب ومحاوراة مع مَنْ دعاه (أبا بكر) .
وكان هذا الرجل قد ذكر بعض معائب الشاعر ، وبلغه ما قال . وقد
جعل الشاعر هذا المنطلق فرصة لبسط آرائه في العلم والتقوى والتوبة
ونبذ الدنيا ؛ وإشارة إلى مقالة أبي بكر فيه ، وتجاوزاً لها في الوقت
نفسه . واختلط الحديث بين توجيه أبي بكر هذا والحديث عن النفس
من منطلق لوم الذات (من التحرج المستمر) وتضخيم الهفوات ، وإعلان
الخضوع المطلق لله تعالى .

بدأ الشاعر القصيدة بالكلام على غفلة الإنسان عما تصنعه آلة
الزمن في بني آدم (١ - ٥) ودعا أبا بكر - والخطاب عام - إلى العلم
النافع (٦ - ١٠) وبين منزلة العلم وحلاوته (١١ - ١٩) وأن الإنسان
مسؤول عن علمه والعمل به وعن جهله لوجهل (٢٠ - ٢٧) وسفه من
يفضل المال - وما يلحق به - على العلم (٢٨ - ٤٤) وهون شأن الدنيا
(٤٥ - ٥٤) فهي عَرَضُ فاني ، ودعا إلى الجد - دون الهزل - وإلى التوبة
والخضوع لله تعالى (٥٥ - ٦٠) وتمجيل التوبة (٦١ - ٦٥) وجعل
نفسه مثلاً يتحدث عنه (٦٦ - ٦٩) وعاد إلى خطاب أبي بكر ، وحذر

من الإخلاد إلى الدنيا ومن نسيان الآخرة (٧٠ - ٨١) وإلى تذكر يوم الحساب (٨٢ - ٨٦) .

وخرج إلى اعتراف عام بالذنوب وسرد لمعايب الإنسان المقصر (٩٧ - ٩٩) وإلى نصائح عامة أخلاقية . في الحذر من رفاق السوء وأهل الجهل : ودعا إلى إباء الضيم ، وإلى الضرب في الأرض الواسعة سعياً وراء ذلك] .

[من الوافر]

- ١ تَفَتُ فَوَإِذَكَ الْإِيَّامُ فَتًّا وَتَنَحَّتْ جِسْمَكَ السَّاعَاتُ نَحْتًا
- ٢ وَتَدْعُوكَ الْمُنُونُ دُعَاءَ صِدْقٍ: أَلَا يَا صَاحِبَ: أَنْتَ أَرِيدُ، أَتْنَا!
- ٣ أَرَاكَ تُحِبُّ عِرْسًا ذَاتَ غَدْرِ أَبَتْ طَلَقَهَا الْأَكْيَاسُ بَتًّا
- ٤ تَنَامُ الدَّهْرَ وَيَحْكُ فِي غَطِيطٍ بِهَا حَتَّى إِذَا مِتَّ انْتَبَهَتْ
- ٥ فَكَمْ ذَا أَنْتَ مَخْدُوعٌ وَحَتَّى مَتَى لَا تَرَعَوِي عَنْهَا وَحَتَّى؟

(٣) العِرسُ : امرأة الرجل (وتقال أيضاً لرجل المرأة فيها عرسان) .

ويقال : أَبَتْ الطلاق بَتَّةً وإبتاتا : أوقعه باتاً . أما البتُ فصدر فعل بَتَ : يقال : بَتَ الطلاق أي أوقعه ثلاثاً باتاً . وفي نهج البلاغة بتحقيق الدكتور صبحي الصالح رحمه الله : « يادنيا ! يادنيا ! إليك عني : أبي تعرّضت ؟ أم إليّ تَشَوَّفُ ؟ لا حان حينك ! هيهات ! غري غري ، لا حاجة لي فيك ! قد طلقتك ثلاثاً لارجعة فيها ! » .

(٤) يقال : غَطَّ النَّامُ غَطًّا وَغَطِيطاً أي : شخّر وسَمِعَ له غَطِيط ، وفي « كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس » (٣١٢/١) عند ذكره الكلام المشهور : (الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا) مانصّه : « هو من قول علي بن أبي طالب ؛ لكن عزاه الشعراني في الطبقات لسهل التستري ولفظه في ترجمته ، ومن كلامه : الناس نيام ، فإذا ماتوا انتبهوا ، وإذا ماتوا ندموا ، وإن ندموا لم تنفعهم ندامتهم » .

(٥) يقال ارعوى عن كذا أي : كفّ وحسّن رجوعه عنه .

- ٦ أبا بكرٍ دَعَوْتُكَ لَوْ أَجَبْتَا إلى مافيهِ حَظُّكَ إِنْ عَقَلْتَا
٧ إلى عِلْمٍ تَكُونُ بِهِ إِمَاماً مُطَاعاً إِنْ نَهَيْتَ وَإِنْ أَمَرْتَا
٨ وَتَجَلَوْا مَابَعَيْنِكَ مِنْ عَشَاهَا وَتَهْدِيكَ السَّبِيلَ إِذَا ضَلَلْتَا
٩ وَتَحْمِلُ مِنْهُ فِي نَادِيكَ تَاجاً وَيَكْسُوكَ الْجَمَالَ إِذَا اغْتَرَبْتَا
١٠ يَنَالُكَ نَفْعُهُ مَادُمْتَ حَيّاً وَيَبْقَى ذُخْرُهُ لَكَ إِنْ ذَهَبْتَا
١١ هُوَ الْعَضْبُ الْمُهَنْدُ لَيْسَ يَنْبُو تُصِيبُ بِهِ مَقَاتِلَ مَنْ ضَرَبْتَا
١٢ وَكَثْراً لَا تَخَافُ عَلَيْهِ لَصّاً خَفِيفَ الْحَمْلِ يُوجَدُ حَيْثُ كُنْتَا
١٣ يَزِيدُ بِكَثْرَةِ الْإِنْفَاقِ مِنْهُ وَيَنْقُصُ أَنْ بِهِ كَفّاً شَدَدْتَا

(٦) (أبو بكر) كنية المخاطب المباشر في القصيدة ، وقد نبّه إليه مرة أخرى في القصيدة (انظر البيت ٨٧ وما قبله وما بعده) ، وجعل الحديث إليه وسيلة لبسط آرائه ومواقفه . ولم نهتد إلى المخاطب بهذه الكنية في القصيدة . لم أهتد إليه يقيناً ؛ ولعله أبو بكر بن الحاج المخاطب بالقصيدة [٣١] من هذا الديوان . ويدل البيت ٨٩ هنا على أن أبا بكر قد هجاه .
(٨) العشا : ضعف البصر . ونذكر هنا بعض قصيدة أبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري الأندلسي (يتيمة الدهر ١٠٢/٢) :

واعلم بأن العلم أرفع رتبة وأجل مكتسب وأسمى مفخر
فاسلك سبيل المقتنين له تسد إن السيادة تقتني بالدفتر
والعالم المدعو خيراً إنما سماه باسم الخبر حملُ المخبر !

وقصيدة عبد الملك هذه من عيون شعر الحكمة .

(١١) العَضْبُ : السيف القاطع ، والمُهَنْدُ : السيف ؛ وأصل معناه من هَنَدَ السيف أي شحذه ، أو هو منسوب إلى الهند (المطبوع من حديد الهند) .

(١٢) في شعر الشافعي رضي الله عنه (ديوانه : ١٠٠)

عِلْمِي مَعِيَ حَيْثُمَا يَمْتُ كَانَ مَعِيَ قَلْبِي وَعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِ
إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ !

(١٣) في الأصل (أن) ، كما هو مثبت ؛ والشرط في الجملة عندي مقبول .

- ١٤ فلو قد ذُقتَ مِنْ حَلَوَاهُ طَعْمًا لَا تَرْتِ التَّعْلَمَ وَاجْتَهَدْتَ
- ١٥ وَلَمْ يَشْغَلْكَ عَنْهُ هَوَى مُطَاعٍ وَلَا دُنْيَا بِزُخْرُفِهَا فُتِنْتَ
- ١٦ وَلَا أَلْهَاكَ عَنْهُ أُنِيقُ رَوْضٍ وَلَا خِدرٌ بِرَبْرَبِهِ كَلَفْتَ
- ١٧ فَقَوْتُ الرُّوحَ أَرْوَاحَ الْمَعَانِي وَلَيْسَ بِأَنْ طَعِمْتَ وَأَنْ شَرِبْتَ
- ١٨ فَوَاطِئُهُ وَخُذْ بِالْجِدِّ فِيهِ فَإِنْ أَعْطَاكَهُ اللَّهُ أَخَذْتَ
- ١٩ وَإِنْ أُوتِيتَ فِيهِ طَوِيلَ بَاعٍ وَقَالَ النَّاسُ إِنَّكَ قَدْ سَبَقْتَ
- ٢٠ فَلَا تَأْمَنْ سَوْأَ اللَّهِ عَنْهُ بِتَوَيْخٍ : عَلِمْتَ فَهَلْ عَمِلْنَا ؟
- ٢١ فَرَأْسُ الْعِلْمِ تَقْوَى اللَّهِ حَقًّا وَلَيْسَ بِأَنْ يُقَالَ : لَقَدْ رَأَسْتَ
- ٢٢ وَضَافِي ثَوْبِكَ الْإِحْسَانُ لَا أَنْ تُرَى ثَوْبَ الْإِسَاءَةِ قَدْ لَبِسْتَ

(١٦) الجِدر (بالكسر) ستر يُمدُّ للجارية في البيت ؛ وكلُّ ما وارك من بيت ونحوه . والرَّبرب : القطيع من بقر الوحش . شبه النساء الجميلات بالبقر الوحشي .

(١٨) في الأساس : وَظَبَّ عَلَى الْأَمْرِ ، ووَاطَبَ عَلَيْهِ ، وقول الشاعر : (وَاطِئُهُ) - أي : تعدية الفعل إلى المفعول - لم يرد في كتب اللغة ؛ ولا أعرفه في آثار الأدباء ..

(٢٠) في كشف الحفا (لاترول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع : شبابه فيما أبلاه ، وعن عمره فيما أفناه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن علمه ماذا عمل به) . رواه الطبراني ورواه الترمذي (٣٧٨/٢) . وفي سنن الدارمي (٨٢/١) عن أبي كبشة السلولي قال : سمعت أبا الدرداء يقول : إن من أشَرَّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة عالمٌ لَا يُتَنَفَّعُ بعلمه .

(٢١) في حديث ابن مسعود رضي الله عنه : رأس الحكمة مخافة الله تعالى (الفتح الكبير : ١٢٢/٢) .

(٢٢) روى ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر » ، قال رجل : إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنًا ! قال : « إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ ؛ الْكِبَرُ : بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ » .

- ٢٣ إذا مَالَمْ يَفِدْكَ الْعِلْمُ خَيْرًا فَخَيْرٌ مِنْهُ أَنْ لَوْقَدْ جَهَلْتَا
 ٢٤ وَإِنْ أَلْقَاكَ فَهْمُكَ فِي مَهَاوٍ فَلَيْتَكَ - ثُمَّ لَيْتَكَ ! - مَا فَهِمْتَا
 ٢٥ سَتَجْنِي مِنْ ثَبَارِ الْعَجْزِ جَهْلًا وَتَصْغُرُ فِي الْعِيُونِ إِذَا كَبُرْتَا
 ٢٦ وَتَفْقَدُ إِنْ جَهَلْتَ وَأَنْتَ بَاقٍ وَتُوجَدُ إِنْ عَلِمْتَ وَقَدْ فُقِدْتَا
 ٢٧ وَتَذْكُرُ قَوْلَتِي لَكَ بَعْدَ حِينٍ وَتَغْبِطُهَا إِذَا عَنَّا شَغِلْتَا
 ٢٨ لَسَوْفَ تَعْضُ مِنْ نَدَمٍ عَلَيْهَا وَمَا تُعْنِي النَّدَامَةُ إِنْ نَدِمْتَا
 ٢٩ إِذَا أَبْصَرْتَ صَحْبَكَ فِي سَمَاءٍ قَدْ ارْتَفَعُوا عَلَيْكَ وَقَدْ سَفَلْتَا
 ٣٠ فَرَاغِهَا وَدَعْ عَنْكَ الْهُوَيْنِي فَمَا بِالْبُطءِ تُدْرِكُ مَا طَلَبْتَا
 ٣١ وَلَا تَحْفِلْ بِمَالِكَ وَالْهَ عَنهُ فَلَيْسَ الْمَالُ إِلَّا مَا عَلِمْتَا
 ٣٢ وَلَيْسَ لَجَاهِلٍ فِي النَّاسِ مَعْنَى وَلَوْ مُلْكُ الْعِرَاقِ لَهُ تَأْتَى

(٢٣) في الدعاء المشهور : « إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ » وفيه « سلوا الله علماً نافعاً » و « اللهم إِنِّي أَسْأَلُكَ علماً نافعاً » .

(٢٥) كَبُرَ (بضم الباء) : عَظُمَ ، وهو يريد معنى التكبر والتعظيم .

(٢٧) تغبطها : أي تتغنى الحصول عليها (بعد تضييعها أو التشاغل والانشغال عنها) .

(٢٩) في سماء : أي في منزلة عالية (مادياً ومعنوياً) .

(٣٠) الهويني : التؤدة والرفق والسكينة والوقار .

(٣١) ينبه الشاعر السامع والقارئ على ما في القرآن الكريم من صفة المال في بعض الآيات التي ورد فيها

ذكر المال : قال تعالى في سورة الأنفال (٢٨/٨) : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ .

وفي سورة سبأ (٢٧/٢٤) ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى ﴾ . وفي سورة

المنافقون (٩/٦٣) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ .

(٣٢) ضرب المثل بـ (ملك العراقين) لما هو واسعٌ كثير من السلطة والملك ، ومنه قول

أبي الطيب :

وغير كثير أن يزورك راجلٌ فيرجع ملكاً للعراقين والياً !

- ٣٣ سَيَنْطِقُ عَنْكَ عِلْمُكَ فِي نَدِيٍّ
وَمَا يُغْنِيكَ تَشْيِيدُ الْمَبَانِي
٣٤ جَعَلْتَ الْمَالَ فَوْقَ الْعِلْمِ جَهْلًا
وَبَيْنَهُمَا بِنَصِّ الْوَحْيِ بَوْنٌ
٣٥ لَنْ رَفَعَ الْغَنَى لَوَاءَ مَالٍ
وَإِنْ جَلَسَ الْغَنَى عَلَى الْحَشَايَا
٣٦ وَإِنْ رَكَبَ الْجِيَادَ مُسَوِّمَاتٍ
وَمَهْمَا افْتَضَّ أَبْكَارَ الْغَوَايَا
٣٧ وَلَيْسَ يَضُرُّكَ الْإِقْتَارُ شَيْئًا
فَإِذَا عِنْدَهُ لَكَ مِنْ جَمِيلٍ
٣٨ فَقَابِلِ بِالْقَبُولِ صَحِيحَ نُصْحِي
وَيُكْتَبُ عَنْكَ يَوْمًا إِنْ كُتِبَا
٣٩ إِذَا بِالْجَهْلِ نَفْسَكَ قَدْ هَدَمْتَا
لَعَمْرُكَ فِي الْقَضِيَّةِ مَا عَدَلْتَا
٤٠ سَتَعْلَمُهُ إِذَا « طَه » قَرَأْتَا
لَأَنْتَ لَوَاءَ عِلْمِكَ قَدْ رَفَعْتَا
٤١ لَأَنْتَ عَلَى الْكَوَاكِبِ قَدْ جَلَسْتَا
لَأَنْتَ مَنَاهِجَ التَّقْوَى رَكِبْتَا
٤٢ فَكَمْ بِكَرٍ مِنَ الْحِكْمِ افْتَضَضْتَا
إِذَا مَا أَنْتَ رَبِّكَ قَدْ عَرَفْتَا
٤٣ إِذَا بِفِنَاءٍ طَاعَتِهِ أَنْخُتَا
فَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَقَدْ خَسَرْتَا

(٣٣) النَّدَى وَالنَّادِي : مجتمع القوم .

(٣٦) قَالَ الْبُلُوِي (أَلْف بَاء ١٣/١) معلقاً على إشارة البيت : يريد قوله تعالى ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه ١١٤/٢٠] .

(٣٨) الْحَشَايَا : ج الْحَشِيَّة : الفراش المحشو ؛ وهو - كما في متن اللغة - المعروف في الشام بالطَّرَاحَة . وما تزال الكلمة حية في ديار الشام . والبيت في معنى : رَتَبَةُ الْعِلْمِ أَعْلَى الرَّتَب .

(٣٩) سَوِّم الْفَرَس : أَعْلَمَهُ بِسُومَةٍ . وَالسُّومَةُ : السِّمَّة وَالْعَلَامَةُ .

(٤١) الْإِقْتَارُ مُصْدَرُ اقْتَرَّ الرَّجُل : قَلَّ مَالُهُ وَضَاقَ عَيْشُهُ .

(٤٢) اسْتَعْمَلَ (مَاذَا) بَدَلًا مِنْ (كَمْ ذَا) لِأَنَّ الْمَعْنَى : إِذَا لَزِمْتَ طَاعَةَ اللَّهِ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى ، ظَفَرْتَ بِكَثِيرٍ مِمَّا أَعَدَّ اللَّهُ لِعِبَادِهِ مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ . وَكَلِمَةُ (جَمِيل) صِفَةٌ لِمَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ مُقَدَّرٌ .

- ٤٤ وَإِنْ رَاعَيْتَهُ قَوْلًا وَفِعْلًا
٤٥ فَلَيْسَتْ هَذِهِ الدُّنْيَا بِشَيْءٍ
٤٦ وَغَايَتُهَا إِذَا فَكَّرْتَ فِيهَا
٤٧ سُجِنْتَ بِهَا وَأَنْتَ لَهَا مُحِبٌّ
٤٨ وَتَطْعَمُكَ الطَّعَامَ وَعَنْ قَرِيبٍ
٤٩ وَتَعْرَى إِنْ لَبِسْتَ لَهَا ثِيَابًا
٥٠ وَتَشْهَدُ كُلَّ يَوْمٍ دَفَنٍ خِلٍّ
٥١ وَلَمْ تَخْلُقْ لِتَعْمَرْهَا وَلَكِنْ
٥٢ وَإِنْ هُدِمَتْ فَرِزْدَهَا أَنْتَ هَدَمًا
- وَتَا جَرَّتَ الْإِلَٰهَ بِهِ رَبْحَتَا
تَسُوؤُكَ حَقْبَةً وَتَسْرُّ وَقْتَا
كَفَيْتُكَ أَوْ كَحُلْمِكَ إِنْ حَلَمْتَ
فَكَيْفَ تُحِبُّ مَا فِيهِ سُجِنْتَ
سَتَطْعَمُ مِنْكَ مَا مِنْهَا طَعِمْتَ
وَتَكْسِي إِنْ مَلَاسَهَا خَلَعْتَ
كَأَنَّكَ لَا تُرَادُّ بِمَا شَهِدْتَ
لِتَعْبَرَهَا فَجِدًّا لِمَا خَلَقْتَ
وَحَصَّنَ أَمْرَ دِينِكَ مَا اسْتَطَعْتَ

(٤٤) في سورة فاطر [٢٩/٣٥] : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ ﴾ . وفي سورة الصف [١٠/٦١] : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ والمراد بالتجارة في الآيتين الكريميتين : المعنى المجازي .

و « التجارة » تَرَدُّ للعمل : يَتَرَبَّ عليه خيرٌ أو شرٌّ .

(٤٦) الفيء - هنا - ما كان شمساً فينسخه الظل ، وألْهَمَ بضم اللام وسكونها .

(٤٧) في الحديث : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » . رواه مسلم وغيره .

(٥١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد أثر في جنبه ؛ قلنا يا رسول الله لو اتخذنا لك وِطَاءً فقال : « مالي وللدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ، ثم راح وتركها » . رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح . وفي مسند الإمام أحمد (٢٤/٢) أن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : أخذ رسول الله ﷺ ببعض جسدي فقال : « يا عبد الله ، كُنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابر سبيل ، واعُدْ نَفْسَكَ فِي الْمَوْتِ » .

- ٥٣ ولا تحزنْ على مافاتِ مِنْهَا إذا ماأنتَ في أُخْرَاكَ فُرْتَا
- ٥٤ فليسَ بِنَافِعِ ما نِلْتَ فيها مِنْ الفاني، إذا الباقي حُرِمْتَما
- ٥٥ ولا تَضَحَّكَ مع السُّفْهَاءِ لَهْوَاً فَإِنَّكَ سوفَ تَبْكِي إن ضَحِكْتَما
- ٥٦ وكيفَ لَكَ السُّرُورُ وَأَنْتَ رَهْنٌ ولا تَدْرِي أَتَفْدَى أَمْ غَلِقْتُما
- ٥٧ وسَلْ مِنْ رَبِّكَ التَّوْفِيقَ فيها وَأَخْلِصْ في السُّؤَالِ إذا سَأَلْتُما
- ٥٨ ونادِ إذا سَجَدْتَ لَهُ اعْتِرَافاً بِما ناداهُ ذُو النُّونِ بِنُ مَتَّى
- ٥٩ ولازِمِ بابَهُ قَرْعاً عَسَاهُ سَيَفْتَحُ بابَهُ لَكَ إن قَرَعْتُما
- ٦٠ وأكثرِ ذِكرَهُ في الأرضِ دَافِئاً لِتُذَكِّرَ في السَّمَاءِ إذا ذَكَرْتُما
- ٦١ ولا تَقُل الصُّبا فيه مَجالٌ وَفَكَّرْ كم صَغِيرٍ قَد دَفَنْتُما!

(٥٣) راجع ما في التنزيل الحكيم (الحديد ٥٧ / الآيات ٢٢ - ٢٣) .

(٥٥) في سورة التوبة ٨٢/٩ : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِما كانوا يَكْسِبُونَ ﴾ .

(٥٦) غَلِقَ الرَّهْنُ : استحققه المُرْتَهَن ؛ وذلك إذا لم يُفْتَك في الوقت المشروط .

(٥٨) قال تعالى في سورة الأنبياء (٢١ : ٨٧ - ٨٨) : ﴿ وَذا النُّونُ إذ ذَهَبَ مُغاضِباً فَظَنَّ أن لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنادى في الظُّلُماتِ أنْ لا إِلَهَ إلا أَنْتَ سُبْحانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ . فاستَجَبْنا لَهُ وَنَجَّيْناهُ مِنَ الغَمِّ وكذلك نُنجي الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

- قال القرطبي في تفسيره (٣٢٩/١١) : ذُو النون لقب ليونس بن مَتَّى (عليه السلام) ولُقِبَ بذلك لابتلاع النون إياه .

- والنون : الحوت .

(٦٠) في التنزيل الحكيم [البقرة ١٥٢/٢] : ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ واشْكُرُوا لي ولا تَكْفُرُون ﴾ .

(٦١) في كشف الخفا (١٤٨/١) : « اغْتَمَّ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ : حياتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ، وَصَحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَشَبابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَغَنَّاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ » . رواه الحاكم وصححه البيهقي عن ابن عباس . قال : قاله رسول الله ﷺ لرجل وهو يعظُهُ .

٦٢	وَقُلْ لِي يَا نَصِيحُ لَأَنْتَ أَوْلَى	بِنُصْحِكَ لَوْ بِعَقْلِكَ قَدْ نَظَرْتَا
٦٣	تَقْطَعُنِي عَلَى التَّفْرِيطِ لَوْمًا	وَبِالتَّفْرِيطِ دَهْرَكَ قَدْ قَطَعْتَا
٦٤	وَفِي صِغَرِي تُخَوِّفُنِي الْمَنَايَا	وَمَا تَجْرِي بِإِلَاكَ حِينَ شِخْتَا
٦٥	وَكُنْتُ مَعَ الصَّبَا أَهْدَى سَبِيلًا	فَمَا لَكَ بَعْدَ شَيْبِكَ قَدْ نَكِسْتَا
٦٦	وَهَا أَنَا لَمْ أَخْضُ بَحْرَ الْخَطَايَا	كَأَنَّ خُضَّتَهُ حَتَّى غَرِقْتَا
٦٧	وَلَمْ أَشْرَبْ حُمَيًّا أَمْ دَفُرٍ	وَأَنْتَ شَرِبْتَهَا حَتَّى سَكِرْتَا
٦٨	وَلَمْ أَحْلُلْ بِوَادٍ فِيهِ ظَلَمٌ	وَأَنْتَ حَلَلْتَ فِيهِ وَانْهَمَلْتَا
٦٩	وَلَمْ أَنْشَأْ بِعَصْرِ فِيهِ نَفْعٌ	وَأَنْتَ نَشَأْتَ فِيهِ وَمَا انْتَفَعْتَا
٧٠	وَقَدْ صَاحَبْتَ أَعْلَامًا كِبَارًا	وَلَمْ أَرَكَ اقْتَدَيْتَ بِمَنْ صَحِبْتَا
٧١	وَنَادَاكَ الْكِتَابُ فَلَمْ تُجِبْهُ	وَنَهَنَهُكَ الْمَشِيبُ فَمَا انْتَبَهْتَا
٧٢	لَيَقْبَحُ بِالْفَتَى فِعْلُ التَّصَابِي	وَأَقْبَحُ مِنْهُ شَيْخٌ قَدْ تَفَتَّى

- (٦٢) يقال : هو ناصح ونصيح ، من فعل نصح ؛ يقال : نصحه ونصح له .
- (٦٣) فرط في الشيء : ضيعه وقدم العجز فيه ؛ وقصر .
- (٦٥) يقال : نكس المريض : إذا عاودته العلة بعد النقه . ونكس على رأسه : رجع عما عرفه .
- وفي التنزيل العزيز في ذكر قوم إبراهيم ﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُؤُوسِهِمْ ﴾ .
- (٦٧) أم دفر : كنية الدنيا . (انظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : ٢٥٧) .
- والحميا من الكأس : سورتها وشدتها ، أو إسكارها ، أو أخذها بالرأس .
- (٦٨) أصل معنى همل (الدمع) وانهمل : انصب ، وانهملت العين : فاضت .
- (٧١) نهنه عن الأمر : كفّه وزجره .
- (٧٢) شيخ قد تفَتَّى : سلك سبيل الفتيان .
- وفي حديث أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال : « خير شبابكم من تشبه بكهولكم ، وشرُّ كهولكم من تشبه بشبابكم » رواه في بهجة المجالس ٢١١/٢

- ٧٣ فَأَنْتَ أَحَقُّ بِالتَّفْنِيدِ مِنِّي وَلَوْ سَكَتَ الْمُسِيءُ لَمَا نَطَقْتُهَا
- ٧٤ وَنَفْسَكَ ذُمَّ لَا تَذُمَّمُ سِوَاهَا بَعِيبٌ فِيهِ أَجْدَرُ مَنْ ذَمَّمْتَا!
- ٧٥ فَلَوْ بَكَتِ الدِّمَا عَيْنَاكَ خَوْفًا لِيَذْنِبِكَ لَمْ أَقُلْ لَكَ قَدْ أَمِنْتَا
- ٧٦ وَمَنْ لَكَ بِالْأَمَانِ وَأَنْتَ عَبْدٌ أُمِرْتَ فَمَا ائْتَمَرْتَ وَلَا أَطَعْتَا
- ٧٧ ثَقُلْتَ مِنَ الذُّنُوبِ وَلَسْتَ تَخْشَى لَجْهْلِكَ أَنْ تَخِفَّ إِذَا وَزِنْتَا
- ٧٨ وَتُشْفِقَ لِلْمُصَرِّ عَلَى الْمَعَاصِي وَتَرْحَمُهُ، وَنَفْسَكَ مَارَحِمْتَا
- ٧٩ رَجَعْتَ الْقَهْقَرَى وَخَبَطْتَ عَشْوًا لَعَمْرُكَ لَوْ وَصَلْتَ لَمَا رَجَعْتَا!
- ٨٠ وَلَوْ وَافَيْتَ رَبَّكَ دُونَ ذَنْبٍ وَنَاقَشَكَ الْحِسَابَ إِذَا هَلَكَتَا
- ٨١ وَلَمْ يَظْلِمَكَ فِي عَمَلٍ وَلَكِنْ عَسِيرٌ أَنْ تَقُومَ بِمَا حَمَلْتَا
- ٨٢ وَلَوْ قَدْ جِئْتَ يَوْمَ الْفَصْلِ فَرْدًا وَأَبْصَرْتَ الْمَنَازِلَ فِيهِ شَتَّى
- ٨٣ لِأَعْظَمَتِ النَّدَامَةُ فِيهِ لَهْفًا عَلَى مَا فِي حَيَاتِكَ قَدْ أَضَعْتَا

(٧٣) فَتَنَّهُ تَفْنِيدًا : كَذَبَهُ ، وَعَجَزَهُ ، وَخَطَأَ رَأْيَهُ .

(٧٧) فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ [الْقَارِعَةُ ١٠١/٩-١٠] : ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ . وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَّةٌ هَاوِيَةٌ ﴾ .

(٧٨) فِي الْأَسَاسِ : أَشْفَقْتُ عَلَيْهِ أَنْ يَنَالَهُ مَكْرُوهٌ ، وَأَنَا مُشْفِقٌ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ .

(٧٩) رَجَعَ الْقَهْقَرَى : إِلَى الْوَرَاءِ ، وَخَبَطَ عَشْوًا : مَثَلٌ ، وَأَصْلُهُ مِنْ خَبَطَ النَّاقَةَ الَّتِي ضَعَفَ بَصَرُهَا ، فَهِيَ لَا تَمَيِّزُ أَيْنَ تَمْضِي وَمَاذَا تَصِيبُ فِي طَرِيقِهَا .

(٨٠) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ حُوسِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَبَ » . فَقِيلَتْ : أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ فَقَالَ : « لَيْسَ ذَلِكَ الْحِسَابُ ، إِنَّمَا ذَلِكَ الْعَرْضُ ؛ مَنْ نَوَقَشَ الْحِسَابَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَبَ » .

(٨٢) فِي سُورَةِ مَرْيَمَ [١٩/٩٣-٩٥] : ﴿ إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِيَ الرَّحْمَنِ عَبْدًا . لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا . وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾ .

(٨٣) فِي التَّنْزِيلِ الْحَكِيمِ [الزَّمَرُ ٣٩/٥٥-٥٦] : ﴿ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ =

- ٨٤ تَفَرُّ مِنْ الْهَجِيرِ وَتَتَّقِيهِ هـ
 ٨٥ وَلَسْتَ تُطِيقُ أَهْوَنَهَا عَذَاباً
 ٨٦ فَلَا تُكَذِّبْ فَإِنَّ الْأَمْرَ جِدٌّ
 ٨٧ أَبَا بَكْرٍ كَشَفَتْ أَقْلَ عَيْبِي
 ٨٨ فَقُلْ مَا شِئْتَ فِيَّ مِنَ الْخَازِي
 ٨٩ وَمَهْأُ عَيْبَتِي فَلِفَرْطِ عِلْمِي
 ٩٠ فَلَا تَرُضَ الْمَعَايِبَ فَهِيَ عَارٌّ
 ٩١ وَتَهْوِي بِالْوَجْهِ مِنَ الثَّرِيَّا
 ٩٢ كَمَا الطَّاعَاتُ تَنْعَلُكَ الدَّرَارِي
 ٩٣ وَتَنْشُرُ عَنْكَ فِي الدُّنْيَا جَمِيلاً
 ٩٤ وَتَمْشِي فِي مَنَاكِهَا كَرِيماً
- فَهَلَّا عَنْ جَهَنَّمَ قَدْ فَرَرْتَا؟
 وَلَوْ كُنْتَ الْحَدِيدَ بِهَا لَذُبْتَا
 وَلَيْسَ كَمَا احْتَسَبْتَ وَلَا ظَنَنْتَا
 وَأَكْثَرُهُ وَمُعْظَمُهُ سَرَرْتَا
 وَضَاعِفُهَا فَإِنَّكَ قَدْ صَدَقْتَا
 بِيَا طُنْتِي كَأَنَّكَ قَدْ مَدَحْتَا
 عَظِيمُ يَوْرَثُ الْإِنْسَانَ مَقْتَا
 وَتُبْدِلُهُ مَكَانَ الْفَوْقِ تَحْتَا
 وَتَجْعَلُكَ الْقَرِيبَ وَإِنْ بَعُدْتَا
 فَتُلْفَى الْبَرَّ فِيهَا حَيْثُ كُنْتَا
 وَتَجْنِي الْحَمْدَ مِمَّا قَدْ غَرَسْتَا

= يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٤﴾ .

- (٨٤) الهجير : نصف النهار في القيظ خاصة (أي في عز الصيف) .
 (٨٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما من حديث رسول الله ﷺ : « أَهْوَنُ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ يَوْضَعُ فِي أَحْمَصِ قَدَمَيْهِ جَهْرَتَانِ يَغْلِي مِنْهَا دِمَاغُهُ » . الفتح الكبير (٤٧٢/١) .
 (٨٦) أي لا يكن منك غفلة فتصدق ما يكذب به عليك في أحوال الآخرة ؛ واحتسبه : ظنه .
 (٨٩) الباطنة من الرجل : سريره .
 (٩٠) يقال : مقته يقته مقْتاً أي : أبغضه أشد البغض وكرهه لقيح ركه . وقد وردت الكلمة في أكثر من موضع في القرآن الكريم .
 (٩١) الوجيه : ذو الجاه والقدر .
 (٩٢) أي تجعل الدراري (النجوم) كالنعل لك (على سبيل المبالغة وضرب المثل) .

- ٩٥ وَأَنْتَ الْآنَ لَمْ تُعْرِفْ بِعَبَابٍ وَلَا دَنْسَتْ ثَوْبَكَ مَذْ نَشَاتَا
 ٩٦ وَلَا سَابَقْتَ فِي مِيدَانِ زُورٍ وَلَا أَوْضَعْتَ فِيهِ وَلَا خَبَبْتَا
 ٩٧ فَإِنْ لَمْ تَنَأْ عَنْهُ نَشِبْتَ فِيهِ وَمَنْ لَكَ بِالْخَلَاصِ إِذَا نَشِبْتَا
 ٩٨ وَدَنْسَ مَا تَطَهَّرَ مِنْكَ حَتَّى وَصِرْتَ أُسِيرَ ذَنْبِكَ فِي وَثَاقٍ
 ١٠٠ وَخَفَ أَبْنَاءَ جَنْسِكَ وَاخْشَ مِنْهُمْ كَمَا تَخْشَى الضَّرَاعِمَ وَالسَّبْتَى
 ١٠١ وَخَالِطَهُمْ وَزَايَلَهُمْ حِذَارًا وَكُنْ كَالسَّامِرِيِّ إِذَا لُمِسْتَا
 ١٠٢ وَإِنْ جَهِلُوا عَلَيْكَ فَقُلْ سَلَامًا لَعَلَّكَ سَوْفَ تَسْلَمُ إِنْ فَعَلْتَا
 ١٠٣ وَمَنْ لَكَ بِالسَّلَامَةِ فِي زَمَانٍ يَنَالُ الْعُصْمَ إِلَّا إِنْ عُصِمْتَا

(٩٥) العَاب : الوصمة .

(٩٦) الْخَبَب : ضَرْبٌ مِنَ الْعَدُوِّ . وَأَوْضَعْتَ النَّاَقَةَ فِي سِيرهَا : أَسْرَعْتَ .

(٩٧) نَشِبَ فِي الْأَمْرِ : وَقَعَ فِيمَا لَا مَخْلَصَ لَهُ مِنْهُ .

(١٠٠) فِي هَامِشِ الْأَصْلِ الْمَخْطُوطِ : الضَّرَاعِمُ : الْأَسْوَدُ . السَّبْتَى : النَّمْرُ .

(١٠١) كَانَ السَّامِرِيُّ عَظِيمًا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ - قِيلَ هُوَ مِنْهُمْ وَقِيلَ : دَخَلَ فِيهِمْ . دَعَاهُمْ إِلَى الضَّلَالَةِ

وَعِبَادَةِ الْعَجَلِ . قَالَ الْحَسَنُ : جَعَلَ اللَّهُ عِقَابَ السَّامِرِيِّ أَلَا يَمَسُّ النَّاسَ وَلَا يَمَسُّهُ عِقَابُهُ لَهُ

وَلَمَّا كَانَ مِنْهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَكَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ شَدَّدَ عَلَيْهِ الْحَنَةَ بِأَنْ جَعَلَهُ لَا يَمَسُّ أَحَدًا

وَلَا يُمْكِنُ مِنْ أَنْ يَمَسَّهُ أَحَدٌ . وَمَعْنَى زَايَلَهُمْ : فَارَقَهُمْ .

- رَاجِعْ تَفْسِيرَ الْقُرْطُبِيِّ لِخَبَرِ السَّامِرِيِّ ٢٣٢/١١ وَمَا بَعْدَهَا . وَفِي التَّنْزِيلِ الْحَكِيمِ فِي سُورَةِ طه

[٩٧/٢٠] : ﴿ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تَخْلَفَهُ

وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ .

(١٠٢) فِي التَّنْزِيلِ الْحَكِيمِ [الْفُرْقَانِ ٦٣/٢٥] : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا

وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ .

(١٠٣) الْعُصْمُ (بِالضَّمِّ) جَمْعُ أَصْعَمَ ، وَهُوَ مِنَ الطَّبَاءِ وَالْوَعُولِ مَا فِي ذِرَاعِيهِ أَوْ أَحَدُهُمَا بَيَاضٌ وَسَائِرُهُ

أَسْوَدٌ أَوْ أَحْمَرٌ . وَأَرَادَ مُطْلَقَ الْوَعُولِ لِأَنَّهَا تَسْكُنُ الْجِبَالَ .

- ١٠٤ ولا تَلَبَّثُ بِحَيٍّ فِيهِ ضَيْمٌ يَمِيتُ الْقَلْبَ إِلَّا إِنْ كُبِلْتُـا
١٠٥ وَغَرْبٌ فَالْغَرِيبُ لَهُ نَفَاقٌ وَشَرَقٌ إِنْ بَرِيقَكَ قَدْ شَرِقْتُـا
١٠٦ وَلَوْ فَوْقَ الْأَمِيرِ تَكُونُ فِيهَا سُمُوءًا وَافْتِخَارًا كُنْتَ أَتُـا
١٠٧ وَإِنْ فَرَّقْتُهَا وَخَرَجْتَ مِنْهَا إِلَى دَارِ السَّلَامِ فَقَدْ سَلِمْتُـا
١٠٨ وَإِنْ كَرَّمْتُهَا وَنَظَرْتَ مِنْهَا بِإِجْلَالٍ فَنَفْسَكَ قَدْ أَهَنْتُـا
١٠٩ جَمَعْتَ لَكَ النَّصَائِحَ فَاُمْتِثِلْهَا حَيَاتِكَ ؛ فَهِيَ أَفْضَلُ مَا امْتِثَلْتُـا
١١٠ وَطَوَّلْتَ الْعِتَابَ وَزِدْتَ فِيهِ لِأَنَّكَ فِي الْبَطَالَةِ قَدْ أَطْلَلْتُـا
١١١ فَلَا تَأْخُذْ بِتَقْصِيرِي وَسَهْوِي وَخُذْ بِوَصِيَّتِي لَكَ إِنْ رَشِدْتُـا
١١٢ وَقَدْ أَرَدْتُهَا سِتًّا حَسَنًا وَكَانَتْ قَبْلَ ذَا مِئَةٍ وَسِتًّا

(١٠٤) وفي شعر المتلمس (ديوانه : ١٩٦) ويجري كلامه مجرى المثل :

ولا يقيم على ضيم يسام به إلا الأذلان غير الحي والوئيد
هذا على الحسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحد!

(١٠٥) قوله : غَرْبٌ وَشَرَقٌ : أي سُرٌّ فِي الْأَرْضِ وَتَحَوَّلَ عَنْ مَوَاطِنِ الضِّيمِ .

(١٠٧) فِي الْأَصْلِ الْخُطُوطُ : فَرَّقْتُهَا . وَأَقْرَبُهَا بِالْأَلْفِ (فَارَقْتُهَا) لِمُنَاسَبَةِ الْمَعْنَى الظَّاهِرِ .

(١٠٩) امْتِثَلِ الطَّرِيقَةَ : اتَّبِعْهَا فَلَمْ يَعُدَّهَا (لَمْ يَتَجَاوَزْهَا) .

(١١٢) الْإِشَارَةُ إِلَى عَدَدِ أَيْيَاتِ الْقَصِيدَةِ . فَهِيَ فِي ١١٢ بَيْتًا ، كَانَتْ فِي الْأَصْلِ ١٠٦ أَيْيَاتٍ وَزَادَ فِيهَا

٦ أَيْيَاتٍ .

وله أيضاً - رحمه الله ورضي عنه -

[النص قصيدة كاملة من خمسة عشر بيتاً . وقد أدارها الشاعر على موضوع الموت باعتباره نذيراً مهماً ينذر الإنسان (بترقبه وظهور معالته) وجعل الأبيات ١ - ٣ مقدمة ومدخلاً ، ثم استرسل في أثر الزمن الذي يخبره بأن لكل حيٍّ نهاية ٤ - ١١ ووقف عند الذنوب ، ولام نفسه ورثى لها قبل موتها ١٢ - ١٤ .]

[من الوافر]

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | تُعَاذِلُنِي الْمَنِيَّةُ مِنْ قَرِيبٍ | وَتَلَحَّظُنِي مُلَاحَظَةُ الرَّقِيبِ |
| ٢ | وَتَنْشُرُ لِي كِتَاباً فِيهِ طَيِّبٌ | بِخَطِّ الدَّهْرِ أَسْطَرُّهُ مَشِيبِي |
| ٣ | كِتَابٌ فِي مَعَانِيهِ غَمُوضٌ | يَلُوحُ لِكُلِّ أَوَّابٍ مُنِيبِ |
| ٤ | أَرَى الْأَعْصَارَ تَعِصُرُ مَاءَ عُودِي | وَقِدْماً كُنْتُ رِيَّانَ الْقَضِيبِ |
| ٥ | أَدَالَ الشَّيْبُ يَا صَاحِبَ شَبَابِي | فَعَوَّضْتُ الْبَغِيزَ مِنَ الْحَبِيبِ |
| ٦ | وَبَدَّلْتُ التَّثَاوُلَ مِنْ نَشَاطِي | وَمِنْ حُسْنِ النَّصَارَةِ بِالشُّحُوبِ |

- (١) يقال غَاذَلَ النِّسَاءُ : أي حادِثَنَ وَلَهَا مَعَهَنَ . والمغازلة في البيت هنا على المجاز .
- (٤) الأعصار جمع : العصر ؛ ويقال : عُصْرٌ وَأَعْصُرٌ وَعَصُرٌ ، والعَصْرُ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ مَدَّةٍ مَمْتَدَةٍ غير محدودة . وأراد بها السنين .
- (٥) أي غلب الشَّيْبُ الشَّبَابَ . وفي كتب اللغة : أداله الله من عدوه : كانت له الغلبة والنصرة والدولة عليه .

- ٧ كَذَاكَ الشَّمْسُ يعلوها اصْفِرَارُ
٨ تُحَارِبُنَا جُنُودٌ لَا تُجَارِي
٩ هِيَ الْأَقْدَارُ وَالْأَجَالُ تَأْتِي
١٠ تُفَوِّقُ أَسْهُمًا عَنْ قَوْسٍ غَيْبٍ
١١ فَأَنَّى بَاحْتِرَاسٍ مِنْ جُنُودٍ
١٢ وَمَا آتَى عَلَى الدُّنْيَا وَلَكِنْ
١٣ فَيَا لَهْفِي عَلَى طُولِ اغْتِرَارِي
١٤ إِذَا أَنَا لَمْ أَنْحُ نَفْسِي وَأَبْكِي
١٥ فَمَنْ هَذَا الَّذِي بَعْدِي سَيِّكِي
- إِذَا جَنَحَتْ وَمَالَتْ لِلْغُرُوبِ
وَلَا تُلْقَى بِأَسَادِ الْخُرُوبِ
فَتَنْزِلُ بِالْمُطَبَّبِ وَالطَّبِيبِ
وَمَا أَغْرَضُهَا غَيْرَ الْقُلُوبِ
مُؤَيَّدَةً تَمَدُّ مِنَ الْغُيُوبِ
عَلَى مَا قَدْ رَكِبْتُ مِنَ الذُّنُوبِ
وَيَا وَيْحِي مِنَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ
عَلَى حَوْبِي بَتَهْتَانٍ سَكُوبِ
عَلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ أَوْ قَرِيبِ؟

(٧) جَنَحَتْ : بمعنى مالت .

(١٠) فِي اللِّسَانِ (فَوْق) : الْفَوْقُ مِنَ السَّهْمِ : مَوْضِعُ الْوَتَرِ ، وَالْجَمْعُ أَفْوَاقٌ ، وَفِي حَدِيثٍ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَصِفُ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كُنْتُ أَخْفِضُهُمْ صَوْتًا وَأَعْلَاهُمْ فَوْقًا أَيَّ أَكْثَرِهِمْ حِظًّا وَنَصِيبًا مِنَ الدِّينِ . وَهُوَ مُسْتَعَارٌ مِنَ الْفَوْقِ السَّهْمِ : مَوْضِعُ الْوَتَرِ مِنْهُ .
وَفَوْقُ السَّهْمِ : جَعَلَ الْوَتَرَ فِي فَوْقِهِ عِنْدَ الرَّمْيِ . وَالْفَوْقُ هُوَ مَوْضِعُ الْوَتَرِ مِنَ السَّهْمِ ، وَالْغَرَضُ : الْمَهْدَفُ الَّذِي يُرْمَى فِيهِ الشَّيْءُ الْمَقْصُودُ .

(١٣) الْعَصِيبُ مِنَ الْأَمْرِ وَالْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي : الشَّدِيدُ .

(١٤) يُقَالُ : نَاحَتْ الْمَرْأَةُ زَوْجَهَا ، وَنَاحَتْ عَلَيْهِ .

- الْحَوْبُ : الْإِثْمُ .

وله - رحمه الله ونضر وجهه

[توصل الشاعر من حوار أجراه مع حمامة ساجعة إلى إثبات
مجاراته تلك الحمامة في البكاء على اختلاف بينه وبينها ، فهي - كما قرّر -
تشكو فرقة المونس الحبيب وهو يشكو عبء الذنوب] .

[من الكامل]

- ١ أحامّة البیدا أطلّت بُكَاكِ فَبِحُسْنِ صَوْتِكِ مَا الَّذِي أَبْكَاكِ ؟
٢ إِنْ كَانَ حَقًّا مَا ظَنَنْتُ فَإِنَّ بِي فَوْقَ الَّذِي بَكَ مِنْ شَدِيدِ جَوَاكِ

(١) في شعر يحيى بن هذيل (٣٠٥ - ٣٨٩ هـ) قطعة يخاطب فيها الحمامة يقول فيها :

وَمِرْنَةٍ وَالِدَجْنُ يَنْسُجُ فَوْقَهَا بُرْدَيْنِ مِنْ حَلَكٍ وَنَوءٍ بِأَكِ
مَالَتْ عَلَى طَيِّ الْجَنَاحِ وَإِنَّمَا جَعَلْتُ أَرِيكَهَا قَضِيبَ أَرَاكِ
وَتَرْنَمْتُ لَحْنَيْنِ قَدْ خَلَّتْهَا كَفَنَاءُ مُسْمَعَةٍ وَأَنْتَ شَاكِ
فَفَقَدْتُ مِنْ نَفْسِي لَفْرَطِ صَبَابَتِي نَفْسَ الْحَيَاةِ وَقُلْتُ : مَنْ أَبْكَاكِ ؟

وفي شعر يوسف بن هارون الرّمادي (المتوفى سنة ٤٠٣) معارضة لقطعة ابن هذيل ، فيها :

أَحَامَةُ فَوْقَ الْأَرَاكِ تَبْنِي بِحَيَاةٍ مِنْ أَبْكَاكِ مَا أَبْكَاكِ ؟
أَمَّا أَنَا فَبِكَيْتِ مِنْ حَرَقِ الْهَوَى وَفِرَاقٍ مِنْ أَهْوَى أَنَّكِ كَذَاكَ ؟

وفي قصيدة الإلبيري ردّ غير مباشر على هذا الشعر وما يشبهه .

(٢) الجوى : الحُرقة وشدة الوجد من عشق أو حزن .

- ٣ إني أظنُّكَ قد دُهِيتَ بِفُرْقَةٍ من مُؤْنِسٍ لَكَ فَارْتَمَضْتَ لِذَاكَ
- ٤ لَكِنَّ مَا أَشْكُوهُ مِنْ فَرُطِ الْجَوَى بخِلَافٍ مَا تَجْدِينَ مِنْ شَكْوَاكِ !
- ٥ أَنَا إِنَّمَا أَبْكِي الذُّنُوبَ وَأُسْرَهَا وَمُنَايَ فِي الشَّكْوَى مَنَالُ فَكَاكِ
- ٦ وَإِذَا بَكَيْتُ سَأَلْتُ رَبِّي رَحْمَةً وَتَجَاوُزاً؛ فَبُكَايَ غَيْرُ بُكَائِكَ !

(٣) في الأصل : فارتمضتُ ، بضم التاء . وظاهر أن الخطاب - مازال - للجماعة (الأول من القصيدة) .

- والرمض شدة وقع الشمس على الرمل وغيره . ورمض يومنا : اشتد حره

الرمضاء : أحرقته .

وله أيضاً رحمة الله عليه

[بدأ الشاعر القصيدة بيت مفرد فيه دعوة إلى تطهير النفس من
 أثامها ولو بدمعة بكاء صادقة أو دمة مُستجلبة ، ويدخل مباشرة إلى
 حديث الدنيا الخادعة الغرور في حوار متخيل بينه وبينها ، وبدأ بما
 تصنع لتخدع (٢ - ٩) وبما واجهها به (١٠ - ١٣) ووصف الخداع أكثر
 الناس بها (١٤ - ١٥) ورجع إلى الدنيا يسفها رأيها وسلوكها وما تفعله
 بمن يحبها (١٦ - ٢٢) ورأى العبرة فيمن مضى من الجبابرة والعظماء
 (٢٣ - ٢٦) وضرب المثل - على طريقته - من نفسه لينفتح له باب
 الكلام (٢٧ - ٢٩) وأعلى من شأن الزهد ، والزاهدين في عرض الحياة
 الدنيا (٣٠ - ٣٥) وختم بيت واحد بالصلاة على رسول الله ﷺ .]

[من الكامل]

مَنْ لَيْسَ بِالْبَاكِ وَلَا الْمُتَبَاكِ لِقَبِيحِ مَا يَأْتِي فَلَيْسَ بِزَاكِ
 نَادَتْ بِي الدُّنْيَا فَقُلْتُ لَهَا : اقْصِرِي مَا عُدَّ فِي الْأَكْيَاسِ مَنْ لَبَّاكِ
 وَلَمَّا صَفَا عِنْدَ الْإِلَهِ وَلَا ذَنَا مِنْهُ أَمْرٌ وَصَافَاكِ أَوْ دَانَاكِ

(١) يقال : هو زاك وزكي من فعل زكا - يزكو ، ومن معانيه : صلح .

(٢) نادى فلاناً : دعاه ، وصاح بأعلى الأصوات ، ويقال : نادى به . أقصر : (بهمزة القطع)

انتهى : وسهّلها الشاعر ضرورة .

- ٤ مازلتِ خادِعتي بِبَرْقِ خَلْبٍ ولو اهتديتُ لما انخدعتُ لِذاكِ
- ٥ قالتُ أَغْرَكَ من جِناحِكَ طوله وكأنُ بِهِ قَد قُصَّ في أَشْرَكي
- ٦ تالله ما في الأرضِ مَوْضِعُ راحَةٍ إلا وقد نُصِبَتْ عَلَيْهِ شِباكي
- ٧ طِرُ كَيْفَ شِئْتَ فَأَنْتَ فيها واقِعٌ عانٍ بها لا يَرْتَجى لِفكاكِ
- ٨ مَنْ كانَ يَصْرَعُ قِرْنَهُ في مَعْرَكِ فَعَلِيَّ صَرَعْتُهُ بِغَيْرِ عِراكِ
- ٩ ما أَعْرِفُ العَضْبَ الصَّقِيلَ ولا القِنا ولقد بَطَشْتُ بِذِي السِّلَاحِ الشَّايِ
- ١٠ كَمْ ضِغَمٍ عَفَرْتُهُ بِعَرِينِهِ ولكم فَتَكَتُ بِأَفْتَكِ الْفُتَّاكِ
- ١١ فَأَجَبْتُها مُتَعَجِّباً مِنْ غَدْرِها أَجَزَيْتِ بِالْبَغْضَاءِ مَنْ يَهْوَكِ؟
- ١٢ لَأَجَلْتُ عَيْنِي في بَنِيكَ فَكَلُّهُم أسراكِ أو جَرَحاكِ أو صَرَعاكِ
- ١٣ لَوْ قارَضوكِ على صَنِيعِكِ فِيهِمُ قَطَعُوا مَدى أَعْمارِهِم بِقِلاكِ
- ١٤ طَمَسَتْ عَقُولُهُم ونُورُ قُلُوبِهِم فَتَهافتُوا جِرْصاً على حِلْواكِ
- ١٥ فَكَانَّهُمْ مِثْلُ الذُّبابِ تَساقَطْتُ في الأَرْيِ حَتَّى اسْتُؤْصِلُوا بِهَلَاكِ
- ١٦ لا كُنْتُ مِنْ أُمَّ لَنَا أَكْالَةٌ بَعْدَ الْوِلادَةِ، ما أَقْلَ حَيَاكِ!
- ١٧ ولقد عَهِدنا الأُمَّ تَلَطَّفُ بابِئِها عَظْفاً عَلَيْهِ وَأَنْتِ ما أَقْساكِ

(٤) الخَلْبُ : السحاب يومضُ برقُهُ حَتَّى يُرْجى مطره ثم يَخْلَفُ وَيَتَقَشَّعُ . يقال : برق خَلْبٌ ، والبرق الخَلْبُ ... وَيَشَبَّهُ به من يَعِدُ ولا يَنْجِزُ . والمعنى إسلاميٌّ قرآني ، ومنه مثلاً ما في سورة آل عمران (١٨٥/٣) : ﴿ وما الحياةُ الدُّنيا إلا مَتاعُ الغُرُورِ ﴾ .

(٥) الكاف في (أَغْرَكَ) و (جِناحِكَ) مكسورة في المخطوط . قلت : يُنظر الخطاب بعد ذلك .
(٧) عانٍ : أي أسير .

(٨) القِرْنُ (بالكسر) كَفُؤُكَ في الشَّجاعة ، أو هو عام .

(١٠) الضِغَمُ من أساء الأسد ، وهو الذي يعضُّ كثيراً أو هو الواسع الشَّدق .

(١٥) الأَرْيُ : العسل .

- ١٨ مَافَوْقَ ظَهْرِكَ قَاطِنٌ أَوْ ظَاعِنٌ
 ١٩ أَنْتِ السَّرَابُ وَأَنْتِ دَاءٌ كَامِنٌ
 ٢٠ يُعَصَى الْإِلَٰهَ إِذَا أُطِيعَتْ وَطَاعَتِي
 ٢١ فَرَضَ عَلَيْنَا بِرُّنَا أُمَاتِنَا
 ٢٢ مَا إِنْ يَدُومُ الْفَقْرُ فَيْكَ وَلَا الْغِنَى
 ٢٣ أَيْنَ الْجَبَابِرَةُ الْأُلَى وَرِيَاشُهُمْ
 ٢٤ وَلَطَالَمَا رُدُّوْا بِأَرْدِيَةِ الْبَهَا
 ٢٥ كَانَتْ وُجُوهُهُمْ كَأَقْمَارِ الدُّجَا
- إِلَّا سَيِّهَشُمْ فِي ثِفَالِ رَحَاكِ
 بَيْنَ الضُّلُوعِ فَمَا أَعَزَّ دَوَاكِ !
 اللَّهُ رَبِّي أَنْ أَشُقَّ عَصَاكِ
 وَعَقُّوْهُنَّ مُحَرَّمٌ إِلَّاكِ
 سَيَّانَ فَقْرُكِ عِنْدَنَا وَغِنَاكِ
 قَدْ بَاشَرُوا بَعْدَ الْحَرِيرِ ثَرَاكِ !
 فَتَعَوَّضُوا مِنْهَا رِدَاءَ رَدَاكِ
 فَغَدَتْ مُسْجَاةٌ بِشُوبِ دُجَاكِ

(٢٤) قول الشاعر : رُدُّوْا بِأَرْدِيَةِ الْبَهَا : يُقَالُ : رَدَّاهُ : أَي أَبْسَه الرَّدَاءَ . والبهَا ، هي : البهَاء ، وَسَهَّلْتُ الهمزة .

(١٣) فِي الْإِسَاس : فَلَان يُقَارِضُ النَّاسَ مِقَارِضَةً : يُلَاحِظُهُمْ وَيُؤَاقِعُهُمْ (كَالشَّاتِمَةِ) وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ : إِنْ قَارِضْتَ النَّاسَ قَارِضُوكَ وَإِنْ تَرَكْتَهُمْ لَمْ يَتْرُكُوكَ !

(١٤) فِي الْإِسَاس : طَمَسَ الْأَثَرَ ، وَطَمَسَتْهُ الرِّيحُ (أَي يَكُونُ الْفِعْلُ لَازِمًا وَيَجِيءُ مُتَعَدِّيًا) .
 (١٥) الْأَرْضِي : الْعَسَلُ .

(١٧) فِي شَعْرِ أَبِي نَوَاسٍ (دِيَوَانُهُ : ١٩٤) :

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لِبَيْبٍ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقٍ
 (١٨) الثَّفَالُ : الْحَجَرُ الْأَسْفَلُ مِنَ الرَّحَى .

(٢٠) الْمَعْنَى الْعَامُ لِعِبَارَةِ « شَقَّ الْعَصَا » هُوَ : خَالَفَ الْجَمَاعَةَ وَشَقَّ اجْتِمَاعَهُمْ . وَيُرِيدُ الشَّاعِرُ بِـ « شَقَّ عَصَا الدُّنْيَا » مَخَالَفَتَهَا وَاتِّبَاعَ أَوَامِرِ اللَّهِ وَاجْتِنَابَ نَوَاهِيهِ .

(٢١) تَجْمَعُ كَلِمَةُ (أُمَ) عَلَى أَمَاتٍ وَأَمَهَاتٍ ؛ وَالْأَغْلَبُ أَنْ تَجِيءَ أَمَاتٌ لَغَيْرِ الْعَاقِلِ ، وَأَمَهَاتٌ لِلْعَاقِلِ .

(٢٣) الرِّيشُ وَالرَّيشُ : بِمَعْنَى ، وَهُوَ اللَّبَاسُ الْفَاحِشُ .. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ [الْأَعْرَافُ ٢٦/٧] :
 يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ .

- ٢٦ وَ عَنَت لِقِيُومِ السَّمَاوَاتِ الْعُلَا
 ٢٧ وَ جَلَالِ رَبِّي لَوْ تَصِحُّ عَزَائِمِي
 ٢٨ وَأَخَذْتُ زَادِي مِنْكَ مِنْ عَمَلِ التَّقَى
 ٢٩ وَ حَطَّطْتُ رَحْلِي تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى
 ٣٠ مَهْلًا عَلَيْكَ فَسَوْفَ يَلْحَقُكَ الْفَنَاءُ
 ٣١ وَ يُعِيدُنَا رَبُّ أَمَاتَ جَمِيعِنَا
 ٣٢ وَاللَّهِ مَا الْمَحْبُوبُ عِنْدَ مَلِكِهِ
 ٣٣ هَجَرَ الْغَوَانِي وَاصِلًا لِعَقَائِلِ
 ٣٤ إِنِّي أَرَقْتُ لَهُنَّ لَا لِحَمَائِمِ
 ٣٥ لَا عَيْشَ يَصْفُو لِلْمُلُوكِ وَإِنَّا
 ٣٦ وَمِنْ الْإِلَهِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَاتُهُ

(٢٦) في التزويل الحكيم [طه ١١١/٢٠] قوله تعالى : ﴿ وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ لِقِيُومٍ وَ قَدْ خَابَ

مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ . ومعنى عنت : خضعت وذلت .

(٢٧) قوله : وَ جَلَالِ رَبِّي ؛ الواو هنا للقسم .

(٢٨) يَشْنَاكَ : أصلها : يَشْنُوكُ ثم سَهَلَتِ الْهَمْزَةُ ، ومعناه يَبْغِضُكَ .

(٢٩) الْعَقَائِلُ : جمع العقيلة ، وهي من النساء : الكريمة الْمُخَدَّرَةُ النفيسة . والمقصود بهن هنا :

الخور العين . والغواني جمع الغانية وهي في اللغة المرأة الْمُسْتَغْنِيَةُ بحسنها عن الزينة والأصباغ ، والمقصود بهن هنا نساء الدنيا .

(٣٤) الْهُدَى : ذكر الحمام . وفي أساطيرهم : الهدى فرخ كان على عهد نوح عليه السلام فصاده جراح

من الطير ، فليس من حمامة إلا وتبكي عليه إلى يوم القيامة ! (حياة الحيوان ٤٥١/٢) .

(٣٦) قلت : الظاهر من البيت أنه يريد بالأملاك : الملائكة ولم يرد هذا الجمع .

- وفي القاموس : الْمَلَكُ تجمع على ملائكة وملائك . وقد تكون الأملاك تحريف

(الأفلاك) : جمع فلَك وهذا يناسب النجوم المذكورة في البيت .

وله - رضي الله عنه -

[تبدأ القصيدة بلوم ذاتي (١ - ٦) فإن أعمال الشاعر كما يقول
تَقَصَّرُ عَنْ أَنْ تَنْفَعَهُ ، وَلَا أَمَلُ إِلَّا فِي عَفْوِ اللَّهِ تَعَالَى . وانتقل إلى واعظ
الشييب (٧ - ٩) الذي كاد يَزْجِرُهُ لَوْلَا فِتْنَةُ الدُّنْيَا (١٠ - ١٣) التي
يشغل حُبُّهَا عَنْ كُلِّ عَمَلٍ صَالِحٍ ، وَمَرَّ عَلَى ذِكْرِ الْعَالَمِ الْخَاسِرِ الَّذِي تَشْغَلُهُ
الدُّنْيَا بِمَا فِيهَا (١٤ - ١٦) وعلى ورطة المال والنشب وعَرَضَ الْحَيَاةِ
(١٥ - ٢٢) وتوقف عند أخبار من مضى من القرون (٢٣ - ٢٩)
واعتبر بأحوالهم (٣٠ - ٣٢) وعقب ببيت أخير ختم به القصيدة في
موضوع مُرَاقَبَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ] .

[من الكامل]

- | | | |
|---|----------------------------|----------------------------|
| ١ | لو كنتُ في ديني من الأبطال | ما كنتُ بالواني ولا البطال |
| ٢ | ولبستُ منه لأمةً فضفاضةً | مسرودةً من صالح الأفعال |
| ٣ | لكنني عطلتُ أقواس التقي | من نبليها فرمت بغير نبال |
| ٤ | ورمى العدو بسهميه فأصابني | إذ لم أحصنُ جنةً لنضال ! |

-
- (١) الونى : الفترة . وناقاة وانية : فاترة . والبطال من بطل في حديثه : هزل . ورجل بطال :
ذو باطل ، بين البطول .
(٢) اللأمة : الدرع .
(٣) الجنة : ما بقي ويحمي .
(٤)

- ٥ فَأَنَا كَمَنْ يُلْقَى الْكُتَيْبَةَ أَغْزَلًا
 ٦ لَوْلَا رَجَاءُ الْعَفْوِ كُنْتُ كَنَاقِعِ
 ٧ شَابَ الْقَذَالُ فَإِنْ لِي أَنْ أَرْعَوِي
 ٨ وَلَوْ أَنِّي مُسْتَبْصِرٌ إِذْ حَلَّ بِي
 ٩ فَظَنَرْتُ فِي زَادِ لِدَارِ إِقَامَتِي
 ١٠ فَلَكُمْ هَمَمْتُ بِتَوْبَةٍ فَمُنِعْتُهَا
 ١١ وَيَعِزُّ ذَاكَ عَلَيَّ إِلَّا أَنِّي
 ١٢ وَوَصَلْتُ دُنْيَا سَوْفَ تَقْطَعُ شَأْنِي
 ١٣ شَغَلْتُ مُفَتَّنَ أَهْلِهَا بِفُتُونِهَا
 ١٤ لَا شَيْءَ أَخْسَرَ صَفْقَةً مِنْ عَالِمِ
 ١٥ فَعَدَا يَفَرِّقُ دِينَهُ أَيْدِي سَبَا
 ١٦ لَا خَيْرَ فِي كَسْبِ الْحَرَامِ وَقَلَمًا
 فِي مَازِقٍ مَتَعَرِّضًا لِنِزَالِ
 بَرَحِ الْغَلِيلِ بِرَشْفٍ لَمْعِ الْآلِ
 لَوْ كُنْتُ مَتَّعِظًا بِشَيْبِ قَذَالِ
 لَعَلَّمْتُ أَنَّ حُلُولَهُ تَرَحَالِي
 وَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَحُلَّ عِقَالِي
 إِذْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا لَهَا، وَبَدَا لِي
 مُتَقَلِّبٌ فِي قَبْضَةِ الْمُتَعَالِي
 بِأَقْوَلِ أَنْجُمِهَا وَخَسْفِ هِلَالِي
 وَمِنْ الْمُحَالِ تَشَاغُلَ بِمُحَالِ
 لَعِبْتُ بِهِ الدُّنْيَا مَعَ الْجُهَّالِ
 وَيُزِيلُهُ حِرْصًا لِيَجْمَعَ الْمَالِ
 يُرْجَى الْخُلَاصُ لِكَاسِبٍ لِحَلَالِ!

- (٥) نَوْنُ كَلِمَةِ (أَغْزَل) : ضَرْوَةٌ .
 (٦) الْغَلِيلُ : الْعَطَشُ أَوْ شِدَّتُهُ . وَتَقَعُ الْمَاءُ غَلْتَهُ : رَوَى . وَالْآلُ : السَّرَابُ .
 (٧) الْقَذَالُ : جَمَاعٌ مَوْخِرُ الرَّأْسِ . وَمَعْلُومٌ أَنَّ الشَّيْبَ - عَادَةً - يَبْدَأُ بِالْفُؤْدَيْنِ مِنْ جَانِبِي الرَّأْسِ :
 فَإِذَا شَابَ الْقَذَالُ فَقَدْ اسْتَشْرَى الشَّيْبُ ، وَغَظُمَ الْوَاعِظُ .
 (١٠) بَدَا لَهُ فِي الْأَمْرِ بَدَاءٌ أَيْ نَشَأَ لَهُ فِيهِ رَأْيٌ ، وَقَالَ الْفَرَّاءُ : بَدَا لِي بَدَاءٌ أَيْ ظَهَرَ لِي رَأْيٌ آخَرُ .
 يَقُولُ الشَّاعِرُ : كَمْ هَمَمْتُ بِأَنْ أَتُوبَ . فَحَالَاتُ دُونَ ذَلِكَ حَوَائِلُ ، وَصَرَفْتَنِي عَنْهَا النَّفْسُ ،
 وَزَيْنَ لِي غَيْرَ مَا هَمَمْتُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ .
 (١٢) فِي الْقَامُوسِ : اسْتَأْصَلَ اللَّهُ شَأْفَتَهُ أَذْهَبَهُ ... أَوْ أَزَالَهُ مِنْ أَصْلِهِ .
 (١٥) فِي اللِّسَانِ (سَبَا) : وَقَالُوا لِلْمُتَفَرِّقِينَ : ذَهَبُوا أَيْدِي سَبَا ، وَأَيْدِي سَبَا أَيُّ مُتَفَرِّقِينَ .

- ١٧ ما إِنَّ سَمِعَتْ بِعَائِلٍ تُكْوِيْ غَدًا بِالنَّارِ جَبَهَتُهُ عَلَى الْإِقْلَالِ
١٨ وَإِذَا أَرَدْتَ صَحِيحَ مَنْ يُكْوِيْ بِهَا فَاقْرَأْ عَقِيْبَةَ سُورَةِ الْأَنْفَالِ
١٩ مَا يَثْقُلُ الْمِيزَانُ إِلَّا بِأَمْرِيْ قَدْ خَفَّ كَاهِلُهُ مِنَ الْأَثْقَالِ
٢٠ فَخَذِ الْكَفَّافَ وَلَا تَكُنْ ذَا فَضْلَةٍ فَالْفَضْلُ تُسَالُّ عَنْهُ أَيُّ سُؤَالِ
٢١ وَدَعِ الْمَطَارِفَ وَالْمُطَيَّيَّ لَا أَهْلَهَا وَاقْنَعْ بِأَطْمَارٍ وَلُبْسٍ نِعَالِ
٢٢ فَهُمْ وَأَنْتَ وَفَقَرُنَا وَغِنَاهُمْ لَا يَسْتَقِرُّ وَلَا يَدُومُ بِحَالِ
٢٣ وَطُفِ الْبِلَادَ لَكِي تَرَى آثَارَ مَنْ قَدْ كَانَ يَمْلِكُهَا مِنَ الْأَقْيَالِ

(١٧) عال : افتقر ، والعائل : الفقير .

(١٨) في سورة التوبة [٢٤/٩ - ٣٥] : ﴿ الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ . يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ . وسورة التوبة تعقب سورة الأنفال .

(١٩) الأثقال : جمع ثقل ، والمقصود به الذنوب . وقوله : يَثْقُلُ الْمِيزَانُ أَي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، والمعنى قرأني ؛ وفي سورة الأعراف [٨/٧] : ﴿ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

(٢٠) عن أبي سعيد الخدري قال : بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ عَلَى رَاحِلَةٍ لَهُ فَجَعَلَ يَصْرِفُ بَصْرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : « مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ فَلْيَعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ . وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ فَلْيَعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ » فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ .

(٢١) المطارف : جمع المطرف (بكسر الميم وضمها) وهو رداء أو ثوب من خَزٍّ مَرَبَّعٍ ذو أعلام .

- أطمار : جمع طمر : وهو الثوب الخلق البالي .

يريد : اقنع بالثياب البالية واكتف بالمشي (كُنِيَ عَنْ ذَلِكَ بِعِبَارَةِ لِبْسِ النِّعَالِ) وَأَعْرَضَ عَنْ رُكُوبِ الْمُطَيَّيَّ (فَعَلَ الْأَغْنِيَاءُ وَالْوُجَهَاءُ وَغَيْرُهُمْ) .

(٢٣) الأقيال :- جمع القيل - الملوك .

- ٢٤ عَصَفَتْ بِهِمْ رِيحُ الرَّدَى فَذَرَتْهُمْ
 ٢٥ وَتَزَلَزَلَتْ بِهِمُ الْمُنَابِرُ بَعْدَ مَا
 ٢٦ وَاحْبِسُ قَلْوَصَكَ سَاعَةً بَطْلُولِهِمْ
 ٢٧ فَلَكُمْ بِهَا مِنْ أَرْقَمٍ صِلٌ وَكَمْ
 ٢٨ وَلَكُمْ غَدَتْ مِنْهَا وَرَاحَتْ حَلْبَةٌ
 ٢٩ فَتَقَطَّعَتْ أَسْبَابُهُمْ وَتَمَزَّقَتْ
 ٣٠ وَإِذَا أَتَيْتَ قُبُورَهُمْ فَاسْأَلْهُمْ
 ٣١ فَسَيُخْبِرُونَكَ إِنْ فَهِمْتَ بِحَالِهِمْ
 ٣٢ إِنَّا بِهَا رَهْنٌ إِلَى يَوْمِ الْجَزَا
 ٣٣ مَنْ لَا يَرِاقِبُ رَبَّهُ وَيَخَافُهُ
- ذَرَوْ الرِّيَّاحِ الهَوْجِ حِقْفَ رِمَالِ
 ثَبَّتْ وَكَانُوا فَوْقَهَا كَجِبَالِ
 وَاحْذَرُ عَلَيْكَ بِهَا مِنَ الْأَغْوَالِ
 قَدْ كَانَ فِيهَا مِنْ مَهَاءٍ وَغَزَالِ
 لِلْحَرْبِ يَقْدُمُهَا أَبُو الْأَشْبَالِ
 وَلَقَبْلَ مَا كَانُوا كَنْظُمِ لَالِ
 عَمَّا لَقُوا فِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ
 بِعِبَارَةٍ كَالْوَحْيِ لَا بِمَقَالِ
 بِجَرَائِمِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ
 تَبَّتْ يَدَاؤُهُ وَمَا لَهُ مِنْ وَالِ

(٢٤) الحِقْفُ : الْمُعْوَجَّ مِنَ الرَّمْلِ ، أَوِ الرَّمْلُ الْعَظِيمُ الْمُسْتَدِيرُ أَوِ الْمُسْتَطِيلُ الْمُشْرِفُ .
 (٢٦) الْأَغْوَالُ جَمْعُ الْغُولِ : وَهُوَ كُلُّ مَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي فَأَهْلَكَهُ . وَتُجْمَعُ أَيْضاً عَلَى غِيلَانِ .

(٢٧) الْأَرْقَمُ : جَمْعُهَا الْأَرَاقِمُ وَهِيَ الْحَيَاتُ الرُّقْشُ ، وَالصَّلَّ : الْحَيَّةُ الَّتِي لَا تَقْبَلُ الرُّقَى !
 (٣١) فِي الْأَسَاسِ : أَوْحَى إِلَيْهِ وَأَوْمَى بِمَعْنَى . أَيِ يُخْبِرُونَكَ بِلِسَانِ الْحَالِ لَا بِلِسَانِ الْمَقَالِ .
 (٣٣) اقْتَبَسَ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ سُورَةِ الْمَسَدِ [١/١١] وَمِنْ سُورَةِ الرَّعْدِ [١١/٣] : ﴿ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ .

وله أيضاً - رحمه الله -

[في القصيدة حرب شعواء على الدنيا : وقد تجاوزت مفردات الشاعر وعباراته مع حرارة الغضبة على الدنيا .
بدأ الشاعر فتمنى لو يعرف خبيراً « طبياً » يعالجه من أخطائه وجهله ، حتى إذا صحَّ واستقامت له الطريقة . عرف : فبصق في وجه الدنيا وصرف نفسه وهمه عن مغرياتها (١ - ٦) ثم التفت الشاعر إلى أحواله وقد بلغ الستين وشاب رأسه وصار على وشك سماع صوت حادي الرحيل الأخير (٧ - ٩) وحين يحمله أصحابه إلى الجذث (١٠ - ١١) سيكون هناك بين حالين لا ثالث لهما فإما طريق الجنة وإما طريق النار ، وراجع الشاعر أوراقه (١٢ - ١٧) وتلَوَّم على ماضى من دهره وهو غافل أو في ظل أيام الصبا والتصابي ، وتطلع إلى التوبة النصوح التي تكفل له إطلاق سراحه من أسر الدنيا والخطايا (١٨ - ١٩) ووقف . عند الملاذ الأخير وهو رجاء الرحمة والمغفرة (٢٠)] .

[من الوافر]

- | | | |
|---|---|---------------------------------------|
| ١ | أَلَا خَبِيرٌ بِمُنْتَزِحِ النَّوَاحِي | أَطِيرُ إِلَيْهِ مَنشُورَ الْجَنَاحِ |
| ٢ | فَأَسْأَلُهُ وَالْطِّفَةَ عَسَاءُ | سِأَسُو مَا بِيَدِي مِنْ جِرَاحِ |
| ٣ | وَيَجْلُو مَا دَجَا مِنْ لَيْلِ جَهْلِي | بُنُورِ هُدًى كَمُنْبِلِجِ الصَّبَاحِ |

(١) خَبِيرٌ : مثل خبير : يقال هو خابر وخبير وخَيْرٌ وخَيْرٌ . ونزح وانتزح : بُعِدَ ، وَالْمُنْتَزِحُ : البعيد .

(٢) أَسَا الجرحَ والمرِيضَ ، يَأْسُوهُ ، أَسُوءاً وَأَسْأُ : داواه .

- ٤ فَأَبْصُقُ فِي مُحَيَّا أُمِّ دَفْرِ وَأَهْجُرُهَا وَأَدْفَعُهَا بِرَاحِي
- ٥ وَأَصْحُو مِنْ حُمَيَّاها وَأَسْلُو عَفَافاً عَنْ جَاذِرِهَا الْمِلَاحِ
- ٦ وَأَصْرِفُ هِمَّتِي بِالْكُلِّ عَنْهَا إِلَى دَارِ السَّعَادَةِ وَالنَّجَاحِ
- ٧ أَفِي السَّيِّئِ أَهْجَجِعُ فِي مَقِيلِي وَحَادِي الْمَوْتِ يُوقِظُ لِلرَّوَّاحِ
- ٨ وَقَدْ نَشَرَ الزَّمَانُ لِوَاءَ شَيْبِي لِيَطْوِينِي وَيَسْلُبْنِي وَشَاحِي
- ٩ وَقَدْ سَلَ الْجِهَامُ عَلَيَّ نَصْلاً سَيَقْتُلُنِي وَإِنْ شَاكَتْ سِلَاحِي
- ١٠ وَيَحْمِلُنِي إِلَى الْأَجْدَاثِ صَحْبِي إِلَى ضَيْقٍ هُنَاكَ أَوْ أَنْفِسَاحِ
- ١١ فَأَجْزِي الْخَيْرَ إِنْ قَدَّمْتُ خَيْراً وَشَرّاً إِنْ جُزِيتُ عَلَى اجْتِرَاحِي
- ١٢ وَهَذَا أَنَاذًا عَلَى عِلْمِي بِهَذَا بَطِيءُ الشَّأْوِ فِي سَنَنِ الصَّلَاحِ
- ١٣ وَلِي شَأْوٌ بِمِيدَانِ الْخَطَايَا بَعِيدٌ لَا يُبَارَى بِالرِّيَاحِ

(٤) استأنف الحديث في هذا البيت ، فقال : فَأَبْصُقُ ، وقد ضبطت الأفعال التالية أيضاً

بالرفع . ونصبها أجرى للسياق والمعنى .

- أُمِّ دَفْرِ : الدنيا . وَالْمُحَيَّا : جماعة الوجه ، أَوْ حُرَّة .

(٥) الْحُمَيَّا من الكأس : أول سُورَتِهَا أَوْ شَدَّتْهَا أَوْ أَخَذَهَا بِالرَّأْسِ .

- جعل الشاعر الانشغال بالدنيا كالاستغراق في سُورَةِ الشَّرَابِ .

- وَالْجَاذِرُ جمع : الجَوْدَرُ ، وهو في اللغة : ولد البقرة الوحشية ويكثر تشبيه المرأة (الفتاة

خصوصاً) بِالْجَوْدَرِ .

(٩) الشُّوكَةُ : السلاح ، أَوْ جِدَّتِهِ . وَرَجُلٌ شَاكَ السِّلَاحَ وَشَاكَهُ وَشَاكَهُ : حديدته .

وَشَاكَ : ظهرت شُوكَتُهُ وَحَدَّتِهِ .

(١٠) فِي كَشْفِ الْخَفَا ٩٠/٢ : « الْقَبْرِ رَوْضَةً مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ أَوْ حُفْرَةٍ مِنْ حَفْرِ النَّارِ » رَوَاهُ

الترمذي والطبراني عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، وَكِلَاهُمَا بِهِ مَرْفُوعاً بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ .

(١٢) سَنَنِ الطَّرِيقِ : نَهْجِهِ وَجِهَتِهِ .

(١٣) الشَّأْوُ : الشَّوْطُ ، وَالْمَدَى ، وَالْغَايَةُ وَالْأَمَدُ .

- ١٤ فَلَو أَنِّي نَظَرْتُ بَعَيْنِ عَقْلِي إِذْن لَقَطَعْتُ دَهْرِي بِالنِّيَاحِ
 ١٥ وَلَمْ أَسْحَبْ ذِيُولِي فِي التَّصَابِي وَلَمْ أَطْرَبْ بِغَانِيَةِ رَدَاحِ
 ١٦ وَكُنْتُ الْيَوْمَ أَوْبَاءً مُنِيْباً لَعَلِّي أَنْ تَفُوزَ غَدًا قِدَاحِي
 ١٧ إِذَا مَا كُنْتُ مَكْبُولَ الْخَطَايَا وَعَانِيَهَا فَمَنْ لِي بِالْبَرَّاحِ؟
 ١٨ فَهَلْ مِنْ تَوْبَةٍ مِنْهَا نَصُوحِ تُطَيِّرُنِي وَتَأْخُذُ لِي سَرَاحِي
 ١٩ فَيَا لَهْفِي إِذَا جُمِعَ الْبَرَايَا عَلَى حَزْبِي لَدَيْهِمْ وَافْتِضَاحِي
 ٢٠ وَلَوْلَا أَنَّنِي أَرْجُو إِلَهِي وَرَحْمَتَهُ يَسْتُ مِنْ الْفَلَاحِ

(١٤) في اللسان : « ناحت المرأة تنوح نوحاً ونواحاً ونياحاً ونياحةً ومناحةً . وناحت عليه » .

وناحت المرأة على الميت : بكّت عليه بجزع وعويل .

(١٥) يقال : امرأة رداح : ضخمة الردف سمينة الأوراك .

(١٦) القِدَح : واحد قِدَاح المُتَبَرِّ التي كانوا يَسْتَقْسِمُونَ بها وفاز قدحه أي ربح .

(١٧) المكبول : اسم المفعول من كَبَلَه : قَيَدَه بالكبل وهو الحبل الغليظ .

- والعاني : الأسير .

- والبرّاح : المتسع من الأرض (لا نبات فيه ولا شجر) .

أراد الأرض التي يَكُونُ فيها طليقاً لا مقيداً أسيراً .

(١٨) في سورة التّحرّم [٨/٦٦] : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً ﴾ .

والتوبة النصوح : البالغة الخالصة ، لا يُعاود بعدها الذنب .

(١٩) في الأصل : على حِزْبِي ، مضبوطة بالشكل ، ورجّحت ما أثبت ؛ والْحَرْبُ (بفتحتي)

وبالراء المُهْمَلَة : الويل والهلاك .

وقال أيضاً - رحمه الله -

[عالج الشاعر مشكلة انغاس الإنسان في المعصية أو مقارفته لها
(٨ - ١) والتفت إلى الدنيا الغدّارة ووصف غدرها بن يركن إليها
(٩ - ١١) ووازن بين المسوّف أمور آخرته والمُستدرك لها (١٢ - ١٣)
والتفت الشاعر ليستجير بالله تعالى ويدعوه دعوة إلحاف ليجيره مما
يخاف (١٤)] .

[من الكامل]

١	أَحُورُ عَنْ قَصْدِي وَقَدْ بَرِحَ الْخَفَا	وَوَقَفْتُ مِنْ عُمَرِي الْقَصِيرِ عَلَى شَفَا
٢	وَأَرَى شُؤْنَ الْعَيْنِ تُمْسِكُ مَاءَهَا	وَلَقَبْلَ مَا حَكَّتِ السَّحَابَ الْوُكْفَا
٣	وَأُخَالُ ذَاكَ لِعَبْرَةٍ عَرَضَتْ لَهَا	مِنْ قَسْوَةٍ فِي الْقَلْبِ أَشْبَهَتْ الصَّفَا
٤	وَلَقَلَّ لِي طُولُ الْبُكَاءِ لِهَفْوِي	فَلَرَبِّمَا شَفَعَ الْبُكَاءُ لِمَنْ هَفَا

(١) في الأساس : في المثل : بَرِحَ الْخَفَاء ؛ أي : وضع الأمر وزالت خَفِيَّتُهُ .

- وَالشَّفَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَرْفُهُ ، يُقَالُ : هُوَ عَلَى شَفَا هَلَاكٍ .

(٢) وَكَفَ : قَطَرَ ، وَنَاقَةً وَكَوَفٌ : غَزِيرَةٌ .

- وَشُؤْنُ الْعَيْنِ : مَجَارِي الدَّمْعِ مِنْهَا .

(٣) الصَّفَا جَمْعُ الصَّفَاةِ : الْحَجَرُ الْعَرِيضُ الْأَمْلَسُ ، وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ قَسْوَةِ الْقَلْبِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

فِي عِدَدٍ مِنَ الْآيَاتِ وَمِنْهَا فِي سُورَةِ الزَّمْرِ [٢٢/٣٩] : ﴿ قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ

اللَّهِ ﴾ .

(٤) هَفَا الرَّجُلُ : سَقَطَ وَذَلَّ .

- ٥ إِنَّ الْمَعَاصِي لَا تَقِيمُ بِمَنْزِلٍ إِلَّا لِتَجْعَلَ مِنْهُ قَاعاً صَفْصَفاً
٦ وَلَوْ أَنِّي دَاوَيْتُ مَعْطَبَ دَائِهَا بِمَرَاهِمِ التَّقْوَى لَوَافَقْتَ الشِّفَا
٧ وَلَعِفْتُ مَوْرِدَهَا الْمَشُوبَ بِرَنْقِهَا وَعَسَلْتُ رَيْنَ الْقَلْبِ فِي عَيْنِ الصِّفَا
٨ وَهَزَمْتُ جَحْفَلَ غِيَّهَا بِإِنَابَةٍ وَسَلَّتُ مِنْ نَدَمٍ عَلَيْهَا مُرْهَفاً
٩ وَهَجَرْتُ دُنْيَا لَمْ تَزَلْ غَدَّارَةً بِمُؤْمَلِيهَا الْمُمَحْضِينَ لَهَا الْوَفَا
١٠ سَحَقْتَهُمْ وَدِيَارَهُمْ سَحَقَ الرَّحَا فَعَلَيْهِمْ وَعَلَى دِيَارِهِمُ الْعَقَا
١١ وَلَقَدْ يُخَافُ عَلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْجَزَاءِ النَّارُ إِلَّا إِنْ عَفَا
١٢ إِنَّ الْجَوَادَ إِذَا تَطَلَّبَ غَايَةً بَلَغَ الْمَدَى مِنْهَا وَبَذَّ الْمُقْرِفَا
١٣ شَتَّانَ بَيْنَ مُشْمِرٍ لِمَعَادِهِ أَبَدًا وَآخِرَ لَا يَزَالُ مُسَوِّفَا
١٤ إِنِّي دَعْوَتُكَ مُلْحِفاً لِتَجِيرَنِي مِمَّا أَخَافُ فَلَا تَرُدَّ الْمُلْحِفَا

(٥) الصَّفْصَف : المستوي من الأرض لا نبات فيه . وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ [طه ١٠٦/٢٠] .

(٧) الرَّنَق : ترابٌ في الماء من القذى ونحوه . والرَّين و (الرَّان) الغطاء والحجاب الكثيف ، والصدأ يعلو الشيء الجلي كالسيف والمرأة ونحوهما ، والدَّنَس ، والرَّين : ما غطى على القلب وركبه من القسوة للذنوب بعد الذنب .

(١٠) عفا الأثر عفاءً : هلك .

(١٢) المقرف من الفرس وغيره : ما يُداني الهجين ؛ والهجنة من قبل الأم ، والإقراف من جهة الأب . والفرس المقرف دون الأصيل .

(١٤) ألح عليه : ألح به .

وقال - رحمة الله عليه -

[تدور القصيدة على استرسال مَنْ بَلَغَ درجةَ الشَّيْخوخة وفي نفسه
تعلق بالدنيا وأسبابها . وينبه الشاعر على سَخَف موقف العجوز المتصابي
وأَنه لا يليق به إلا الانتهاء عن الغيِّ والالتفات إلى التَّقوى .
بدأ الحديث بالكلام على الشَّيب (١) واسترسالَ نفسِ الشاعر مع
الصَّبَّوات على رغم التقدم في السَّن وعلامات المشيب (٢ - ٣) ووصف
ما أخذ الزمان من ذلك العَجوز (٤ - ٧) ومكابرته في طلب ما في الدنيا
(٨ - ٩) وعدم اعتباره بفقد اللذات (١٠ - ١١) وصَرَح بالحديث عن
ذاتِهِ ويفخر بنفسه التي استجابت له لالا للشَّهوات (١٢ - ١٤) وختم
ببيتين (١٥ - ١٦) في خلاص النفس وأنَّ التوبة تمحو الذُّنوب] .

[من الكامل]

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | الشَّيبُ نَبَّهَ ذَا النُّهَى فَتَنَّبَهَا | ونَهَى الْجَهُولَ فَمَا اسْتَفَاقَ وَلَا انْتَهَى |
| ٢ | بَلْ زَادَ نَفْسِي رَغْبَةً فَتَهَافَّتْ | تَبْغِي اللَّهَى وَكَأَنَّ بِهَا بَيْنَ اللَّهَِا |
| ٣ | فَإِلَى مَتَى أَلْهُو وَأَفْرَحُ بِالْمُنَى | وَالشَّيْخُ أَقْبَحُ مَا يَكُونُ إِذَا لَهَا |
| ٤ | مَا حُسْنُهُ إِلَّا التَّقَى لَا أَنَّ يُرَى | صَبًّا بِالْحَاطِظِ الْجَاذِرِ وَالْمَهَا |

(٢) اللُّهى : جُ لُهىة وهي العطية . واللُّها جمع اللُّهىة ، وهي اللحمة المُشرفة على الحلق . قلت
لعلَّ المعنى : أَنَّ نفسه تهافتت في طلب العَرَض من الحياة الدنيا ، ولكنه هو يحذرها من
الموت الذي يُمكن أن يأتي بغتة (وكأنَّ بها) . وقد كرَّر الشاعر هذا المعنى في مطلع قصيدة
أُخرى ، فقال [القصيدة ذات الرِّقم ١٠] :

كأنِّي بنفسي وهي في السُّكرات تعالج أنْ تَرْقَى إلى اللُّهواتِ

- ٥ أَنَّى يُقَاتِلُ وَهُوَ مَقْلُولُ الطُّبَا كَابِي الْجَوَادِ إِذَا اسْتَقْلَّ تَأَوَّهَا
- ٦ مَحَقَ الزَّمَانُ هِلَالَهُ فَكَانَا أَبْقَى لَهُ مِنْهُ عَلَى قَدَرِ السُّهَا
- ٧ فَقَدْ حَسِيرًا يَشْتَهِي أَنْ يَشْتَهِي وَلَكُمْ جَرَى طَلَقَ الْجَمُوحِ كَمَا اشْتَهَى
- ٨ إِنَّ أَنْ أَوَاةً وَأَجْهَشَ فِي الْبُكََا لِذُنُوبِهِ ضَحِكَ الظُّلُومُ وَقَهَقَهَا
- ٩ لَيْسَتْ تُنْهِنُهُ الْعِظَاتُ وَمِثْلُهُ فِي سِنِّهِ قَدْ أَنْ يَتْنَهِنَهَا
- ١٠ فَقَدْ اللَّدَاتِ وَزَادَ غَيًّا بَعْدَهُمْ هَلَّا تَيَقَّظَ بَعْدَهُمْ وَتَنَبَّهَا؟
- ١١ يَا وَيْحَهُ مَا بَالُهُ لَا يَنْتَهِي عَنْ غِيٍّ؛ وَالْعُمُرُ مِنْهُ قَدْ انْتَهَى؟!
- ١٢ قَدْ كَانَ مِنْ شِيَمِي الدَّهَاءِ فَتَرَكْتُهُ عِلْمًا بِأَنَّ مِنَ الدَّهَاءِ تَرَكَ الدَّهَاءِ
- ١٣ وَلَوْ أَنَّنِي أَرْضَى الدَّنَاءَةَ خُطَّةً لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ أَحَقَّ أَبْلَهَا
- ١٤ فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْبُلَّةَ قَدْ بَلَغُوا الْمَدَى وَتَجَاوَزُوهُ وَازْدَرَوْا بِأُولِي النُّهَى

- (٥) الطُّبَا : جمع طبة : الطرف والحد من السيف والسنان والخنجر وما شابه ذلك .
- من معاني استقل : رفع ، وغضب . وهي في البيت تحمل معنى : نهض إلى الأمر .
- (٦) محق الزمان هلاله : أي أخفاه (في المحاق) حتى لم يبق منه إلا الأثر القليل .
والمحاق : آخر الشهر (ثلاث ليال من آخر الشهر ، وقيل غير ذلك) .
- السُّهَا : كوكب خفي ، يمتحن به الناس أبصارهم .
- (٧) الحسير : الذي أدركه التعب والإعياء والكلال . وقال أبو الطيب من قبل :
وَشَكَيْتِي فَقَدْ السَّقَامُ لِأَنَّهُ قَدْ كَانَ لَمَّا كَانَ لِي أَعْضَاءُ !
- (٨) جهشت نفس فلان وأجهشت : نهضت إليه وهم بالبكاء .
- (٩) نهضه عن الأمر : زجره (فتنهه : أي فانزجر) .
- (١٠) اللَّدَات : جمع لدة ، وهو المائل في الولادة (الْمَائِلُ فِي السِّنِّ) .
- (١٤) المقصود بالأبله هنا : الذي غلب عليه سلامة الصدر ، وحسن الظن بالناس : وفي الحديث :
أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْبُلَّةُ : أي البله عن أمر الدنيا لقلة اهتمامهم بها وهم أكياس في أمر الآخرة .
وَقُلَّ عَنْ الزَّبْرِقَانِ بْنِ بَدْرٍ : خَيْرُ أَوْلَادِنَا الْبُلَّةُ الْعَقُولُ ، يعني أنه لشدة حيائه كالأبله وهو =

- ١٥ مَنْ لَيْسَ يَسْعَى فِي الْخَلَاصِ لِنَفْسِهِ كَانَتْ سَعَايَتُهُ عَلَيْهَا لَا هُلَا !
 ١٦ إِنَّ الذُّنُوبَ بِتَوْبَةٍ تُمَحَّى كَمَا يَمْحُو سُجُودُ السَّهْوِ غَفْلَةً مَنْ سَهَا

= عقول . وقال أحمد بن حنبل في تفسير (استراح البُله) قال هم الغافلون عن الدنيا وأهلها وفسادهم وغلّهم فإذا جاؤوا إلى الأمر والنهي فهم العقلاء الفقهاء .
 (١٥) لم ترد « سعاية » مصدراً لسعى بمعنى : عمل أو مضى أو كسب . (انظر اللسان : سعى) .
 (١٦) السهو في اللغة : نسيان الشيء والغفلة عنه .
 - ومعنى سَهَا في الصَّلَاة : نَسِيَ شَيْئاً مِنْهَا .
 - وسجود السَّهْوِ (كما في معجم لغة الفقهاء : ٢٤٢) سجدتان كسجود الصَّلَاةِ تَوَدَّيَانِ في آخر الصَّلَاةِ عند حدوث سهو أو شكٍّ في الصَّلَاةِ .

وقال أيضاً - رضي الله عنه

[ينطلق الشاعر من بلوغ المرء سنّ الستين (وهو يخاطب مجهولاً : (يصحّ أن يكون يخاطب نفسه ويصحّ أيضاً أن يكون الخطاب عاماً) . فسنّ الستين نذيرٌ بالنهاية (١ - ٢) والموت يرصد ويتربّع فلا معنى للغفلة عنه (٣ - ٤) ويكونُ الزّمن قد أثر في جسد الإنسان وأعضائه (٧) وفي نزعاته ورغباته ، فالزّمن يؤثر في كلّ شيء (٨ - ١٠) . وفي منزل الفناء : (الدنيا) رحى الموت تطحن كل حيّ (١١ - ١٢) ولكن الإنسان - في العادة - يستغرق في غفلته (١٣ - ١٤) .

ويلوذ الشاعر أخيراً برحمة الله الواسعة ، والشفاعة المرجوة (١٥ - ١٨)] .

[من الخفيف]

١ قَدْ بَلَغْتَ السُّتَيْنِ وَيَحْكُ فاعْلَمْ أَنَّ مَا بَعْدَهَا عَلَيْكَ تَلَوُّمٌ

(١) في وقوف الشاعر عند سنّ الستين مُلَمَّحٌ من أحاديث نبوية . وفي حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين ، وأقلهم من يجوز ذلك » رواه ابن ماجه ١٤١٥/٢ ، وفي حديث طويل عن أنس بن مالك أن الرجل المسلم : « إذا بلغ الستين رزقه الله إنابةً يحبّه عليها .. » مسند أحمد ٨٩/٢ .
- في القاموس وغيره : تلوّم على الأمر : تلبث عليه ، وانتظر وتمكث . =

٢	فَإِذَا مَا انْقَضَتْ سِنُوكَ وَوَلَّتْ	فَصَلَ الْحَاكِمُ الْقَضَاءَ فَأَبْرَمَ
٣	أَنْتَ مِثْلُ السَّجَلِ يُشَرُّ حِينَا	ثُمَّ يُطَوَّى مِنْ بَعْدِ ذَاكَ وَيُخْتَمُ
٤	كَيْفَ يَلْتَذُّ بِالْحَيَاةِ لَيْبٌ	فَوَقَّتْ نَحْوَهُ الْمَنِيَّةُ أَسْهُمُ
٥	لَيْسَ يَدْرِي مَتَى يُفَاجِيهِ مِنْهَا	صَائِبٌ يَقْصِفُ الظُّهُورَ وَيَقْصِمُ
٦	مَا الْغُصْنِي ذَوَى وَكَانَ نَضِيراً	وَلِظَهْرِي انْحَنَى وَكَانَ مَقْشُومُ
٧	وَلِخَدَيَّ نَبَا وَكَانَ مُبِيراً	وَلِجَيْشِي انْتَنَى وَكَانَ عَرْمَرُمُ
٨	وَلِدَهْرِي أَدَالَ شَرْخَ شَبَابِي	بِمَشِيبٍ عِنْدَ الْحِسَانِ مُذَمَّمُ
٩	فَأَنَا الْيَوْمَ عَنْ هَوَاهُنَّ سَالٍ	وَقَدِيمَا بِهِنَّ كُنْتُ مُتَمِّمُ !
١٠	لَوْ بِرُوقِ الزَّمَانِ يُنْطَحُ يَوْمًا	رُكْنُ ثَهْلَانٍ هَذِهِ فَتَهْدَمُ
١١	نَحْنُ فِي مَنْزِلِ الْفَنَاءِ وَلَكِنْ	هُوَ بَابٌ إِلَى الْبَقَاءِ وَسَلَّمُ
١٢	وَرَحَى الْمَوْتِ تَسْتَدِيرُ عَلَيْنَا	أَبْدًا تَطْحَنُ الْجَمِيعَ وَتَهْشِمُ

= وأنشد ابن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣) لرجل لم يسمه (بهجة المجالس ٢/٢٩٠)

ليت شعري وما انتظاري وقد لا ح مشيبٌ بعارضي وقروني

يا ابن ستين ما اعتذارك من بعد بلوغ الأشد والستين !؟

(٣) السجل : الكتاب وفي البيت اقتباس من الأسلوب القرآني .

في سورة الأنبياء [١٠٤/٢١] : ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجْلِ لِلْكِتَابِ ﴾ .

(٤) الفوق : موضع الوتر من السهم ؛ وفوق السهم : جعل الوتر في فوقه عند الرمي (انظر ص

٣٣) .

(٧) العرمرم : الكثير من كل شيء ، أو الشديد من كل شيء ، ومنه : جيش عرمرم .

(٨) الإدالة : الغلبة ، وقوله : أدال شرح شبابي بمشيب ، المقصود : أنه ذهب بالشباب وعوض

منه مشيبا .

(١٠) الروق (روق الثور) : القرن . وثهلان : جبل .

(١١) منزل الفناء : كناية عن الحياة الدنيا .

- ١٣ وأنا مُوقِنٌ بِذَٰكَ عَٰلِمٌ وَفِعَالِي فِعَالٌ مِّنْ لِّسَ يَعْلَمُ
١٤ وكذا أَمَتَطِييَ الْهُوَيْنَا إِلَى أَنْ أَتَوَقَّى فَعِنْدَ ذَٰلِكَ أَنْدَمُ !
١٥ فَعَسَى مِّنْ لَّهِ أَغْفَرُ وَجْهِي سَيَرَى فَاقْتِي إِلَيْهِ فَيَرْحَمُ
١٦ فَشَفِيعِي إِلَيْهِ : حُسْنُ ظُنُونِي وَرَجَائِي لَهْ ، وَأَنِّي مُسْلِمُ
١٧ وَلَهْ الْحَمْدُ أَنْ هَدَانِي لِهَذَا عَدَدَ الْقَطْرِ مَا الْحَمَامُ تَرْنَمُ
١٨ وَإِلَيْهِ ضَرَاعَتِي وَابْتِهَالِي فِي مُعَافَاةِ شَيْبَتِي مِنْ جَهَنَّمُ

(١٤) معنى الهوينى في اللغة : التؤدة والرفق والسكينة والوقار ، ويريد الشاعر أن الإنسان طويل الأمل ، فهو يتناقل في طلب الآخرة ويرجئ ويؤجل ويُسَوِّف ، غفلة منه واسترسالاً .
(١٨) في كشف الحفا (٢٤٤/١) الحديث : « إن الله يستحي أن يُعَذَّبَ شَيْبَةً شَابَتْ فِي الْإِسْلَامِ » .
هكذا ذكره الغزالي في الدرة الفاخرة . ورواه السيوطي في الجامع الكبير عن ابن النجار بسند ضعيف بلفظين آخرين أحدهما : « إن الله ليستحي من عبده وأمته يشيان في الإسلام يعذبهما » .

وقال - رحمه الله - يندب نفسه ويذكرها المَعَاد

[الخيط الناظم لهذه القصيدة هو ذكر الموت وما يكون معه وبعده ، وذكر أحوال القبر ويوم المَعَاد .
وهي قصيدة تُشْرِفُ بالقارئ على أهوال الموت ، وتذكره بأحوال الآخرة .

يُصَوِّرُ الإلبيري في قصيدته آخر ساعات ابن آدم في الدنيا وأول ساعاته في الآخرة ، ويصف ما يكون عليه حال الجسد بعد الموت (١ - ٤) وحال القبر ، وصاحبه هو في ضيق أو في فُسْحَةٍ (٥ - ١٢) ويعترضُ بذكر ذنوبه ويضخمها على عادته (١٣ - ١٦) ويذكر أحوال الموت والميت (١٧ - ٢١) ويذكر النعش خاصة (٢٢ - ٢٣) ويميز بين صالح الأعمال وسيئها (٢٤ - ٢٩) ويعود إلى الموت ، ثم يقيم الشاعر حواراً مع أصحابه ويسألهم أن يرفقوا به عند وفاته (٣٠ - ٣٨) . ويرجع إلى الله تعالى طالباً العفو ، ساجداً له سجود تعظيم ، مقدماً بين يدي لقاء الآخرة طاعته واستغفاره [.

[من الطويل]

١ كَأَنِّي بِنَفْسِي وَهِيَ فِي السَّكَرَاتِ تَعَالِجُ أَنْ تَرْقَى إِلَى اللَّهَوَاتِ

(١) السَّكَرَاتُ هِيَ سَكْرَاتُ الْمَوْتِ ، وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُ (سَكْرَةِ الْمَوْتِ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سُورَةِ ق [١٩/٥٠] ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ .. ﴾ أَيْ غَشِيَتْهُ وَشَدَّتْهُ .

٢	وَقَدْ زَمَّ رَحْلِي وَاسْتَقَلْتُ رَكَائِي	وَقَدْ آذَنْتَنِي بِالرَّحِيلِ حُدَاتِي
٣	إِلَى مَنْزِلٍ فِيهِ عَذَابٌ وَرَحْمَةٌ	وَكَمْ فِيهِ مِنْ زَجْرٍ لَنَا وَعِظَاتٍ
٤	وَمِنْ أَعْيُنٍ سَالَتْ عَلَى وَجَنَاتِهَا	وَمِنْ أَوْجُهٍ فِي التُّرَابِ مُنْعَفِرَاتٍ
٥	وَمِنْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى مَا يَسْرُهُ	وَمِنْ وَارِدٍ فِيهِ عَلَى الْحَسَرَاتِ
٦	وَمِنْ عَائِثٍ مَا إِنْ يُقَالُ لَهُ : لَعَأٌ	عَلَى مَا عَهِدْنَا قَبْلُ فِي الْعَثَرَاتِ
٧	وَمِنْ مَلِكٍ كَانَ السُّرُورُ مِهَادَةً	مَعَ الْإِنْسَانِ الْخُرْدِ الْخَفِرَاتِ
٨	غَدَا لَا يَذُودُ الدَّوْدَ عَنْ حَرٍّ وَجْهِهِ	وَكَانَ يَذُودُ الْأَسَدَ فِي الْأَجْبَاتِ
٩	وَعَوْضٌ أَنْسَأَ مِنْ ظِبَاءٍ كِنَاسِهِ	وَأَرَامٍ بِالرُّقْشِ وَالْحَشَرَاتِ

وقول الشاعر : « تعالج أن ترقى إلى اللهوات » يعني الروح . واللهوات جمع اللهاة : وهي أقصى الفم ، واللحمة المشرفة على الحلق ، والمقصود مخرج النفس ! والمعنى قرآني مقتبس من سورة القيامة [٢٦/٧٥] ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾ . أي بلغت الروح أعالي الصدر وحشرت .

(٢) زَمَّ الشيء : شدّه .

والركائب جمع الركاب : وهي الإبل يُسَارُّ عليها ، ومعنى استقلت : سارت ، يقال : استقل القوم : أي ذهبوا واحتملوا سائرين وارتحلوا ، والحداء : جمع الحادي .

(٣) سبق الأثر المشهور : « القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة ... إلخ » راجع فهرس الأحاديث النبوية .

(٦) في الأساس : لعأ لك : دعاء بالانتعاش .

(٧) الخرد : جمع خريدة : وهي البكر أو الخفرة ، الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت ، المسترة .

(٩) أَرَام جمع رَم : الظبي الخالص البياض . والرُقش جمع الرقشاء : وهي الحية ، وسميت بذلك لرقشة جلدها .

- ١٠ وصَارَ بَيْطُنِ الْأَرْضِ يَلْتَحِفُ الثَّرَى
 ١١ وَلَمْ تُغْنِهِ أَنْصَارُهُ وَجُنُودُهُ
 ١٢ وَمَا شَجَانِي - وَالشُّجُونُ كَثِيرَةٌ -
 ١٣ وَأَقْلَقَنِي أَنِّي أُمُوتُ مُفَرِّطاً
 ١٤ وَأَغْفَلْتُ أَمْرِي بَعْدَهُمْ مُتَشَبِّطاً
 ١٥ إِلَى اللَّهِ أَشْكُو جَهْلَ نَفْسِي فَإِنَّهَا
 ١٦ وَيَا رَبَّ خِلْ كُنْتُ ذَا صِلَةٍ لَهُ
 ١٧ وَكُنْتُ لَهُ أَنْسَاءً وَشُمُوساً مُنِيرَةً
 ١٨ سَأُضْرِبُ فُسْطَاطِي عَلَى عَسْكَرِ الْبَلَى
 ١٩ وَأَرْكَبُ ظَهراً لَا يَوُوبُ بَرَائِبِ
 وَكَانَ يَجْرُ الْوُشْيَ وَالْحَبَرَاتِ
 وَلَمْ تَحْمِهِ بِالْبَيْضِ وَالْأَسْلَاتِ
 ذُنُوبٌ عِظَامٌ أُسْبَلْتُ عَبْرَاتِي
 عَلَى أَنِّي خُلِفْتُ بَعْدَ لِدَاتِي
 فَيَا عَجَباً مِنِّي وَمِنْ غَفْلَاتِي
 تَمِيلُ إِلَى الرَّاحَاتِ وَالشَّهَوَاتِ
 يَرَى أَنَّ دَفْنِي مِنْ أَجَلٍ صِلَاتِي
 فَأَفْرَدَنِي فِي وَحْشَةِ الظُّلُمَاتِ
 وَأَرْكُزُ فِيهِ لِلنُّزُولِ قَنَاتِي
 وَلَا يُمْتَطَى إِلَّا إِلَى الْهَلَكَاتِ

- (١٠) الحبرات جمع الحبرة : وهي ثوبٌ من قطن أو كتان مخطط كان يُصنع بالين .
 (١١) البيض : السيوف ، والأسلات جمع الأسلّة : وهي من النصل مستدقّه .
 والأسل : الرّماح الطوال ، (والمفردة أسلة) .
 (١٤) يُقال في الفعل : تَبَطَّطَ (وَتَبَطَّطَ بالتخفيف) أي رَيَّته ، وَثَبَّتَهُ ، وشغله .
 (١٦) للطبراني عن ابن عمر (رضي الله عنهما) مرفوعاً : « إذا مات أحدكم فلا تحبسه وأسرعوا به إلى قبره » . وفي لفظٍ له : « من مات في بكرةٍ فلا تقيّله » (أي لا تتركوه إلى وقت القائلة : نصف النهار) .
 وأورد العجلوني أقوالاً آخر في إيضاح العبارة المشهور « إكرام الميت دفنه » .
 - وقول الشاعر : (كنت ذا صِلَةٍ له) أي كان يصله ويبرّه ويحسن إليه .
 (١٨) الفُسطاط : مجتمع أهل المنطقة ، والسُرادق من الأبنية ، والشاعر يشير إلى الرحلة الأخيرة إلى القبر .
 (١٩) الإشارة واضحة إلى النعش .

- ٢٠ وليس يُرى إلا بِسَاحَةِ ظَاعِنٍ
 ٢١ يُسَيِّرُ أَذْنَى النَّاسِ سَيِّراً كَسِيرِهِ
 ٢٢ فَطَوَّراً تَرَاهُ يَحْمِلُ الشَّمَّ وَالرُّبَا
 ٢٣ وَرُبَّ حَصَاةٍ قَدَرُهَا فَوْقَ يَذْبُلٍ
 ٢٤ وَكُلُّ صَغِيرٍ كَانَ لِلَّهِ خَالِصاً
 ٢٥ وَكُلُّ كَبِيرٍ لَا يَكُونُ لَوَجْهِهِ
 ٢٦ وَلَكِنَّهُ يُرْجَى لِمَنْ مَاتَ مُحْسِناً
 ٢٧ وَمَا الْيَوْمَ يُمْتَازُ التَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ
 ٢٨ إِذَا رُوِّعَ الْخَاطِي وَطَارَ فُؤَادُهُ
- إِلَى مَصْرَعِ الْفَرَحَاتِ وَالْتِرَحَاتِ
 بِأَرْفَعِ مَنَعِيٍّ مِنَ السَّرَوَاتِ
 وَطَوَّراً تَرَاهُ يَحْمِلُ الْحَصِيَّاتِ
 كَمَقْبُولٍ مَا يُرْمَى مِنَ الْجَمَرَاتِ
 يُرَبِّي عَلَى مَا جَاءَ فِي الصَّدَقَاتِ
 فَمِثْلُ رَمَادٍ طَارَ فِي الْهَبَّاتِ
 وَيُخْشَى عَلَى مَنْ مَاتَ فِي غَمَرَاتِ
 وَلَكِنْ غَدًا يُمْتَازُ فِي الدَّرَجَاتِ
 وَأُفْرِخَ رَوْعَ الْبَرِّ فِي الْغُرَفَاتِ

(٢١) السَّروَاتُ جمع السَّراةِ ؛ والسَّرْوُ : مروءة في شرف .

(٢٣) يَذْبُلُ : جبل من جبال بلاد العرب .

- والإشارة واضحة إلى رمي الجمار في منى .

(٢٤) في التنزيل العزيز : ﴿ يَحْقُ اللَّهُ الرَّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة : ٢٧٦/٢] .

قال القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن (٣/٢٦٢) : « ويربي الصدقات : أي ينمّيها بالبركة في الدنيا ويكثر ثوابها بالتضعيف في الآخرة . وفي صحيح مسلم : إن صدقة أحدكم لتقع في يد الله فيريها له كما يُرَبِّي أحدكم فلوله أو فصيله حتى يجيء يوم القيامة وإن اللقمة لعلی قدر أحد » .

(٢٥) الهبوات : جَمْعُ الْهَبْوَةِ : الغبرة .

(٢٦) غمرة الشيء : شدته ومزدحه .

(٢٧) امتاز : انفرد .

(٢٨) في الأساس : من المجاز أفرخ روعك : أي خلا قلبك من الهم (خلو البيضة من الفرخ) . والمراد في أفرخ روعك (بفتح الراء) زوال ما يتوقعه المرتاع . وإذا زال ذلك انقلب الروع أمناً .

- ٢٩ وما يَعْرِفُ الْإِنْسَانُ أَيْنَ وَفَاتُهُ
 ٣٠ فَيَا إِخْوَتِي مَهْمَا شَهِدْتُمْ جَنَازَتِي
 ٣١ وَجِدُّوا ابْتِهَالاً فِي الدُّعَاءِ وَأَخْلَصُوا
 ٣٢ وَقُولُوا جَمِلاً إِنْ عَلِمْتُمْ خِلَافَهُ
 ٣٣ وَلَا تَصِفُونِي بِالَّذِي أَنَا أَهْلُهُ
 ٣٤ وَلَا تَتَنَاسَوْنِي فَقِدمَا ذَكَرْتُكُمْ
 ٣٥ وَبِالرَّغْمِ فَارَقْتُ الْأَحِبَّةَ مِنْكُمْ
 ٣٦ وَإِنْ كُنْتُ مَيِّتاً بَيْنَ أَيْدِيكُمْ لَقَى
 ٣٧ أَنَا جِئَكُمْ وَحِيّاً وَإِنْ كُنْتُ صَامِتاً
 ٣٨ وَلَيْسَ يَقُومُ الْجِسْمُ إِلَّا بِرُوحِهِ
 ٣٩ وَلَا بُدَّ يَوْماً أَنْ يَحُورَ بِعَيْنِهِ
 ٤٠ وَإِلَّا أَكُنْ أَهْلاً لِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ
 ٤١ فَمَا زِلْتُ أَرْجُو عَفْوَهِ وَجِنَانَهُ
- أَفِي الْبَرِّ أَمْ فِي الْبَحْرِ أَمْ بِفَلَاةٍ
 فَقُومُوا لِرَبِّي وَاسْأَلُوهُ نَجَاتِي
 لَعَلَّ إِلَهِي يَقْبَلُ الدَّعَوَاتِ
 وَأَغْضُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْ هَفَوَاتِي
 فَأَشْقَى وَحَلُّونِي بِخَيْرِ صِفَاتِ
 وَوَاصَلْتُكُمْ بِالْبَرِّ طَوَلَ حَيَاتِي
 وَلَمَّا تَفَارَقْنِي بِكُمْ زَفَرَاتِي
 فَرُوحِي حَيٌّ سَامِعٌ لِنُعَاتِي
 أَلَا كُلُّكُمْ يَوْماً إِلَيَّ سَيَاتِي
 هُوَ الْقُطْبُ وَالْأَعْضَاءُ كَالْأَدَوَاتِ
 لِيُجْزَى عَلَى الطَّاعَاتِ وَالتَّبِعَاتِ
 فَ رَبِّي أَهْلُ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَاتِ
 وَأَحْمَدُهُ فِي الْيُسْرِ وَالْأَزْمَاتِ

- (٢٩) المعنى من قوله تعالى : ﴿ وما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [لقمان ٣٤/٣١] .
 (٣٠) ترد (مهما) في استعمال الأندلسيين لمعنى الزمان والشرط أو تخلص للظرفية الزمانية . وقال ابن مالك : إن معنى الزمان والشرط مما أهله النحويون وأنكره عليه ابن هشام في المعنى (٣٦٨/١) والراجح ما قاله ابن مالك . وتنظر المناقشة في المعنى .
 (٣٢) في حديث ابن عمر عن رسول الله ﷺ : « اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم » (الفتح الكبير ١٦٢/١) .
 (٣٦) رجل لقي وملقى بمعنى . (في الخير والشر) .
 (٣٧) الوحي هنا : الرمز والإشارة : أي هو يناجيهم بلا كلام (بالعبارة) .
 (٣٩) الحور : الرجوع .

٤٢ وَأَسْجُدْ تَعْظِيمًا لَّهُ وَتَذَلُّلاً
٤٣ وَلَسْتُ بِمُتَمَنِّنٍ عَلَيْهِ بِطَاعَتِي
وَأَعْبُدُهُ فِي الْجَهْرِ وَالْخَلَوَاتِ
لَهُ الْمَنْ فِي التَّيْسِيرِ لِلْحَسَنَاتِ

(٤٣) في سورة الحجرات [١٧/٥٠] : ﴿ يَمَنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ، قُلْ : لَا تَمَنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمَنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ .

وقال أيضاً - رحمه الله - يعرّض برجل من الفقهاء كان يطلب الكيمياء^(☆)

[المقصود بطلب الكيمياء في هذه القصيدة محاولات القدماء تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة بمعالجات معقدة ذات تكاليف : كانوا يُنفقون فيها الوقت والمال بلا جدوى . وقد عدّ الشاعر مثل هذا العمل مجرد شهوة لتكثير المال والانشغال بالعرّض ؛ وجعل هذا مدخلاً إلى قصيدته التحذيرية من شهوات النفس .

يبدأ بالحديث عن النفس وميلها إلى (الباطل) وإلهائها الإنسان بلذّة عارضة (١ - ٣) ويلتفتُ باحثاً عن الحازم العالم العامل (٤ - ٧) واصفاً الورع المتقي (٨ - ٩) ويظهر الشاعر باحثاً عن يستأهل النصيحة الغالية من رجل يقظ واع (١٠ - ١٤) ويخاطب الذي ألهته الدُّنيا وغفل عن الآخرة ، ويقدم له الأدلة العقلية المتعددة على صنع الصانع المدبّر (١٥ - ٢١) . وهي أدلة يهتدي بها الفاضل المخلص ولا تغيب عن قلب المؤمن العاقل (٢٢ - ٢٣) .

(☆) الكيمياء : « علم يعرف به طرق سلب الخواص من الجواهر المعدنية وجلب خاصة جديدة إليها . قال : وذكر الصفدي الاختلاف في شأنه بين مقرر لهذا العلم ومنكر له .. وذكر يعقوب الكندي في رسالته تَعَذَّرُ فعل الناس لِمَا انفردت الطبيعة بفعله ، وخدع أهل هذه الصّناعة وحيلهم . وأبطل دعوى الذين يدّعون صنعة الذهب والفضة » . (كشف الظنون : ١٥٢٦/٢ - ١٥٣٣) .

[من السريع]

- ١ ما أُمِيلَ النَّفْسَ إِلَى الْبَاطِلِ وَأَهْوَنَ الدُّنْيَا عَلَى الْعَاقِلِ
- ٢ تُرْضِي الْفَتَى فِي عَاجِلِ شَهْوَةٍ لَوْ خَسِرَ الْجَنَّةَ فِي الْآجِلِ
- ٣ يَبِيعُ مَا يَبْقَى بِمَا يَنْقُضِي فِعْلَ السَّفِيهِ الْأَحْمَقِ الْجَاهِلِ
- ٤ يَأْمَنُ رَأَى لِي وَاصِلًا مُرْشِدًا وَإِنِّي أَكْلَفُ بِالْوَاصِلِ
- ٥ يَأْمَنُ رَأَى لِي عَالِيًا عَامِلًا فَالزَّمِ الْخِدْمَةَ لِلْعَامِلِ
- ٦ أَمْ مَنْ رَأَى لِي عَالِيًا سَاكِتًا وَعَقْلُهُ فِي عَالَمٍ جَائِلِ
- ٧ يَسْرَحُ فِي زَهْرِ رِيَاضِ النَّهْيِ لَيْسَتْ كَرُوضِ مَاجِلِ ذَابِلِ
- ٨ يَارُبَّ قَلْبٍ كَجَنَاحٍ هَفَّتْ قَدْ غَابَ فِي بَحْرِ بِلَا سَاحِلِ
- ٩ يُصَرِّفُ الْخَطَرَةَ مَذْعُورَةً مِمَّا يَرَى مِنْ مَنَظَرٍ هَائِلِ

(١) في كتاب الأغاني (١١٦/٢٢) : كان معاوية يتنقل كثيراً إذا اجتمع الناس في مجلسه بهذا الشعر :

إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ
... (الآيات) .

وكان عبد الملك بن مروان إذا جلس للقضاء بين الناس أقام وصيفاً على رأسه يُنشد :

إِنَّا إِذَا مَالَتْ دَوَاعِي الْهَوَى وَأَنْصَتَ السَّامِعُ لِلْقَائِلِ
وَاصْطَرَعَ الْقَوْمُ بِالْبَاطِلِ تَقْضِي بِحُكْمٍ عَادِلٍ فَاصِلِ
لَا نَجْعَلُ الْبَاطِلَ حَقًّا وَلَا نُلْطِ دُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
نَخَافُ أَنْ تَسْفَةَ أَحْلَامُنَا فَتَخْمَلَ الدَّهْرَ مَعَ الْخَامِلِ

ثم يجتهد عبد الملك في الحق بين الخصمين .

(٣) السَّفِيهِ : من يبذر أمواله فيما لا ينبغي .

(٤) كَلَّفَ بِالشَّيْءِ : أولع به ولهج .

(٨) هفا : أسرع ؛ وهفا الطائر خفق بجناحيه . قال في اللسان : « جَمَعَهُ أَجْنَحَةٌ وَأَجْنَحَ ، حَكَى =

- ١٠ آهِ لِسِرِّ صُنْتُهُ لَمْ أَجِدْهُ
 ١١ هَلْ يَقْظُ يَسْأَلُنِي عَلَنِي
 ١٢ قَدْ يَرَحُلُ الْمَرْءُ لِمَطْلُوبِهِ
 ١٣ لَوْ شِغِلَ الْمَرْءُ بِتَرْكِيبِهِ
 ١٤ وَعَايِنَ الْحِكْمَةَ مَجْمُوعَةً
 ١٥ يَا أَيُّهَا الْغَافِلُ عَنْ نَفْسِهِ
 ١٦ وَاَنْظُرْ إِلَى الطَّاعَةِ مَشْهُورَةً
 ١٧ وَالْحَظْ بِعَيْنَيْكَ أَدِيمَ السَّمَاءِ
 ١٨ كُلُّ عَلَى مَسْلِكِهِ لَا يَرَى
 ١٩ لَوْ دَبَّرَتْ أَنْفُسُهَا لَمْ تَغِبْ
 ٢٠ وَاَنْظُرْ إِلَى الْمُزْنَةِ مَشْحُونَةً
 ٢١ تَحِنُّ مِنْ شَوْقٍ إِلَى وَقْفَةٍ
 ٢٢ يَا لَكَ بُسْتَانٍ عَقُولٍ بَدَا
 ٢٣ فَسِرْ هَذَا الشَّانَ لَا يَنْجَلِي
- خَلْفًا لَهُ قَطُّ بِمُسْتَاهِلِ
 أَكْشِفُهُ لِلْيَقْظِ السَّائِلِ
 وَالسَّبَبُ الْمَطْلُوبُ فِي الرَّاحِلِ
 كَانَ بِهِ فِي شُغْلٍ شَاغِلِ
 مَائِلَةً فِي هَيْكَلٍ مَائِلِ
 وَبِكَ أَفْقٌ مِنْ سِنَةِ الْغَافِلِ
 فِي الْفَلَكَ الصَّاعِدِ وَالنَّازِلِ
 مِنْ طَالِعٍ فِيهَا وَمِنْ آفِلِ
 عَنْ ذَلِكَ الْمَسْلِكِ بِالْمَائِلِ
 وَاطَّلَعَ النَّاَقِصُ كَالْكَامِلِ
 مُثْقَلَةً الْكَاهِلِ كَالْبَازِلِ
 أَوْ خَطَرَةٍ بِالْبَلَدِ الْمَاحِلِ
 لِعَيْنِ قَلْبِ الْمُؤْمِنِ الْعَاقِلِ
 إِلَّا لِعَبْدٍ مُخْلِصٍ فَاضِلِ

= الأخيرة ابنُ جَنِّي وقال : كَثُرُوا الجَنَاحَ - وهو مذكور - على أَفْعَل وهو من تكسير المؤنث

لأنهم ذهبوا بالتكسير إلى الرِّيشة « . وقوله : « كَثُرُوا » أي جمعوا الكلمة جمع تكسير .

(١٠) آه أوهها ، وأوه تأويها : قالها ؛ (كلمة آه) .

(١١) يقال رجل يقظ ، بضم القاف وكسرها .

(١٤) كذا رُتبت الأبيات في الأصل ، وفي الروض المعطار . ويتسلسل الشعر منسوقاً لوتقدم

البيت الخامس عشر على سابقه . وعندها يكون (عاينُ) فعل أمر .

(٢) المزنة : تجمع على المزن . وهو السحاب ذوالماء .

- والبازل : البعير الذي بلغ تسع سنين (وأصله من بزل البعير أي فطر نابه وطلع) .

وله أيضاً - رضي الله عنه - :

[تتسع رقعة الخطاب في هذه القصيدة القصيرة ؛ فالمخاطب منها هو الإنسان ؛ وهو مبدعٌ إلى التفكير في آلاء الله تعالى في خلقه ، وهي آيات تهدي إلى الحق والهدى (١ - ٣) .
ويثني الشاعر على الأكياس (وهم الذين اهتمدوا وآمنوا) الذين ساحوا في حب الله تعالى ، وجالت عقولهم في آلائه ، وتدبروا عجائب الخلق وركبوا بحار الفهم فوصلوا إلى شاطئ السلامة (٤ - ٧) .
[من الكامل]

- | | | |
|---|---|---|
| ١ | أَنْتَ الْمُخَاطَبُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ | فَأَصِخُ إِلَيَّ يَلْحُ لَكَ الْبُرْهَانُ |
| ٢ | أُودِعْتُ مَا لَوْ قُلْتُهُ قُلْتُ لِي : | « هَذَا لَعَمْرُكَ كُلُّهُ هَذِيانُ » |
| ٣ | فَانْظُرْ بِعَقْلِكَ مِنْ بَنَانِكَ وَاعْتَبِرْ | إِتْقَانَ صَنْعَتِهِ فَتَمَّ الشَّانُ ! |
| ٤ | لِلَّهِ أَكْيَاسٌ جَفَّوْا أَوْطَانَهُمْ | فَالْأَرْضُ أَجْمَعُهَا لَهُمْ أَوْطَانُ |
| ٥ | جَالَتْ عُقُولُهُمْ مَجَالَ تَفَكُّرٍ | وَتَدَبَّرُ قَبْدًا لَهَا الْكِتَانُ |
| ٦ | رَكِبَتْ بِحَارَ الْفَهْمِ فِي فَلَكِ النُّهَى | وَجَرَى بِهَا الْإِخْلَاصُ وَالْإِيمَانُ |
| ٧ | فَرَسَتْ بِهِمْ لَمَّا أَتَوْا مَحَبُّوبَهُمْ | مَرَسَى لَهُمْ فِيهِ غِنًى وَأَمَانُ |

(١) أصاخ : استمع وأنصت .

(٢) أي أودع في الإنسان من الأسرار وعجائب الخلق والتقدير ما يذهل العقول .

وقال أيضاً - رضي الله عنه - وكان دَخَلَ عليه ابنُ أبي رجاء^(☆) في علته التي توفي فيها ، فعذله على رداءة مسكنه ، فقال - وهو آخر شعر قاله - :

[أثارت عبارة الوزير العائد شجون الشاعر الزاهد ، الذي عاش حياته يدعو إلى أن يكتفي الإنسان من متاع الدنيا بما هو ضروري وأن يُعرض عن كل زيادة على ذلك .

يبدأ الشاعر بحديث داره المتواضعة ورضاه بها ، ويستغرب أن يطلب الإنسان فوق دارٍ توفر الوقاية والحماية والستر . وهو يريد ألا يغالي الناس في البنيان ، ولا يجعلوا ذلك همهم الطويل (١ - ٥) ويزكّر الشاعر السامع والقارئ بالقبر واعظاً صارخاً - وإن كان من تراب وصخر - ويحذّر المسترسلين وراء متع الحياة الزائلة من الأثاث الفاخر والزّياش والقصور والنساء (٦ - ١١) ، ويتحدث بلسان القبر واعظاً منبهاً (١٢ - ١٣) .

(☆) ابن أبي رجاء : الوزير أبو خالد هاشم بن أبي رجاء الإلبيري . قال لسان الدين : « كان من عظماء أهل البيرة وسادتهم ، وهو الذي عاد الفقيه الزاهد أبا إسحاق بن مسعود الإلبيري في مرضه وعذله على رداءة مسكنه ، وقال له : لو سكنت داراً خيراً من هذه لكان أولى لك ، فأجابه رحمه الله بقوله :

« قالوا ألا تستجيد بيتا ... القصيدة » .

(الإحاطة : ٢١٧/٤ ، ونفح الطيب : ٤٩١/٣) .

[من مخَلَع البسيط]

- ١ قَالُوا أَلَا تَسْتَجِدُّ بَيْتًا تَعْجَبُ مِنْ حُسْنِهِ الْبُيُوتُ
- ٢ فَقُلْتُ مَا ذَلِكُمْ صَوَابٌ حَفَشَ كَثِيرٌ لِمَنْ يَمُوتُ
- ٣ لَوْلَا شِتَاءٌ وَلَفْحٌ قَيِّظٌ وَخَوْفٌ لِمَنْ وَحَفِظُ قُوتُ
- ٤ وَنِسْوَةٌ يَبْتَغِينَ سِتْرًا بَنِيَتْ بَنِيَانٌ عَنْكَبُوتُ
- ٥ وَأَيُّ مَعْنَى لِحُسْنٍ مَعْنَى لَيْسَ لِأَرْبَابِهِ ثُبُوتُ
- ٦ مَا أَوْعَظَ الْقَبْرَ لَوْ قَبِلْنَا مَوْعِظَةَ النَّاطِقِ الصَّمُوتُ
- ٧ يُوجِي إِلَى مُمْتَطِي الْحَشَايَا مَا لَكَ عَنْ مَضْجَعِي عَمِيَتْ ؟
- ٨ نَسِيتَ يَوْمِي وَطُولَ نَوْمِي وَسَوْفَ تُنْسَى كَمَا نَسِيتُ
- ٩ وَشِدَّتْ يَاهَادِمِي قُصُورًا نَعِمْتَ فِيهِنَّ كَيْفَ شِيتُ
- ١٠ مُعْتَنِقًا لِلْحِسَانِ فِيهَا مُسْتَنْشِقًا مِسْكَهَا الْفَتِيَتْ
- ١١ تَسَحَّبُ ذَيْلَ الصَّبَا وَتَلَهُو بِأَنْسَاتٍ يَقْلُنَ : هَيْتُ

- (١) في ترجمة سفيان بن عيينة في حلية الأولياء [٢٧٣/٧] :
 « وقيل له (أي للمسيح عليه السلام) : ألا تتزوج ؟ قال : أتزوج امرأةً تموت ؟ وقيل له :
 ألا تبني بيتاً ؟ قال : إنني على طريق السبيل ! » .
- (٢) الحفش : البيت الصغير جداً .
- (٤) يضرب المثل بوهاء نسيج العنكبوت ، قال تعالى في سورة العنكبوت [٤١/٢٩] : ﴿ هَـ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ .
- (١٠) الفتيت وزن فعيل من فَتَ . والمسك إذا فَتَ كان أعبق لرائحته وأبعد نشرًا .
- (١١) هيت لك (مثْلثة الآخر) - وقد يُكسر أوله - أي : هَلُمَّ .

- ١٢ فَاذْكُرْ مِهَادِي إِلَى التَّنَادِي وَامْهَدْ لَهُ قَبْلَ أَنْ يَقُوتُ
١٣ فَعَنْ قَرِيبٍ تَكُونُ طُعْمِي سَخِطْتَ يَا صَاحِبَ أُمِّ رَضِيَتْ

(١٢) المِهَادُ والمِهْدُ - في الأصل - الموضع يُهَيَّأ للصبي وَيُوطَأُ لينام فيه ، ومن معاني المِهَادِ : الأرض أو ما انخفض منها في سهولة واستواء .
(١٣) الطُّعْمُ (بضم الطاء) الطَّعَامُ ، وَكُلَّ مَا أُكِلَ : أي يقول له القَبْرُ : ستكون طعاماً للدَّود حين تنزل في .

وقال أيضاً - رضي الله عنه - :

[يذكر الشاعر عزلته عن الناس ويعلل ذلك بأنه يقصد تجنب ما يورد موارد العقاب (١) ويعلن خصام نفسه الأمانة العاصية (٢) ويعاتبها صراحة ويزجرها وينبها إلى عوامل تدعو إلى الارتداع (٣ - ٤) ويقرر أنه استطاع زجرها وردعها على أنها لم تسلم من الاضطراب (٥) ويذكر تسويقها ومواعيدها (٦ - ٧) وخداعها أيضاً (٨) ووقوفه لها بالمرصاد (٩)] .

[من المتقارب]

١ أَلِفْتُ الْعُقَابَ حِذَارَ الْعِقَابِ وَعِفْتُ الْمَوَارِدَ خَوْفَ الذُّبَابِ

(١) الْعُقَاب (بضم العين على هيئة اسم الطائر الجارح المعروف) اسم حصن قريب من مدينة غرناطة . وسماه حصناً الحجاري في (المسهب) كما نقل عنه ابن سعيد في المغرب (١٣٣/٢) ، وقد ذكره ابن سعيد عند حديثه عن كورة البيرة وترجم لأبي إسحاق الإلبيري باعتباره منتسباً في الوطن إليه .
وقال لسان الدين بن الخطيب في الإحاطة في أخبار غرناطة (١٥٥/٢) إن رابطة العقاب « متعبد الشيخ ولي الله أبي إسحاق الإلبيري رحمه الله » فذكره باسم رابطة والرابطة والرباط : موضع يكون فيه العباد والزهاد وأصله موضع ينقطع فيه المجاهدون ، ثم توسعوا في دلالة ووظيفته .
والعقاب غير العقاب (بكسر العين على هيئة معنى المعاقبة) ، وهو موضع جرت فيه موقعة

- ٢ وَأَبْغَضْتُ نَفْسِي لِعِصْيَانِهَا
٣ وَقُلْتُ لَهَا بَانَ عَنْكَ الصَّبَا
٤ وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا الْبَلَى
٥ فَأَيُّقَظُهَا الْعَتَبُ مِنْ نَوْمِهَا
٦ فَكَمْ أَنْشَأْتُ مُزْنَةً لِلتُّقَى
٧ وَكَمْ وَعَدْتَنِي بِتَوْبٍ وَكَمْ
٨ وَكَمْ خَدَعْتَنِي عَلَى أَنَّي
٩ فَلَسْتُ عَلَى الْأَمْنِ مِنْ غَدْرِهَا
- وَعَاتَبْتُهَا بِأَشَدِّ الْعِتَابِ
وَجَرَّدَكَ الشَّيْبُ ثَوْبَ الشَّبَابِ
وَسَكَنَى الْقُبُورِ وَهَوْلُ الْحِسَابِ
وَلَكِنَّهَا جَمَّةُ الْإِضْطِرَابِ
وَعَادَتْ وَشَيْكًا كَلْمَعَ السَّرَابِ
وَمَا أَنْجَزَتْ وَعْدَهَا فِي الْمَتَابِ
بَصِيرٍ بِطُرُقِ الْخَطَا وَالصَّوَابِ
وَلَوْ خَلَفْتُ لِي بِأَيِّ الْكِتَابِ!

حاسمة بين جيوش الموحدين (من الأندلسيين والمغاربة) وبين تجمع الدول الإسبانية والمتطوعة الأوربية سنة ٦٠٩ ، وكانت تحيصاً للمسلمين أذن بأفول نجم الدولة الإسلامية هناك ، في كلام يطول ليس هذا مجاله - فالمقصود إذن العقاب : حصن العقاب - أو رابطة العقاب ، وكان حصن العقاب عامراً أيام ابن بطوطة وقد ذكره في رحلته (ط . صادر ص : ٦٧٢) ، وقال إن بينه وبين غرناطة ثمانية أميال - يقول الشاعر إنه لزم المراقبة في حصن العقاب لكي يجنب نفسه ما يؤدي إلى المخالفة أو ما يوقعها في الإثم الذي نتيجته العقاب من الله تعالى . وضرب مثلاً : فقد يمتنع مخلوق عن ارتياد مواد المياه - على رغم الحاجة إليها أو الرغبة فيها - خشية الذئاب المترصدة !

(٥) قطع الشاعر همزة « الإضطراب » ضرورة .

وقال أيضاً - رضي الله عنه - (☆) :

[تختلف هذه القصيدة - والقصيدة ذات الرقم ٢٣ - عن أصول الشعر العربي بتكرار كلمة واحدة لا تتغير من أول القصيدة إلى آخرها في قافية البيت . وشفع له أنه وقف هنا - وهناك في التالية - عند كلمة من مفرداته في غرضه الشعري الرئيسي ، أعني : الزهد بما في الدنيا والعودة إلى الله تعالى ، أعني لفظ الجلالة ، الله ، سبحانه وتعالى .

يبدأ الشاعر بخطاب مجهول ، وهو نموذج لكثير من الناس ، ممن اغترّ وفرط ، ويدعوه إلى العودة إلى الله تعالى ، ويلوذ به ويؤدي حق العبادة ، ويتوب من الذنوب (١ - ٨) ويذكر مكانة التقوى والتقوى (٩ - ١١) ومساءة الشقاء والشقي (١٢ - ١٣) ويحذر المتهاون الذي غاب عنه خوف العذاب (١٤ - ١٥) ويردد ما أصاب الجبارين الأشداء من سهام الله (١٦ - ٢١) ويدعو الإنسان إلى الاعتبار بمن مضى ، والانتباه لصنع الله في الكون من آيات الخلق (٢٢ - ٢٦) ويستطرد إلى تسبيح الأفلاك وكل ما في الكون (٢٧ - ٣١) وغيره الله تعالى على جهاه (٣٢ - ٣٣) وسعادة الموحّد بتوحيده .

وينتقل الشاعر ليضرب مثل العجوز المتصابي (وهو عنده نموذج سيء) ويذكر جهله وتضييعه (٤٠ - ٤٤) ويصل في البيت (٤٥) إلى الحديث عن نفسه ، ويضرب بها المثل - على عادته - ليقول ما يشاء في العبد إذا ضيع طاعة الله فأخطأته رحمته وسلك سبيل أهل النار في النار ، وشقي يوم العرّض العظيم (٤٦ - ٥١) ويختم بحديث الفائز ذلك اليوم (٥٢) وبحمد الله تعالى على نعمة الإسلام (٥٣) .

(☆) في هذا الديوان قصيدة يختم كل بيت فيها بلفظة الجلالة « الله » وقصيدة أخرى يختم كل بيت

[من السريع]

- ١ يا أَيُّهَا الْمُعْتَرِّ بِاللَّهِ فِرَّ مِنَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ
- ٢ وَلُذْ بِهِ واسأله من فضله
- ٣ وقم له والليل في جنحه

فيها بلفظة (النار) وقرأت في بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١٧/٦) آياتاً تنتهي بكلمة (محمد) ﷺ ؛ فيها :

أجل وأعلى قمّة من محمد	من الناس بين الناس ماسر سائر
أجل وأهدى همة من محمد	وما وطئت رجلاً هامة أرضاً
أعز وأوفى ذمة من محمد	وما حملت من ناقة فوق كورها
أبر وأرؤى أمة من محمد	وما من إمام أمة الناس برهه

ولم يسم الفيروزآبادي الشاعر ؛ وظاهر من أسلوبه أنه لشاعر متأخر الزمان .
وفي الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي ، السفر الرابع : ٢١٣ قطعة لأبي الحجاج ابن الشيخ البلوي (صاحب ألف باء) يهزأ فيها بنبوء هندية شاعت في العالم الإسلامي سنة ٥٨١ أنه في يوم ٢٩ جمادى الآخرة سنة ٥٨٢ سيكون طوفان وريح تأخذ كل شيء . وكان بعض السذج خافوا من الإشاعة . وتصدى العلماء والشعراء الصالحون لهذه الشائعة ، ثم أكدوا ما قالوه بعد مرور اليوم المزعوم . قال أبو الحجاج :

يا أيها الناس اشكروا ربكم	لم يك لا خسف ولا ريح
وكذبة الهندي لم تتفق	وكان ما قد قاله : الريح !
تغسأ له من كاذب مفتري	لسانه حرّكه الريح
وحافر القوبصة أف له	إذ هزّه ذلكم الريح
صدق كذاباً بلا حجة	أولى بها بل قوله الريح
الحمد لله الذي عنده الـ	خير ومن رحمته الريح
يرسلها بين يدي غيثه	بشرى لنا يا حبذا الريح !

(١) ضبط (فَرَّ) في الأصل بالفتح .

(٢) الجنح (بالكسر) الجانب ، ومن الليل : الطائفة منه ، وتضم الجيم أيضاً .

٤	وَأَتْلُ مِنَ الْوَحْيِ وَلَوْ آيَةً	تَكْسَى بِهَا نَوْرًا مِنَ اللَّهِ
٥	وَعَفَّرَ الْوَجْهَ لَهُ سَاجِدًا	فَعَزَّ وَجْهَهُ ذَلَّ اللَّهُ
٦	فَمَا نَعِيمٌ كُنَّا جَاتِهِ	لَقَانَتْ يَخْلُصُ اللَّهُ
٧	وَابْعُدْ عَنِ الذَّنْبِ وَلَا تَأْتِهِ	فَبَعُدَّهُ قُرْبًا مِنَ اللَّهِ
٨	يَا طَالِبًا جَاهًا بِغَيْرِ التَّقَى	جَهَلْتَ مَا يُدْنِي مِنَ اللَّهِ
٩	لَا جَاءَ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقَضَا	إِذْ لَيْسَ حُكْمٌ لِسِوَى اللَّهِ
١٠	وَصَارَ مَنْ يُسْعَدُ فِي جَنَّةٍ	عَالِيَةٍ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ
١١	يَسْكُنُ فِي الْفِرْدَوْسِ فِي قُبَّةٍ	مِنْ لَوْلُؤٍ فِي جِوَارِ اللَّهِ
١٢	وَمَنْ يَكُنْ يَقْضَى عَلَيْهِ الشَّقَا	فِي جَا حِمٍ فِي سَخَطِ اللَّهِ
١٣	يُسْحَبُ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ	بِسَابِقِ الْحُكْمِ مِنَ اللَّهِ
١٤	يَا عَجَبًا مِنْ مَوْقِنٍ بِالْجَزَا	وَهُوَ قَلِيلُ الْخَوْفِ لِلَّهِ
١٥	كَأَنَّهُ قَدْ جَاءَهُ مُخَبِّرٌ	بِأَمْنِهِ مِنْ قَبْلِ اللَّهِ
١٦	يَا رَبَّ جَبَّارٍ شَدِيدِ الْقَوَى	أَصَابَهُ سَهْمٌ مِنَ اللَّهِ
١٧	فَأَنْفَذَ الْمَقْتَلَ مِنْهُ وَكَمْ	أَصَقَتْهُ وَتَضْمِي أَسْهَمُ اللَّهِ
١٨	وَعَالَهُ الدَّهْرُ وَلَمْ تُغْنِهِ	أَنْصَارُهُ شَيْئًا مِنَ اللَّهِ

(٧) رسمت في الأصل المخطوط (تاته) بلا همز على مذهب الأندلسيين المائل إلى التسهيل .

(١٢) الجاحم : الجمر الشديد الاستعمال ؛ والمكان الشديد الحر .

(١٣) في سورة القمر ٤٧/٥٤ - ٤٨ : ﴿ إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ .

(١٦) في سورة إبراهيم ١٥/١٤ : ﴿ .. وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ .

(١٧) أضى الطريدة : قتلها في مكانها .

١٩	وَاسْتُلْ قَشْرًا مِنْ قُصُورٍ إِلَى الـ	أَجْزَادَاتٍ وَاسْتَسْلَمَ لِلَّهِ
٢٠	مُرْتَهَنًا فِيهَا بِمَا قَدْ جَنَى	يُخْشَى عَلَيْهِ غَضَبُ اللَّهِ
٢١	لَيْسَ لَهُ حَوْلٌ وَلَا قُوَّةٌ	الْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ لِلَّهِ
٢٢	يَا صَاحِبِ سِرِّ فِي الْأَرْضِ كَيْمَا تَرَى	مَا فَوْقَهَا مِنْ عِبْرِ اللَّهِ
٢٣	وَكَمْ لَنَا مِنْ عِبْرَةٍ تَحْتَهَا	فِي أَمْرِ صَارَتْ إِلَى اللَّهِ
٢٤	مِنْ مَلِكٍ مِنْهُمْ وَمِنْ سُوقَةٍ	حَشَرَهُمْ هَيْئًا عَلَى اللَّهِ
٢٥	وَالْحَظُّ بِعَيْنَيْكَ أَدِيمَ السَّمَاءِ	وَمَا بِهَا مِنْ حِكْمَةٍ لِلَّهِ
٢٦	تَرَى بِهَا الْأَفْلَاقَ دَوَّارَةً	شَاهِدَةً بِالْمُلْكِ لِلَّهِ
٢٧	مَا وَقَفْتُ مُذْ أُجْرِيَتْ لَمْحَةً	أَوْ دَوْنَهَا - خَوْفًا مِنَ اللَّهِ
٢٨	وَمَا عَلَيْهَا مِنْ حِسَابٍ وَلَا	تَخْشَى الَّذِي يُخْشَى مِنَ اللَّهِ
٢٩	وَهِيَ وَمَا غَابَ وَمَا قَدْ بَدَا	مِنْ آيَةٍ فِي قُبْضَةِ اللَّهِ
٣٠	تُوحِّدُ اللَّهَ عَلَى عَرْشِهِ	فِي غَيْبِهِ فَالْأَمْرُ لِلَّهِ
٣١	وَمَا تَسْمَى أَحَدٌ فِي السَّمَاءِ	وَالْأَرْضِ غَيْرُ اللَّهِ بِاللَّهِ

(١٩) الأجداث جمع جدث : وهو القبر .

(٢٢) في سورة العنكبوت ٢٠/٢٩ : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

(٢٤) السُّوقَةُ : الرعيّة .

(٢٩) في سورة الزمر ٦٧/٣٩ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .

(٣٠) في سورة الإسراء ٤٤/١٧ : ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾ .

(٣١) في بصائر ذوي التمييز ، للفيروزآبادي ١٢/٢ : الله - جلّ جلاله - اسم مختص بالبارئ تعالى .

٣٢	إِنَّ حِمَى اللَّهِ مَنِيعٌ فَمَا	يَقْرُبُ شَيْءٌ مِنْ حِمَى اللَّهِ
٣٣	لَا شَيْءَ فِي الْأَفْوَاحِ أَحْلَى مِنَ التَّ	وَحِيدِ وَالتَّمْجِيدِ لِلَّهِ
٣٤	وَلَا اِطْمَآنَ الْقَلْبُ إِلَّا لِمَنْ	يَعْمُرُهُ بِالذِّكْرِ لِلَّهِ
٣٥	وَإِنْ رَأَى فِي دِينِهِ شُبُهَةً	أَمْسَكَ عَنْهَا خَشْيَةَ اللَّهِ
٣٦	أَوْ عَرَضَتْهُ فَاقَةٌ أَوْ غِنَى	لَا قَاهَا بِالشُّكْرِ لِلَّهِ
٣٧	وَمَنْ يَكُنْ فِي هَدْيِهِ هَكَذَا	كَانَ خَلْقُهُ بِرِضَى اللَّهِ
٣٨	وَكَانَ فِي الدُّنْيَا وَفِي قَبْرِهِ	وَبَعْدَهُ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ
٣٩	وَفِي غَدٍ تَبَصُّرُهُ أَمْنًا	لِخَوْفِهِ الْيَوْمَ مِنَ اللَّهِ
٤٠	مَا أَقْبَحَ الشَّيْخَ إِذَا مَا صَبَا	وَعَاقَهُ الْجَهْلُ عَنِ اللَّهِ
٤١	وَهُوَ مِنَ الْعُمُرِ عَلَى بَازِلٍ	يَحْمِلُهُ حَتَّى إِلَى اللَّهِ
٤٢	هَلَّا إِذَا أَشْفَى رَأَى شَيْبَةً	يَنْعَاهُ فَاسْتَحْيَى مِنَ اللَّهِ

(٣٢) روى الإمام أحمد من حديث طویل عن النعمان بن بشر أن رسول الله ﷺ قال : « ... ولكل ملكٍ حمى وإن حمى الله محارمه » ٢٦٩/٤ وفي حديث آخر : « إِنَّ اللَّهَ حَمَى حِمَى وَإِنْ حَمَى اللَّهُ مَا حَرَّمَ » رواه أبو داود والنسائي .

(٣٦) في الفصح يقال : عرض له كذا أي بدا وظهر (بتعدية الفعل إلى حرف اللام لهذا المعنى) .

(٤٠) تكرر ذكر قبج الصبا من أدركته السن وتقدم منه العمر .

(٤١) رسمها في الأصل حثي . وتختلط المثناة بالمثلثة لضعف ظهور التنقيط . ورسمها في المطبوع حتى .

- يقال : جل بازل وثاقه بازل ، وذلك في تاسع سنّيه وليس بعده سن تسمى . والمقصود : جل قوي يحث الخطأ .

(٤٢) أشفى على الشيء : أشرف . وينعاه : يخبر بموته .

- ٤٣ كَانَا رَيْنَ عَلَى قَلْبِيهِ فَصَارَ مَحْجُوباً عَنِ اللَّهِ
- ٤٤ مَا يُعْذَرُ الْجَاهِلُ فِي جَهْلِهِ فَضْلاً عَنِ الْعَالَمِ بِاللَّهِ
- ٤٥ دَارَانِ لَا بُدَّ لَنَا مِنْهَا بِالْفَضْلِ وَالْعَدْلِ مِنَ اللَّهِ
- ٤٦ وَلَسْتُ أَدْرِي مَنْزِلِي مِنْهَا لَكِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ
- ٤٧ فَاعْجَبْ لِعَبْدٍ هَذِهِ حَالُهُ كَيْفَ نَبَا عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ
- ٤٨ وَاسْأَلْنَا إِنْ خَابَ ظَنِّي غَدًا وَلَمْ تَسْعِنِي رَحْمَةً اللَّهِ
- ٤٩ وَكُنْتُ فِي النَّارِ أَخَا شِقْوَةٍ نَعُودُ مِنْ ذَلِكَ بِاللَّهِ
- ٥٠ كَمْ سَوْءَةٍ مَسْتُورَةٍ عِنْدَنَا يَكْشِفُهَا الْعَرَضُ عَلَى اللَّهِ
- ٥١ فِي مَشْهَدٍ فِيهِ جَمِيعُ الْوَرَى قَدْ نَكَّسُوا الْأَذْقَانَ لِلَّهِ
- ٥٢ وَكَمْ تَرَى مِنْ فَائِزٍ فِيهِمْ جَلَّلَ سِتْرَ مِنَ اللَّهِ
- ٥٣ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، ثُمَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ

(٤٣) في الأساس « الرّين والرّان » ما غطى على القلب وركبه من القسوة للذنب بعد الذنب . وفي التنزيل العزيز : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْبُونَ ﴾ سورة المطففين [١٤/٨٣] .

(٤٥) الداران المذكورتان في البيت هما : الجنّة ، والنّار : وسجلّ الشاعر - وكل واحد من بني آدم - في إحداها ، قال : « ولست أدري منزلي منها : البيت ٤٦ » .

(٥٠) السّوّاة : كل عمل وأمر شائن .

(٥١) في سورة الإسراء [١٠٧/١٧ - ١٠٩] : ﴿ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا . وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا . وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ أي يسقطون بسرعة على وجوههم ساجدين تعظيماً لله تعالى وشكراً له .

وقال أيضاً - رحمه الله - في رجل يجرّ ثيابه خيلاء في يوم عيد ، ويقال إنه ابن أبي رجاء^(☆) :

[تتوهج هذه القطعة - على قصرها - في فكرة واحدة : إن المَهْمَ في الإنسان هو المَخْبَر لا المَظْهَر .

فالعيد الحقيقي يوم يُغفر للإنسان ، فيكسب حياته الأخرى (١) وما نفعُ ذي الثوب الجديد إذا كان دينه مردوداً ؟ وأي ضرر على ذي الثوب البالي وهو مقبولٌ عند الله ؟ (٢ - ٤) .

[من البسيط]

- | | | |
|---|--------------------------------|-------------------------------|
| ١ | ما عيدك الفخم إلا يوم يُغفر لك | لا أن تجرّ به مُستكبراً خللك |
| ٢ | كم من جديد ثياب دينه خلق | تكاد تلغنه الأقطار حيث سلك |
| ٣ | وكم مرقع أطمار جديد تُقى | بكت عليه السما والأرض حين هلك |
| ٤ | ما ضرّ ذلك طمراً ولا نفعت | هذا حلاء ولا أن الرقاب ملك |

(☆) هو الوزير أبو خالد هاشم بن أبي رجاء الإلبيري . قال فيه لسان الدين : « كان من عظماء أهل البيرة وسادتهم ، وهو الذي عاد الفقيه الزاهد أبا إسحاق بن مسعود الإلبيري في مرضه ، وعذله على رداء مسكنه ، وقال له : لو سكنت داراً خيراً من هذه لكان أولى لك . فأجابته رحمه الله بقوله : قالوا ألا تستجيد بيتاً ... القصيدة » وغدّه في أعيان غرناطة وكبرائها .

(الإحاطة ٣١٧/٤ ، نفح الطيب ٤٩١/٣)

- (١) الخلل : جمع الخلة : كل ثوب جديد تلبسه (وقيل : لا تكون حلة إلا من ثوبين أو ثوب له بطانة أو ثلاثة أثواب ، إزار ورداء وقيص) .
- (٢) الأطمار : جمع طمّر ، وهو الثوب الخلق البالي .
- (٣) الحلية : ما يزين به من مصنوع المعدنيات والحجارة الكريمة والجمع حلى وحلى .

وقال أيضاً رضي الله عنه :

[هذه قطعة في تلوم النفس ، واستكثار الخطيئات ، وأثر
الخطيئة في الرّين على الفؤاد ، وأنّ من سواد الخطيئة ما يجعلُ الصبح
مظلماً !!] .

[من السّريع]

- | | | |
|---|---|---------------------------------------|
| ١ | أَيَّ خَطِيئَاتِي أَبْكِي دَمًا | وَهِيَ كَثِيرٌ كَنَجْـوَمِ السَّمَاءِ |
| ٢ | قَدْ طَمَسَتْ عَقْلِي فَمَا أَهْتَدِي | وَأُورِثْتُ عَيْنَ فُؤَادِي الْعَمَى |
| ٣ | إِنَّا إِلَى اللَّهِ ! لَقَدْ حَلَّ بِي | خَطْبٌ غَدَا صُبْحِي بِهِ مُظْلِمًا ! |

وقال رحمه الله - :

[أجرى الشاعر مقارنةً بين التبريز في ميدان البطالة وبين التبريز في التقى والبر ، وقال : إن الفهم ينبغي أن يدل على الخير وإلا فلا فائدة فيه (١ - ٢) وربط بين صداقة الأصحاب الزائفة والأعمال غير المقبولة وغير الصالحة (٣)] .

[من الطويل]

لَبَّرَزْتُ فِي مَيْدَانِ كُلِّ بَطَالَةٍ وَبَرَزَ غَيْرِي فِي التَّقَى أَيَّ تَبْرِيزِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فَهْمِي إِلَى الْخَيْرِ قَائِدِي فَلَا كَانَ فَهْمِي لَا ، وَلَا كَانَ تَمْيِيزِي
تَطَلَّبْتُ إِخْوَانَ الصِّفَا فَوَجَدْتُهُمْ زُيُوفًا كَأَعْمَالِي وَمَنْ لِي بِإِبْرِيزِ!

-
- (١) البَطَالَة (بكسر الباء) هي فعل البَطَال ، والبَطَال مبالغة اسم فاعل من بَطَلَ أي اتبع البطالة واللغو ولم يشتغل بما ينفعه . واللام في (لَبَّرَزْتُ) للتوكيد وهي لام الابتداء .
- (٢) الدراهم الزيوف : المردودة لغش ، والذهب الإبريز : الخالص .
- والصفا هنا هي الصفاء ، سهلت الهمزة . وإخوان الصفاء هم أصحاب الرجل الذين يصطفهم ؛ ويكونون معه في أحوال السُرور ، والمتوقع أن يكونوا معه في ساعات العسر .
- وأجرى الحديث بصيغة المتكلم ، جُزْياً مع أسلوبه ، في ضرب المثل عن نفسه ولفظ الأنظار إلى الخطأ والصواب ، والحسن والقيبح من خلال ذلك الحديث .

وقال أيضاً - رضي الله عنه - :

[في القطعة وصف لنزول الشاعر رابطة العقاب أو : حصن العقاب (انظر حواشي القطعة ١٤) وفيها ذكر لأنسبه بهذا المكان المنقطع ، وإن كان الظن يقع أن يكون موحشاً (١ - ٢) ولقد صور الشاعر الجانب الآخر المتروك من المنازل والديار ، فإنه غادر أناساً : الذئب أسلم جواراً منهم ! وكيف يأسى على فقيه تلك حاله : (من المُرَّائين أو النَّمَّامين) أو على صديق يكون منه الشرُّ والبلاء ؟ (٣ - ٤) ويكشف عوار الكبرياء والوجهاء لسوء أعمالهم وسلوكهم حتى إنه يزهد في رؤيتهم (٥) ويخلص إلى نتيجة بعد ذلك العرض : إن البعد غنية والوحدة خلاص حين يكون الناس حولك على تلك الشاكلة (البيت ٦) .

[من الوافر]

- | | | |
|---|--------------------------------------|--|
| ١ | أَلَا حَيَّ الْعُقَابَ وَقَاطِنِيهِ | وَقُلْ أَهْلًا بِهِ وَبِزَائِرِيهِ |
| ٢ | حَلَلْتُ بِهِ فَنَفْسَ مَا بِنَفْسِي | وَأَنْسَنِي فَمَا اسْتَوْحَشْتُ فِيهِ |
| ٣ | وَكَمْ ذِيبٍ نَجَاوِرَهُ وَلَكِنْ | رَأَيْتُ الذِّئْبَ أَسْلَمَ مِنْ فَقِيهِ |

(٣) أي : أسلم من فقيه من طلاب الدنيا ، المتاجرين بعلمهم . وقد كانت الأندلس - آنذاك - مؤوَّفة بنفري من الفقهاء والأدباء ومُشْتَهِي السُّلْطَةِ السَّاكِنِينَ عَنْ هَفَوَاتِ الْحُكَّامِ وَأَخْطَائِهِمِ المنجرفين مع محبة الدنيا المستغرقين في ملذَّاتها .

ولم أجزعُ لفقد أخٍ لأنِّي رأيتُ المرءَ يُؤتى من أخيه
وأيسأسني من الأيام أني رأيتُ الوجّه يزهدُ في الوجيه
فآثرتُ البعادَ على التداني لأنني لم أجِد من أطفيه!

-
- (٤) أتيتُ الرجل : دنا منه العدو وأشرف عليه واستعملها الشاعر بتوسع لمعنى : يصاب ، أو يؤخذ
على غيرة . والمقصود بالأخ هنا الصديق .
(٥) الوجيه : ذو الجاه والقدر .

وقال رحمه الله في خراب البيرة - :

[هذه القصيدة في رثاء مدينة البيرة وندب زمانها المنقضي والبكاء على ماتناثر من فضلها وضاع من مجدها .
بدأ الشاعر فعاتب أهل زمانه - وعادتهم رثاء الديار وندب الأطلال - لإهمالهم رثاء البيرة (١ - ٢) ويذكر بعض مآثر هذه المدينة وفضلها على غيرها من المدن (٣) وفضل أهلها وعلمائها . ويذكر كم تحقق فيها من المآرب (٤ - ٦) ويذكر حسن نسائها (٧ - ٨) ويصور تحولها من الحياة والحركة إلى الضياع والخراب (٩ - ١١) ويرثي لها بحرقة (١٢) ويسترجع صوراً ماضية منها (١٣ - ١٥) ويسجل أساه وأسفه (١٦) ويثني على أهل البيرة وعلمائها من الأحياء والأموات (١٧ - ١٩) .

ويخرج الشاعر إلى الاعتبار بما جرى - من خراب المدينة - (٢٠ - ٢١) ويعلل ماجرى على البيرة تعليلاً يرتبط بفلسفة الشاعر (٢٢ - ٢٣) .

[من الطويل]

- ١ يُضَيِّعُ مَفْرُوضٌ وَيُغْفَلُ وَاجِبٌ وَإِنِّي عَلَى أَهْلِ الزَّمَانِ لَعَاتِبٌ
- ٢ أَتُنْدِبُ أَطْلَالَ الْبِلَادِ وَلَا يَرَى لِإِلْبِيرَةِ مِنْهُمْ عَلَى الْأَرْضِ نَادِبٌ

(٢) البيرة : كانت البيرة مركز كورة البيرة ثم خربت في الفتنة البربرية سنة ٤٠٠ هـ (فعمرت غرناطة التي كانت صغيرة مغمورة) ونهضت في مقام البيرة .
=

- ٣ عَلَى أَنَّهَا شَمْسُ الْبِلَادِ وَأَنْسَهَا وَكُلُّ سِوَاهَا وَحْشَةٌ وَغِيَاهِبُ
- ٤ وَكَمْ مِنْ مُجِيبٍ كَانَ فِيهَا لِصَارِخٍ تُجَابُ إِلَى جَدْوَى يَدَيْهِ السَّبَاسِ
- ٥ وَكَمْ مِنْ نَجِيبٍ أَنْجَبَتْهُ وَعَالِمٍ بِأَبْوَابِهِمْ كَانَتْ تُنَاخُ الرِّكَائِبُ

= قال ياقوت : « وربما قالوا لبيرة ولبيرة ؛ مدينة في جنوب الأندلس . كانت مركز كورة كبيرة ، من مدنها التابعة لها غرناطة وقسطيلية وشلوبينية » . وظلت عامرة إلى نهاية القرن الرابع الهجري . فلما اضطرب أمر الأندلس أيام الفتنة استقدم أهلها قبيلة صنهاجة فقادوا المدينة وحكوها . فلما أنسوا من أنفسهم ضعفاً عن الدفاع عن البيرة - لأسباب عسكرية وغير ذلك - خرجوا إلى سهل غرناطة واستوطنوا المنطقة ، وخرج الناس عن البيرة شيئاً فشيئاً ، « وخربت عند ذلك البيرة » كما قال الأمير عبد الله في مذكراته .

وكانت البيرة - قبل خرابها - من أعظم كُور الأندلس ، وكانت تسمى في عهود ما قبل الإسلام : سَنَام الأندلس ، وكانت في عهد الدولة المروانية عامرة مشهورة . وقال ابن حيان : إنه كان يجتمع بباب المسجد الجامع من البيرة خمسون حَكَمَةً كُلُّهَا من فضة ، لكثرة الأشراف بها (وَالْحَكَمَةُ لُجَامُ الْفَرَسِ وَغَوْه من الدواب) .

وخلفت غرناطة مدينة البيرة فازدهرت وظهرت ، وصارت عاصمة الأندلس الأولى منذ دخول ابن الأحمر إليها ، وانحسار ظل الإسلام عن أمصارها الأخرى . وكورة البيرة كانت المحلة التي اختارها أمير الأندلس أبو الخطار الكلبي فأنزل فيها جند دمشق من طالعة بلج بن بشر - وكانوا جميعاً في قرطبة ففرقهم في بلاد الأندلس حسماً للنزاع ، وجعل جند كل منطقة فيما يشبهها من بلاد الأندلس ، ولهذا قيل لإشبيلية (حمص) - وغرناطة من بعد - دمشق .

راجع معجم البلدان لياقوت « البيرة » و « غرناطة » والتبيان للأمير عبد الله « مواضع متفرقة » . والإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب - المقدمة . وفجر الأندلس للدكتور حسين مؤنس والروض المعطار للحميري في مادة البيرة وغرناطة .

- (٣) غياهب : جمع غَيْهَب وهو الظُّلْمَةُ أو شدة سواد الليل ، يقال : ليل غيهب .
- (٤) السبب : المغازة ، أو الأرض المستوية البعيدة . والجوب : القطع . والصارخ : المستغيث .
- (٥) الركائب : جمع الركاب : الإبل : يُسَار عليها ، واحدها راحلة .

- ٦ وَكَمْ بَلَغَتْ فِيهَا الْأَمَانِي وَقُضِيَتْ
٧ وَكَمْ طَلَعَتْ مِنْهَا الشُّمُوسُ وَكَمْ مَشَتْ
٨ وَكَمْ فَرَسَتْ فِيهَا الظُّبَاءُ ضِرَاعِمَا
٩ لَعَهْدِي بِهَا مُبِيضَةُ اللَّيْلِ فَاغْتَدَتْ
١٠ وَمَا كَانَ فِيهَا غَيْرُ بُشْرَى وَأَنْعَمَ
١١ غَدَتْ بَعْدَ رَبَّاتِ الْحِجَالِ قُصُورَهَا
١٢ فَأَهْ أُلُوفاً تَقْتَضِي عَدَدَ الْحَصَا
١٣ عَجِبْتُ لِمَا أَدْرِي بِهَا مِنْ عَجِيبَةٍ
١٤ وَمَا فَعَلْتُ أَعْلَامُهَا وَفَنَائِمُهَا

(٦) اللَّبَانَةُ : الحاجة . وفي الأساس « وما قضيت منه لبانتي : نهمتي » .

- وَالصَّبُّ : العاشق المشتاق .

(٨) جعل النسوة من الحُسْنِ والجمالِ شُمُوساً وأقماراً وكواكبَ وظباءَ وجعل الرجالِ ضِرَاعِمَ (وهي الأسود) وكل ذلك على المجاز والاستعارة .

- وَالكَأَمَةُ : جمع الكمي : الجريء ؛ وفي اللغة : الشجاع كان عليه سلاح أو لم يكن .

- الْكُوَاعِبُ : جمع كاعب وهي الفتاة أو ان نهد نديهاها .

(٩) هذا البيت يذكر بقول أبي تمام :

ضوء من النار والظلماء عاكفة
وظلمة من دخانٍ في ضحَى شجبٍ

(١٠) أَنْعَمَ : جمع نعمة : المسرة ، والخفض والدعة .

(١١) رَبَّاتِ الْحِجَالِ : النساء ، والحِجَال جمع الحجلة : موضع مثل القبة يُتَّخَذُ للعروس يُرَيْنُ بالثياب والستور والأبيرة ولها أزرار كبار .

(١٢) ضَبَطُهَا فِي الْأَصْلِ المخطوط : فَاة .

(١٤) أَعْلَامُ جمع علم : سيد القوم .

- وَالْفَنَامُ : الجماعة من الناس .

- وَالْمَرْتَبَةُ : المنزلة الرفيعة .

- ١٥ وَأَيْنَ بِحَارِ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالنَّدَى
 ١٦ شَقَقْنَا عَلَى مَنْ مَاتَ مِنْهُمْ جُيُوبَنَا
 ١٧ وَإِنْ فَقِدْتَ أَعْيَانَهُمْ فَلَتَجِدْهُ
 ١٨ وَقَدْ بَقِيَتْ فِي الْأَرْضِ مِنْهُمْ بَقِيَّةٌ
 ١٩ فَلَلَّهِ ثَاوِيهِمْ وَلِلَّهِ حَيْثُهم
 ٢٠ لَسَاءَلْتُ عَنْهُمْ رَسَمَهَا فَأَجَابَنِي
 ٢١ يُخَاطِبُنَا: أَنْ قَدْ أَخَذْتُ بِذَنْبِكُمْ
 ٢٢ وَأَنْ قَدْ قَسَتْ أَكْبَادُكُمْ وَقُلُوبُكُمْ
 ٢٣ لَشَكْلِكُمْ أُولَى وَأَجْدَرُ بِالْبُكَاءِ
- وَأَيْنَ الْأَكْفُ الْهَامِيَاتُ السَّوَائِبُ
 وَكَانَ قَلِيلًا أَنْ تُشَقَّ التَّرَائِبُ
 مَدَى الدَّهْرِ أفعالٌ لَهُمْ وَمَنَاقِبُ
 كَانَتْهُمْ فِيهَا نَجُومٌ ثَوَاقِبُ
 فَكُلُّ جَوَادٍ بَاهِرٍ الْفَضْلِ وَاهِبُ
 «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ ذَاهِبُ»
 وَمَا أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنِ الذَّنْبِ تَائِبُ!
 وَمَا مِنْكُمْ دَاعٍ إِلَى اللَّهِ رَاغِبُ
 عَلَى مِثْلِهِ حَقًّا تَقُومُ النَّوَادِبُ!

(١٥) الهاميات جمع الهامية ، من هـى الدمع : سال ، وهى السحاب : صب ماءً ، وهى المطر : انصب . وتوصف أكف الكرام بأنها تهـى وتسكب على التشبيه بالسحاب والمطر .
 (١٦) جيب القميص : طوقه . والترائب : عظام الصدر ، أو ماوَلِي الترقوتين منه : أو ما بين الثديين .

(١٨) ثقب الكوكب : أضاء . والكواكب : ثاقبة .

(١٩) من معاني ثوى : مات .

(٢٠) عجز البيت يذكر بقول لبيد (ديوانه : ٢٥٦) :

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وكل نعيمٍ لا محالة زَائِلٌ

(٢١) أخذه بكذا : أي عاقبه به (بسببه) .

(٢٢) في سورة الحديد [١٦/٥٧] : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنْ

الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿

(٢٣) الشَّكْل : الشبه والمثل : ويكسر .

وقال أيضاً - رضي الله عنه - يرثي امرأته ؛ وأحسن في هذه القصيدة كل الإحسان :

[ورد في تقديم القصيدة أنها في رثاء زوج الشاعر . والحق أنه جعل رثاءها أساساً للقصيدة غير أنها مضت في ثلاث حلقات :
الحلقة الأولى : في رثاء الزوجة (١ - ١٩) .
والحلقة الثانية : في زهده وزجر الستين له (٢٠ - ٣٩) .
والحلقة الثالثة : في مواقف أخلاقية ودينية مما ينكره على غيره ويرضاه من نفسه .

- بدأ الشاعر فوقف عند الحدث (١) العاطر بتقوى الزوجة وورعها (٢ - ٣) مستلماً محيياً (٤) ورجا زيارة الطيف (٥) فيواسي ذلك قلبه ويعلله (٦) وذكر من مشاعره نحو زوجته (٧ - ٩) ومآثرها الطيبة (١٠) التي استدعت بكاءه ورثاءه (١١) والتي تستحق أن يقضي أسفاً (١٢) ويجعل ضريحها في قلبه (١٣ - ١٤) ودعا لها بالمغفرة (١٥) وذكر ما يستحق جزاء الصبر على فقدانها (١٦ - ١٩) .
- وخرج إلى ما يجملُ بمن جاوز الستين (٢٠ - ٢٢) وأن مآرب الحسان فيه انقضت (٢٣ - ٢٦) وبين لزومه كتاب الله ، وتنعمه به وبالعلم متابعةً وتعليماً (٢٧ - ٣٠) ووعظ نفسه (٣١ - ٣٤) وذكر تجاربه من السنين مع الناس (٣٥ - ٣٧) وإبائه وإرتحاله عن مواطن الدّل (٣٨ - ٣٩) .

- والتفت إلى جانب آخر فذمّ الثرثارين (٤٠ - ٤٣) وذكر فضل

الصمت والقصد في الكلام (٤٤ - ٤٧) وزهده (٤٨ - ٥١) وقناعته

(٥٢ - ٥٤) ومكاته في الناس (٥٥) وأن العاقبة لمن ثقلت موازينه

(٥٦ - ٥٨) وختم بشكر الله تعالى والضراعة له (٥٩ - ٦٠) .

[من الكامل]

- | | | |
|----|--|--|
| ١ | عَجَ بِالْمَطِيِّ عَلَى الْيَبَابِ الْغَامِرِ | وَارْبَعُ عَلَى قَبْرِ تَضَنَ نَاطِرِي |
| ٢ | فَسَتَّيْنُ مَكَانَهُ بِضَجِيعِهِ | وَيَنْمُ مِنْهُ إِلَيْكَ عَرَفُ الْعَاطِرِ |
| ٣ | فَلَكُمْ تَضَنَ مِنْ تُقَى وَتَعَفُّفِ | وَكَرِيمِ أَعْرَاقٍ وَعِرْضِ طَاهِرِ |
| ٤ | وَأَقْرَ السَّلَامِ عَلَيْهِ مِنْ ذِي لَوْعَةٍ | صَدَعَتْهُ صَدْعاً مَالَهُ مِنْ جَابِرِ |
| ٥ | فَعَسَاهُ يَسْمَحُ لِي بِوَصْلِ فِي الْكَرَى | مُتَعَاهِداً لِي بِالْخِيَالِ الزَّائِرِ |
| ٦ | فَأَغْلَلَ الْقَلْبَ الْعَلِيلَ بِطِيفِهِ | عَلَى أَوَافِيهِ وَلَسْتُ بَغَادِرِ |
| ٧ | إِنِّي لَأَسْتَحْيِيهِ وَهُوَ مُغَيَّبٌ | فِي لَحْدِهِ فَكَأَنَّهُ كَالْحَاضِرِ |
| ٨ | أَرعى أذِمَّتَهُ وَأَحْفَظُ عَهْدَهُ | عِنْدِي فَمَا يَجْرِي سِوَاهُ بِخَاطِرِي |
| ٩ | إِنْ كَانَ يَدْتَرُ جِسْمَهُ فِي رَمْسِهِ | فَهَوَايَ فِيهِ الدَّهْرَ لَيْسَ بِدَائِرِ |
| ١٠ | قَطَعَ الزَّمَانَ مَعِيَ بِأَكْرَمِ عَشْرَةٍ | لَهْفِي عَلَيْهِ مِنْ أَبَرِّ مُعَاشِرِ |
| ١١ | مَا كَانَ إِلَّا نَدْرَةً لَا أَرْجِي | عِوَضاً بِهَا قَرْنَيْتَهُ بِنِوَادِرِ |

(١) عَجُ : من فعل عاج بالمكان : أقام به .

واليباب والغامر : الخراب وفي الأساس : اربع على نفسك : تمكث وانتظر .

(٢) في الصحاح : ثم الحديث بابه ردُّ (يَرُدُّ) - وَيَنْمُ بالكسر لغة فيه ، الضجيع هنا المتوفى

(المقصود زوجة الشاعر) .

(٤) صرعه : شقه (وهو هنا صدى مجازي) .

(٩) الرمس : القبر .

- ١٢ وَلَوْ أَنِّي أَنْصَفْتُهُ فِي وَدِّهِ
 ١٣ وَشَقَقْتُ فِي خِلْبِ الْفَوَادِ ضَرْيَحَهُ
 ١٤ أَجِدُ الْحَلَاوَةَ فِي الْفَوَادِ بِكَوْنِهِ
 ١٥ لَسَأَلْتُ مَغْفِرَةً لَهُ وَتَجَاوَزًا
 ١٦ أَخْلِقُ بِمِثْلِي أَنْ يُرَى مُتَطَلِّبًا
 ١٧ مَقْصُورَةً فِي قَبَّةٍ مِنْ لَوْلُؤٍ
 ١٨ لَخَلْتُ ذِرَاعِي وَانْفَرَدْتُ فَإِنْ أَكُنْ
 ١٩ وَلَيْتَن حُرِمْتُ وَلَمْ يَفْزُ قِدْحِي بِهَا
 ٢٠ مَنْ جَاوَزَ السَّيِّئَ لَمْ يَجْمُلْ بِهِ
 ٢١ بَلْ شَغْلُهُ فِي زَادِهِ لِمَعَادِهِ
 ٢٢ وَالشَّيْخُ لَيْسَ قَصَارُهُ إِلَّا التَّقَى
 ٢٣ نَفَرْتُ طِبَاعُ الْغَيْدِ عَنْهُ كَرَاهَةً
 ٢٤ هَلْ يَلْتَقِي قَرْنٌ بِقَرْنٍ فِي الْوَعَى
 ٢٥ وَإِذَا تَقَحَّمَ أَعْزَلَ فِي مَازَقٍ
- لَقَضَيْتَ يَوْمَ قَضَى وَلَمْ أَسْتَخِيرِ!
 وَسَقَيْتُهُ أَبَدًا بِمَاءِ مَحَاجِرِي
 فِيهِ، وَأَرْعَاهُ بِعَيْنِ ضَمَائِرِي
 عَنْهُ مِنَ الرَّبِّ الْجَوَادِ الْغَافِرِ
 حَوْرَاءَ ذَاتِ غَدَائِرٍ وَأَسَاوِرِ
 ذُخِرَتْ ثَوَابًا لِلْمُصَابِ الصَّابِرِ
 تَاجَرْتُ فِيهَا كُنْتُ أَرْبِحَ تَاجِرِ
 فَأَنَا لَعَمْرُ اللَّهِ أَخْسَرُ خَاسِرِ
 شُغْلٌ بِجُمْلٍ وَالرَّبَابُ وَغَادِرِ
 فَالزَّادُ أَكْدَ شُغْلٍ كُلِّ مُسَافِرِ
 لِأَنْ يَهَيِّمَ صَبَابَةٌ بِجَاذِرِ
 وَمِنْ الْعَنَاءِ عِلَاقَةٌ بِمُنَافِرِ
 إِلَّا بِأَزْرَقٍ أَوْ بِعَضْبٍ بِاتِرِ
 كَانَ الْأَسِيرَ وَلَمْ يَكُنْ بِسَالِاسِرِ

(١٢) قَضَى : مات .

(١٣) فِي اللِّسَانِ : الْخِلْبُ حِجَابُ الْقَلْبِ .

(١٦) غَدَائِرُ : جَمْعُ غَدِيرَةٍ وَهِيَ الذُّؤَابَةُ .

(١٧) فِي الْقَامُوسِ : امْرَأَةٌ مَقْصُورَةٌ : مَحْبُوسَةٌ فِي الْبَيْتِ لَا تُتْرَكُ أَنْ تَخْرُجَ .

(٢٠) جُمْلٌ وَالرَّبَابُ وَغَادِرٌ مِنْ أَسْمَاءِ النِّسَاءِ .

(٢٢) قُصَارَاكَ (بِالضَّمِّ) أَيِ جَهْدِكَ وَغَايَتِكَ ، وَأَيْضًا قُصِيرَاكَ ، وَقُصَارَكَ - بِالْفَتْحِ - .

(٢٤) الْأَزْرَقُ : الرَّمْحُ ، وَالْعَضْبُ : السِّيفُ ، وَالْقِرْنُ : الْمَكَافِئُ .

- ٢٦ مَا يَشْتَهِي نَهْدًا وَلَحْظًا فَاتِرًا
 ٢٧ حَسْبِي كِتَابُ اللَّهِ فَهُوَ تَنْعُمِي
 ٢٨ أَفْتَضُّ أَبْكَارًا بِهَا يَغْسِلُنَ مَنْ
 ٢٩ وَإِذَا أَرَدْتُ نَزَاهَةً طَالَعْتُهَا
 ٣٠ وَأَرَى بِهَا نَهْجَ الْهِدَايَةِ وَاضِحًا
 ٣١ قَدْ أَنْ لِي أَنْ أَسْتَفِيقَ وَأَرْغَوِي
 ٣٢ فَلَكُمْ أَرْوَحُ وَأَغْتَدِي فِي غَمْرَةٍ
 ٣٣ وَأَرَى شَبَابِي ظَاعِنًا فِي عَسْكَرٍ
 ٣٤ فَغَدَتُ مَظْفَرَةً عَلَيَّ وَلَمْ تَزَلْ
 ٣٥ وَلَقَدْ رَأَيْتُ مِنَ الزَّمَانِ عَجَائِبًا
 ٣٦ فَوَجَدْتُ إِخْوَانَ الصِّفَاءِ بَزْعَمِهِمْ
 ٣٧ وَلَرَبِّمَا قَدْ شَذَّ مِنْهُمْ نَادِرٌ
 ٣٨ وَإِذَا نَبَا بِي مَنْزِلٌ أَوْ رَابِنِي
- إِلَّا خَلِيٍّ فِي زَمَانٍ فَاتِرٍ
 وَتَأْنَسِي فِي وَحْشَتِي بِدَفَاتِرِي
 يَفْتَضُّنَّ بِكُلِّ مَعْنَى طَاهِرٍ
 فَأَجُولُ مِنْهَا فِي أُنَيْقٍ زَاهِرٍ
 يَنْجُو بِهِ مَنْ لَيْسَ عَنْهُ بِجَائِرٍ
 لَوَأْنِي مِمَّنْ تَصْحُ بِصَائِرِي
 مُتَرَدِّدًا فِيهَا كَمَثَلِ الْحَائِرِ
 عَنِّي وَشَيْبِي وَافِدًا بِعَسَاكِرِ
 قَدُمًا مُعَلَّاةً قِدَاحُ الظَّافِرِ
 جَرَّبْتُهَا بِوَارِدِي وَمَصَادِرِي
 يَلْقَاكَ أَمْحَضُهُمْ بِعَرَضٍ سَابِرِي
 وَأَصُولُنَا: أَنْ لَا قِيَاسَ بِنَادِرِ
 صَفَّقْتُ عَنْهُ كَالْعُقَابِ الْكَاسِرِ

(٢٦) وصف اللحظ بالفاتر ، ويقال : فتر الطرف أي انكسر وسجا أو ضعف ضعفاً مستحسناً ،
 ووصف الزمان بالفاتر : انتقاصاً من الأحوال على زمانه .

(٢٩) النَّزَاهَةُ : مصدر نَزَه . والمقصود تنزهه : أي خرج إلى الأرض النَّزْهَةِ .

(٣١) ارْغَوِي عن كذا : كفَّ وَحَسَّنْ رجوعه عنه .

(٣٢) الغمرة من الشيء ، شدته ، كغمرة الهم والموت .

(٣٤) الْمُعْلَى : سابع قِدَاح الميسر : له غم سبعة أنصبه إن فاز ، وعليه غم سبعة إن لم يفز .
 والمقصود هنا : القدر الفائز .

(٣٦) السَّابِرِي : ثوب رقيق جيد . ومنه (قيل) : غَرَضُ سابري لأنه يرغب فيه بأدنى عرض .

(٣٨) صفق الطائر بجناحيه : ضربها (ليطير) .

- ٣٩ فَأَجُوبُ أَرْضاً سَهْلَهَا كَحُزُونِهَا عِنْدِي وَأَوَّلَ قُطْرِهَا كَالْآخِرِ
٤٠ وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِمُؤْمِنٍ فِي شِدْقِهِ جَرَسٌ كَنَاقُوسٍ بَيْعَةٍ كَافِرٍ!
٤١ لَسِنٍ يُهَيِّنُ دَائِباً وَلَمَّا يَرَى أَنَّ اللِّسَانَ كَمَثَلِ لَيْثٍ هَاصِرٍ
٤٢ وَلَوْ أَنَّي أَدْعُو الْكَلَامَ أَجَابَنِي كِجَابَةِ الْمَأْسُورِ دَعْوَةَ أَسِيرٍ
٤٣ لَكِنْ رَأَيْتُ نَبِيَّنا قَدْ عَابَهُ مِنْ كُلِّ ثَرْثَارٍ وَأَشْدَقَ شَاعِرٍ
٤٤ فَصَمْتُ إِلَّا عَنْ تَقَى وَلَرَبِّمَا قَذَفْتُ بِجَارٍ قَرِيحِي بِجَوَاهِرِ
٤٥ مَا اسْتَحْسَنُوا طَوْلَ الْخُطَابَةِ بَلْ رَأَوْا تَقْصِيرَهَا مَهْمَا ارْتَقَوْا بِمَنَابِرِ
٤٦ وَلَمَّا رَأَوْا سَرْدَ الْكَلَامِ بِسَائِغٍ إِلَّا لَعَبْدٍ قَارِيٍّ أَوْ ذَاكِرِ
٤٧ فَالْعِيُّ فِي الْإِكْثَارِ لَا فِي مَنْطِقِي يُهْدِي إِلَى الْأَلْبَابِ نَفْثَةَ سَاحِرِ
٤٨ وَلَقَدْ أَقُولُ لِبَعْضٍ مَنْ هُوَ عَاذِلِي فِي الْقَصْدِ فِي شَأْنِي وَلَيْسَ بِعَاذِرِي

(٣٩) في الأصل : قُطْرُهَا (بفتح القاف) ، والقُطْرُ بضم القاف : الناحية .

(٤٠) البيعة : كنيسة النصارى (وترد أيضاً لكنيس اليهود) : محل عبادتهم .

(٤١) الهيئة : الصوت الخفي .

(٤٢) عن جابر - رضي الله عنه - أن رسول الله ﷺ قال : « إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون » . قالوا يا رسول الله قد علمنا « الثرثارون » و « المتشدقون » فما المتفيهقون ؟ قال : « المتكبرون » . - رواه الترمذي وقال : حديث حسن .

والأحاديث المروية في الشعراء ، وفي الشعر ، مشهورة في كتب الأدب .

(٤٥) في زاد المعاد : ١١٧/١ « وكان ﷺ يقصر الخطبة ويطيل الصلاة ويكثر الذكر ويقصد الكلمات الجوامع ، وكان يقول : إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه » والمئنة : العلامة ، وسبق الكلام على (مها) في القصيدة [١٠] عند البيت [٣٠] .

(٤٨) العاذل : اللائم ، والعاذر : الذي يجعل لصاحبه (الآخر) عُذراً أو يقبل منه العذر .

- ٤٩ لَمَّا رَأَيْتُ الْأَرْضَ أَصْبَحَ مَاؤُهَا
 ٥٠ وَلَوْ أَنَّي أَرْضِي الْقَذَا فِي مَشْرَبِي
 ٥١ وَغَبْرْتُ بَحَرَ الرِّزْقِ أَلْتَمِسُ الْغِنَى
 ٥٢ لَكُنِّي عَوَّضْتُ مِنْهُ عِنَايَةً
 ٥٣ فَمِنْ الْغِنَى مَا قَدْ يَضُرُّ بِأَهْلِهِ
 ٥٤ وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْمَطَاعِمِ حَاجَتِي
 ٥٥ وَأَنَا لَعَمْرُكَ مُكْرَمٌ فِي جِيرَتِي
 ٥٦ وَغَدَاً بِمَيْدَانِ السَّبَاقِ سَنَلْتَقِي
 ٥٧ وَاسْوَأَتَا إِنْ كُنْتُ سَكَّيْتَا بِهِ
 ٥٨ وَالْوَيْلُ كُلُّ الْوَيْلِ لِي إِنْ لَمْ يَكُنْ
 ٥٩ إِنِّي لِأَشْكُرْهُ عَلَى الْإِثْمِ
 ٦٠ وَإِلَيْهِ أَضْرَعُ فِي إِنْابَةٍ مُخْلِصٍ

(٤٩) رنق الماء رنقا : كدر فهو رنق .

- حسا الطائر الماء حسوا ، ولا تقل شرب ، والحسوة (بالضم) الشيء القليل منه .

والحسوة (بالفتح) : المرة من الحسو .

« ويوم كحسو الطير : قصير » .

(٥٠) كرع في الإناء وفي الماء : تناوله بفيه من موضعه .

(٥٦) من اكتنز وتنعم في الدنيا جاء يوم القيامة في حلبة السباق (الحساب ودخول الجنة) ثقل

الحركة . ضرب (السباق) مثلاً للمكثر والمقل والمسيء والمحسن .

(٥٧) السكَّيتُ (وتُخَفَّفُ الكاف) آخر خيل الحلبة .

والهجين من الخيل : الذي ولدته بردونة من حصان عربي .

(٥٩) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَسَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾

من الآيتين [١٤٤ - ١٤٥] من سورة آل عمران .

(٦٠) مفارق : جمع على غير قياس لكلمة الفقر .

وقال - رحمه الله - يمدح القاضي ابن توبة (☆) :

[القصيدة في مدح القاضي ابن توبة : وهي في قسمين متتابعين أحدهما : مدخل مطول للشاعر فيه نصيب كبير ؛ والثاني : في مدح ابن توبة .

- بدأ الشاعر بتفنيد ميل من أدرك الشيخوخة إلى الجبان (١ - ٣) وذكر حب الحساء للفتى (٤ - ٩) ودعا للبعد عن النساء (١٠ - ١٣) وقدم - لأولئك المُسنِّين - براهين لا تُسَلَّم (١٤ - ١٨) وقارن بين داعي الدنيا من محبة الجبان وبين داعي الآخرة (١٩ - ٢٠) وبين أنه يقول هذا عن رأي في الإعراض عن النساء وأن الزُّهد فيهن ليس عن ضعف أو عجز : واستطرد إلى مزايا فيه كثيرة (٢٤ - ٢٦) .

- وانتقل إلى مدح علي بن توبة بوجوه من معاني المديح الدينية والدنيوية (٢٧ - ٣٧) وقال كلاماً في شعره المدحي هذا ووقر المدوح توقيراً شديداً (٣٨ - ٤٣) .

(☆) علي بن توبة : القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن توبة ، من أهل غرناطة . وقال أبو جعفر ابن الزبير في ترجمته في كتابه صلة الصلة : كان من العلماء الجلة الفقهاء . ولي قضاء غرناطة لباديس بن حبوس وكان من قضاة العدل ، وإليه تنسب قنطرة القاضي . وكان كاتبه الفقيه الزاهد أبو إسحاق الإلبيري ، وفيه يقول :

بعلي بن توبة فاز قـدحي وسمت همتي على الجـوزاء
وتوفي بعد سنة ٤٥٠ أو نحوها .

(ترجمته في صلة الصلة لابن الزبير : ٧٨ ، وفي الإحاطة : ٨٢/٤) .
- وتنظر مقدمتنا لهذا الديوان (الصفحة : ٩) .

[من الخفيف]

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | مَاغْنَاءُ الْكَبِيرِ بِالْحَسَنَاءِ | وَهُوَ مِثْلُ الْحَبَابِ فَوْقَ الْمَاءِ |
| ٢ | يَتَصَابِي وَلَا تَ حِينَ تَصَابِ | بِعُيُونِ الْمَهَا وَسِرْبِ الظُّبَاءِ |
| ٣ | وَلَعَمْرِي لِمَا تُحِبُّ فَتَسَاءُ | يَفَنَّا لَوَغَدَا مِنْ الْخُلَفَاءِ |
| ٤ | وَتُحِبُّ الْفَتَى الرَّقِيقَ الْحَوَاشِي | حُبِّ ذِي الْجَدْبِ صَادِقِ الْأَنْوَاءِ |
| ٥ | كَيْفَ لَا وَهُوَ يَهْنَأُ النَّقْبَ مِنْهَا | بِهِنَاءٍ يَزِيدُ فِي الْبَرْحَاءِ |
| ٦ | لَحَاكَهَا لَطَافَةً وَحَكَّتُهُ | فَهَمَّا فِي الْهَوَى كَمَرْجِ الْهَوَاءِ ! |
| ٧ | لَا كَصَادٍ أَنْأَخَ عِنْدَ قَلْبِ | دُونَ دَلْوٍ يُدْلِي بِهِ وَرِشَاءِ ! |
| ٨ | يُلْحَظُ الْمَاءَ حَسْرَةً وَهُوَ مِنْهُ | مُتَدَانٍ فِي حَالَةِ الْمُتَنَائِي |
| ٩ | كُلُّ قَرْنٍ يُعِدُّ سَيْفًا كَلِيلًا | لِلْقَاءِ يَخُونُهُ فِي اللَّقَاءِ |

(١) يذكر وزن القصيدة ، ولهجة مظهرها ، بقصيدة الأعشى (الديوان / ٣) .

مَا بَكَاءُ الْكَبِيرِ فِي الْأَطْلَالِ وَسْوَإِي وَمَا تَرَدُّ سْوَإِي

والكبير في القصيدتين : الشيخ ، المتقدم في السن .

(٢) من قولهم : تصابي الشيخ . وفي القاموس : صبا إلى المرأة : حَنٌّ ؛ وَتَصَبَّتْهُ : شاقته ودعته إلى

الصبا فحنَّ إليها . وتصاباها : خدعها وفتنها .

(٣) اليَقَنُ : الشيخ الكبير .

(٤) الرقيق الحواشي من الناس : اللطيف الضحبة .

(٥) الأصل في معنى هُنَا : طَلا ، وهُنَا الإبل بالقطران : طلاها .

وبرحاء الحمى : شدتها . ومعنى البيت بعد واضح .

(٧) الصادي : العطشان . والقلب : البئر .

- ١٠ فَمِنْ الرَّأْيِ أَنْ تَكُونَ جَبَاناً سامرياً يَدِينُ بِالْإِنْزِوَاءِ
١١ عَجَباً كَمْ رَأَيْتُ مَالاً مَصُوناً وفؤاداً نهباً بأيدي النساءِ
١٢ وإذا حازِمٌ عَلَى الْمَالِ أَبْقَى فقواه أحقُّ بالإنبقاء
١٣ فَتَسَاوَى الرَّجَالُ فِي مِثْلِ هَذَا فالمجانين فيه كالعقلاء !
١٤ أَيُّ خَيْرٍ لِوَالِدٍ فِي بَنِيهِ وهو عنهم يفرُّ يومَ الجزاءِ
١٥ وَالتَّقِيُّ الْمُؤَفَّقُ الْبَرُّ مِنْهُمْ عَدَمٌ كَالسَّمْعِ بِالْعَنْقَاءِ

(١٠) السامري هو الذي أضلَّ قوم موسى - في غيابه - ودعاهم إلى عبادة العجل . ونقل القرطبي في تفسيره (٢٤١/١١) عن الحسن أنَّ الله تعالى جعل عقوبة السامري ألا يَاسَ الناس ولا يماسوه عقوبة له ولمن كان منه إلى يوم القيامة . وكأنَّ الله عزَّ وجلَّ شَدَّدَ عليه الحنة بأن جعله لا يماس أحداً ولا يمكن أن يمسه أحد ؛ وجعل ذلك عقوبة له في الدنيا .
ونقل أيضاً : لَمَّا قَالَ لَهُ مُوسَى : ﴿ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ .
خاف فهرب فجعل يهيم في البرية مع السباع والوحش ولا يجد أحداً من الناس يمسه .
- وقد شبه ابن زيدون نفسه بالسامري في تجافي الناس عنه في أيام محنته وسجنه ، فقال عن المُبتعدِين عنه نكوصاً أو تقيَّةً :

وَرَأَوْنِي سَامِرِيًّا يُتَّقَى مِنْهُ الْمِسَاسُ !

- وقوله : « فَمِنْ الرَّأْيِ أَنْ تَكُونَ جَبَاناً » مأخوذ من بيت لأبي الطيب

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمَوْتِ بُدًّا فَمِنْ الْعَجْزِ أَنْ تَكُونَ جَبَاناً

وغير الشاعر المقصد وبعض الكلام .

(١٤) معنى البيت مقتبس من قوله تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ . يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ . وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ . لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾ [سورة عبس : ٢٣/٨٠ - ٢٧] .

(١٥) في القاموس : العنقاء طائر معروف الاسم مجهول الجسم . ونقل الثعالبي في كتابه : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (٤٥٠) عن أبي عثمان الجاحظ : الأمم كلها تضرب المثل بالعنقاء في الشيء الذي يُسمع به ولا يرى .

- ١٦ وإذا ما الأديبُ شُبّهَ فيهم
١٧ وأزدرى بالشيوخِ واعترضَ الدأ...
١٨ ذنبٌ أبتَرَّ لعمركَ خيرٌ
١٩ ومن الغبنِ هجرٌ دارِ خلـودِ
٢٠ واشتغالٌ بفرقتى ولبنى
٢١ ولئن عادَ ليلُ رأسي صبحاً
٢٢ إن عودي لعاجميه لصلبٌ
٢٣ وأقضى لبساتي وأروى
٢٤ وأنا قرّةٌ لعينِ صديقي
٢٥ هذبتني نوائبُ الدهرِ حتّى
٢٦ فسفيني تجري بأطيبِ ريحِ
٢٧ بعلي بنِ توبةٍ فاز قدحي
- جَرَّ أذْيَالَهُ مِنَ الْخِيَلِ
... ماءً جَهْلًا بِنَفْثَةِ الرَّقَاءِ
مِنْ طَوِيلٍ يُجَرُّ فِي الْأَقْدَاءِ
وَبَقَاءِ، وَوَصَلَ دَارَ الْفَنَاءِ
وَبَدَعْدٍ عَنْ خِطْبَةِ الْحَوَاءِ
وَوَشَى بِي شَيْبِي إِلَى الْحَسَنَاءِ
وَفُؤَادِي كَصَارِمٍ مَضَاءِ
عَامِلَ الرُّمَحِ مِنْ دَمِ الْعَذْرَاءِ
وَقَذَى فِي مُحَاجِرِ الْأَعْدَاءِ
صِرْتُ كَالْوَصْلِ بَعْدَ طَوْلِ الْجَفَاءِ
لَا بِرِيحٍ ضَعِيفَةٍ نَكْبَاءِ
وَسَمْتُ هِمَّتِي عَلَى الْجَاوِزَاءِ

(١٧) الدأماء : البحر . ورقاء رقياً ؛ فهو رقاء : نفث في عودته .

(١٨) الأقْدَاء : جمع القذى وهو التراب المدقق .

(٢٠) فرقتى ، ولبنى ، ودعد ، من أسماء النساء يكثر ذكرهن في أشعار الغزل . والحوراء من الحور العين .

(٢٢) عاجم اسم فاعل من عجم (العود) إذا عضّه شديداً بالأضراس دون الثنايا ليعلم صلابته .

(٢٣) اللبانة : الحاجة .

(٢٤) القرّة : كل ماقرّت به عينك وسررت به .

- القذى : مايقع في العين وما يُرمى به مما يقع في الشراب كالطين والوسخ .

- والمحاجر : جمع محجر (على وزن مجلس ومنبر) مادار من العين وما بدا من البرقع .

(٢٦) النكباء : ريح بين ريحين (كالريح التي بين الصبا والشمال) .

- ٢٨ فَهَنِيئاً لَنَا وَلِلدَّيْنِ قَاضٍ
٢٩ يَحُصُّ الْأُمْرَ بِالسِّيَاسَةِ وَالْعَدِّ..
٣٠ لَوْ إِيَّاسٌ يَلْقَاهُ قَالَ اعْتِرَافاً
٣١ وَلَوْ أَنَّ الدُّهَاءَ مِنْ كُلِّ عَصِيرٍ
٣٢ أَوْ رَأَى أَحْنَفٌ - أَوْ أَحْلَمُ مِنْهُ -
٣٣ لَوَرَأَى الْمُتَصِفُونَ بَحْرَ نَدَاهُ
٣٤ هُوَ أَوْفَى مِنَ السَّمَوَاتِ عَهْداً
٣٥ وَحَيَا الْمُرْنَ ذَوْحِيَاءٍ إِذَا مَا
٣٦ يَشْهَدُ الْعَالِمُونَ فِي كُلِّ فَنٍّ
٣٧ وَقُضَاةَ الزَّمَانِ أَرْضَ لَدِيهِ
٣٨ لَتَعَرَّضْتُ مَدْحَهُ فَكَأَنِّي
٣٩ فَأَنَا مُفَحِّمٌ عَلَى أَنَّ خَيْلِي
٤٠ لَكَسَانِي بِمَجْدِهِ ثُوبَ فَخْرٍ
- مِثْلُهُ عَالِمٌ بِفَضْلِ الْقَضَاءِ
.. لِي كَحَسْمِ الْحَسَامِ لِلْأَغْدَاءِ
غَلِطَ الْوَاصِفُونَ لِي بِالذِّكَاةِ
خَبَرُوهُ دَانُوا لَهُ بِالذَّهَاءِ
حِلْمُهُ مَا انْتَمَوْا إِلَى الْحِلْمَاءِ
جَعَلُوا حَاتِيًا مِنَ الْبُخْلَاءِ!
وَلَمَّا زَالَ مُغْرَمًا بِالْوَفَاءِ
هَمَلْتُ كَفَّهُ بِوَيْلِ الْعَطَاءِ
أَنَّه كَالشَّهَابِ فِي الْعُلَمَاءِ
وَهُوَ مِنْ فَوْقِهِمْ كَأَفْقِ السَّمَاءِ
رُمْتُ بَحْرًا مُسَاجِلًا بِالْذَّلَاءِ
لَا تُجَارَى فِي حَلْبَةِ الشُّعْرَاءِ
طَالَ حَتَّى جَرَرْتُهُ مِنْ وَرَائِي

(٣٤) اشتهر في التاريخ العربي - فيما اشتهر - حليم الأحنف بن قيس ، كرم حاتم الطائي ، و

إيَّاس وذكاؤه ، ووفاء السموأل .

(٣٥) الحيا : المطر ، وهمل المطر : انصب .

(٣٨) ساجله : باراه في استقاء أو في شرف (وأصله في الاستقاء وذلك بأن يستقي الساقية

فيخرج كل في سجله مثلما يخرج الآخر فأبها انقطع فقد غلب ، ويقال ذلك في المفاخرة

- والدلاء : جمع الدلو .

(٣٩) أفحمه : أسكته في خصومه .

- ٤١ وَلَوْ أَنْصَفْتُه - وَذَاكَ قَلِيلٌ - كَانَ خَدِّي لِرَجُلِهِ كَالْجِذَاءِ
- ٤٢ فَأَنَا عَبْدُهُ - وَذَاكَ فَخَارِي ، وَجَمَالِي بَيْنَ الْوَرَى وَبَهَائِي
- ٤٣ وَثَنَائِي وَقَفَّ عَلَيْهِ وَشُكْرِي وَدُعَائِي لَهُ بِطُولِ الْبَقَاءِ

(٤١) يتوجّه الكلام على حدّته وشدّته على محمّل المبالغة في توقيف هذا القاضي الذي تعرّض لهجاء بعض الشعراء ، وإلى حملة رُفعت فيها العرائض إلى السلطة ضده .
فهو قناعة من الشاعر ونوعٌ مُسرف من التفدية والنكاية بالخصوم .

وقال أيضاً - رضي الله عنه - (٥٦) :

[في القصيدة تصويرٌ لمشاهد من عذاب أهل النار (١ - ١٣)
وتفرقة بين من ينجو وبين من يكون من أهل النار (١٤ - ١٥)
وتحذير من نار جهنم ودعوة للنجاة (١٦ - ١٨) وتعجب ممن لا يحفلون
بالمآل إليها (١٩ - ٢١) ثم حديث عن القلة الألباء يَفِرُّون إلى الله ،
ويَهْجُرُونَ الدنيا الخادعة وجزاؤهم على ذلك (٢٢ - ٢٥) .

ويضرب الشاعر من نفسه المثل ؛ في طلب الخوف من النار
والتفكير في عذابها والنَّجاة من مهاوي الدنيا (٢٦ - ٣١) ويَحَذَرُ بلهجة
خطابية (٣٢ - ٣٤) ويختم بوقفة شخصية (٣٥ - ٣٨) [.

[من السريع]

١ وَيُلُّ لِأَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ ماذا يُقَاسُونَ مِنَ النَّارِ
٢ تَنَقَّدُ مِنْ غَيْظٍ فَتَغْلِي بِهِمْ كَمِرجَلٍ يَغْلِي عَلَى النَّارِ

(٥٦) في شعر محمد بن يسير الرياشي (معجم الشعراء : ٢٥٣) :

ويُلُّ لمن لم يرحم الله ومن تكون النارُ مثواه
من طال في الدنيا به عمره وعاش فالموتُ قصاره
كأنه قد قيل في مجلس قد كُنتَ آتيةً وأغشاه :
صار السيْرُ إلى ربِّه يَرْحَمُنَا اللهُ وَإِيَّاهُ !

وهي قطعة تذكر بقصيدي الإلبيري ، السابقة [١٥] وهذه القصيدة .

(٢) يقال : قدَّه ، فاتقدَّ : أي شقَّه فانشقَّ .

=

٣	فَيَسْتَفِثُونَ لَكَي يُعْتَبُوا	أَلَا لَعْنًا مِنْ عَذْرَةِ النَّارِ
٤	وَكُلُّهُمْ مُعْتَرِفٌ نَنَادِمٌ	لَوْ تَقْبَلُ التَّوْبَةَ فِي النَّارِ
٥	يَهْوِي بِهَا الْأَشْقَى عَلَى رَأْسِهِ	فَالْوَيْلُ لِلْأَشْقَى مِنَ النَّارِ
٦	فَتَارَةً يَطْفُو عَلَى جَمْرِهَا	وَتَارَةً يَرْسُبُ فِي النَّارِ
٧	وَكُلَّمَا رَامَ فِرَارًا بِهِـ	فَرَّ مِنَ النَّارِ إِلَى النَّارِ
٨	يَطُوفُ مِنْ أَقْعَى إِلَى أَرْقَمٍ	وَسُمُّهَا أَقْوَى مِنَ النَّارِ
٩	وَكَمْ بِهِـا مِنْ أَرْقَمٍ لَا يَنِي	يَلْسَعُ مَنْ يُسْحَبُ فِي النَّارِ
١٠	لَا رَاحَةً فِيهَا وَلَا فِتْرَةَ	هَيْهَاتَ لَا رَاحَةَ فِي النَّارِ
١١	أَنْفَاسُهَا مُطَبَّقَةٌ فَوْقَهُمْ	وَهَكَذَا الْأَنْفَاسُ فِي النَّارِ
١٢	سُبْحَانَ مَنْ يُمَسِّكُ أَرْوَاحَهُمْ	فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ فِي النَّارِ
١٣	وَلَوْ جِبَالُ الْأَرْضِ تَهْوِي بِهَا	ذَابَتْ كَذَوْبِ الْقِطْرِ فِي النَّارِ
١٤	طُوبَى لِمَنْ فَازَ بِدَارِ التَّقَى	وَلَمْ يَكُنْ مِنْ حَصَبِ النَّارِ

= وفي سورة الملك [٨٧/٦٧] في صفة جهنم : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أَلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ

خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴾ أي تكاد تتقطع وينفصل بعضها من بعض من شدة الغضب .

(٣) في سورة الكهف [٢٩/١٨] : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا

أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ .

(٥) سورة الليل [١٤/٩٢-١٥] : ﴿ فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى . لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴾ .

(٨) الأرقم : ذَكَرَ الْحَيَاتِ ، أَوْ أَخْبَثَهَا .

(٩) يقال : فلان لا يني يفعل كذا : أي لا يزال .

(١٣) القِطْرُ : النحاس الذائب أو ضرب منه .

(١٤) الحَصَبُ : ما يرمى به في النار حصب أو لا يكون الحطب حصباً حتى يُسَجَر . وفي سورة

الأنبياء [٩٨/٢١] قوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ .

- ١٥ وَيُؤْتِلْ مَنْ عَمَّرَ دَهْرًا وَلَمْ
١٦ يَا أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوا حِذْرَكُمْ
١٧ فَإِنَّهَا مِنْ شَرِّ أَعْدَائِكُمْ
١٨ وَأَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ مَوْلَاكُمْ
١٩ وَاعْجَبُوا مِنْ مَرَحٍ لَا عِبَ
٢٠ يَوْقِنُ بِالنَّارِ وَلَا يَرْعَوِي
٢١ وَهُوَ بِهَا فِي خَطَرٍ بَيِّنٍ
٢٢ إِنَّ الْأَلْبَاءَ هُمْ قَلِيلَةٌ
٢٣ وَطَلَّقُوا الدُّنْيَا بَتَاتًا وَلَمْ
٢٤ وَأَبْصَرُوا مِنْ غَيْبِهَا أَنَّهَا
٢٥ فَطَابَتْ الْأَنْفُسُ مِنْهُمْ بِأَنَّ
٢٦ وَاللَّهُ لَوْ أَغْقَلَ لَمْ تَكْتَحِلْ
٢٧ وَلَا رَقًا دَمْعِي ، وَلَا عِلْمَ لِي
٢٨ وَلَمْ أَرِدْ مَاءً وَلَا سَاعَ لِي
- يُرْحَمُ وَلَمْ يُعْتَقْ مِنَ النَّارِ
وَحَصَّنُوا الْجَنَّةَ لِلنَّارِ
مَا فِي الْعِدَا أَعْدَى مِنَ النَّارِ
فَذِكْرُهُ يُنْجِي مِنَ النَّارِ
يَلْهُو وَلَا يَحْفِلُ بِالنَّارِ
كَأَنَّهُ يَرْتَابُ فِي النَّارِ
لَوْ كَسَ مَا خَاطَرَ بِالنَّارِ
فَرُّوا إِلَى اللَّهِ مِنَ النَّارِ
يَلُودُوا عَلَيْهَا حَذَرَ النَّارِ
فَتَانَةٌ تَدْعُو إِلَى النَّارِ
أَمْنَهُمْ مِنْ فَزَعِ النَّارِ
بِالنُّومِ عَيْنِي خِيفَةَ النَّارِ
أَنِّي فِي أَمْنٍ مِنَ النَّارِ
إِذَا ذَكَرْتُ الْمُهْلَ فِي النَّارِ

(١٦) سورة النساء [٧١/٤] : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ تَنْفِرُوا

جَمِيعًا ۖ

(٢١) الكَيْسُ - مصدر : كَسَ - العقلُ ، والجود ، والغلبة بالكياسة .

(٢٢) الْأَلْبَاءُ : جمع لبيب ؛ وهو الْفَطْنُ الذَّكِيُّ .

(٢٣) بَتَّ الطَّلَاقُ وَأَبْتَهُ : أوقعه ثلاثاً باتاً ؛ وقد سبق في القصيدة الأولى ، البيت الثالث .

(٢٤) في سورة الحديد [٢٠/٧٥] : ﴿ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ۖ

(٢٧) رَقًا الدَّمْعُ وَالذَّمُّ وَنَحْوُهُمَا : سَكَنَ وَجَفَّ وَانْقَطَعَ بَعْدَ جَرِيَانِهِ .

(٢٨) الْمُهْلُ : الْمَعْدِنُ الْمَذَابُ .

فَكَرَّتْ فِي الزَّقُّومِ فِي النَّارِ	٢٩ ولم أَجِدْ لَنَذَةٍ طَعْمٍ إِذَا
أَدَّى إِلَى الشَّقْوَةِ فِي النَّارِ	٣٠ أَيُّ التَّيِّبَاتِ نَذَاذٍ بَنِيمٍ إِذَا
أَعْقَبَ طَوْلَ الْحُزْنِ فِي النَّارِ	٣١ أَمْ أَيُّ خَيْرٍ فِي سُورٍ إِذَا
مَا حَذَرَ اللَّهُ مِنَ النَّارِ	٣٢ فَفَكَّرُوا فِي هَوْلِهَا وَاحْذَرُوا
تَدْعُهُمْ دَعَاءً إِلَى النَّارِ	٣٣ فَإِنَّهَا رَاصِدَةٌ أَهْلُهَا
إِلَّا الْمُعَافَاةَ مِنَ النَّارِ	٣٤ فَلَيْسَ مِثْلِي طَالِباً حَبَّةً
يَا رَبُّ حَرِّمْنِي عَلَى النَّارِ	٣٥ وَطَالَمَا اسْتَرْحَمْتُهُ ضَارِعاً
غَيْرُكَ؛ أَعْتَقْنِي مِنَ النَّارِ	٣٦ فَإِنَّتَ مَوْلَايَ وَلَا رَبَّ لِي
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ النَّارِ	٣٧ وَلَمْ تَزَلْ تَسْمَعُنِي قَائِلاً:

(٢٩) في سورة الدخان [٤٦-٤٣/٤٤] : ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ . طَعَامُ الْأَثَمِ . كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي

الْبُطُونِ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴾ .

(٣٣) الدَّعْ : الدَّفْعُ العنيف .

(٣٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ الْخَطُوطُ : « طَالِباً حَبَّةً » مضبوطة مشكولة ؛ ويتوجّه لي أن أقرأها :
« طَالِباً حَبَّةً » .

وقال أيضاً - رضي الله عنه - :

[أبصر أول شعرة بيضاء فارتاع لذلك ، وأنذر نفسه بالموت ونصحها ألا تستهين بالشيب ولو كان في شعرة واحدة (١ - ٢) وضرب مثلاً من الطلل والمطر الغزير (٣) والصُّبح الذي يبدأ بخيط أبيض ثم يطوي سواد الليل (٤) فنذير الشَّيب يُؤذن بالأفول ويؤثر في قوة المرء ويحجبه عن نشاط الشَّباب (٥ - ٩) .
وطلب لزوم باب الله والإخلاص له تعالى (١٠ - ١١)] .

[من الوافر]

١ بَصُرْتُ بِشَيْبَةٍ وَخَطَّتْ نَصِيلِي فَقُلْتُ لَهُ تَأْهَبُ لِلرَّحِيلِ
٢ وَلَا يَهْنِ الْقَلِيلُ عَلَيْكَ مِنْهَا فَمَا فِي الشَّيْبِ وَيُحَكُّ مِنْ قَلِيلِ !

(١) بَصَرَ بالشيء : رآه . ويقال (بَصُرَ بالشيء) إذا انضمت رؤية القلب إلى رؤية العين . ومعنى خطه الشيب : خالطه . والنَّصِيلُ في القاموس : الحنك ، وفي أساس البلاغة : هو المفصل بين الرأس والعنق من تحت اللحين .

رأى الشاعر شيبة ظهرت في جانب رأسه وهو أول ما يظهر الشيب فيه عادة فخاطب نفسه حينئذ ، وقال لها : تأهبي للموت ... إلخ .

وفي البيت التفات من ضمير المتكلم إلى ضمير الغائب ؛ والمقصود واحد هو الشاعر نفسه . وفي بهجة المجالس ٢١١/٢ رأى إياس بن قتادة شعرة بيضاء في لحيته ، فقال : أرى الموت يطلبني ، وأراني لأفوته . أعوذ بك يا رب من فجأة الموت . يا بني سعد ! قد وهبت لكم شبابي فهبوا لي شبي !

(٢) هان عليه الأمر : كان يسيراً لا أهمية كبيرة له .

وَكَمْ قَدْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ مُزْنًا	٣
وَكَمْ عَايَنْتَ خَيْطَ الصُّبْحِ يَجْلُو	٤
وَلَا تَحْقِرْ بَنْدَرَ الشَّيْبِ وَاعْلَمْ	٥
فَكَمْ مِمَّنْ مَفَارِقُهُ ثَغَامٌ	٦
تَعَوَّضَ مِنْ ذِرَاعِ الْخَطْوِ فِتْرًا	٧
فَكَيْفَ يُمَثِّلُهُ لِمَهَاةِ رَمْلٍ	٨
تَطْلُبُ غَيْرَ مَا فِي الطَّبْعِ صَعْبٌ	٩
وَلَا زِمَ قَرَعَ بَابِ الرَّبِّ دَابًّا	١٠
فَمَا مِنْ مُخْلِصٍ لِلَّهِ إِلَّا	١١
أَصَابَكَ طَلْهًا قَبْلَ الْهُمُولِ	
سَوَادَ اللَّيْلِ كَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ	
بَأَنَّ الْقَطَرَ يَبْعَثُ بِالسُّيُولِ	
وَأَنْجُمَهُ عَلَى فَلَكِ الْأَفُولِ	
وَمِنْ عَضْبٍ بِمَفْلُولٍ كَلِيلِ	
كَأَنَّ وَصَالَهَا نَوْمُ الْعَلِيلِ	
عَلَيْكَ، فَدَعُ طِلَابَ الْمُسْتَحِيلِ !	
فِيَا لُزُومَهُ سَبَبُ الدُّخُولِ	
عَلَى أَعْمَالِهِ أَثَرُ الْقَبُولِ	

(٣) المزن (جمع المزنه) : السحاب ذو الماء . والطل : المطر الضعيف أو أخف المطر . وهملت السماء : دام مطرها في سكون وضعف .

(٥) نذر : جمع نذير ، وهو المنذر والمخذر . ونص المخطوطة (ولا تحقر بنذر الشيب) . وفي الشريشي (ولا تحقر بنور الشيب) ولم أجد من عدى فعل حقر بالباء ؛ ولكن الشاعر ضمن فعل حقر معنى فعل ازدرى أو أزرى .

(٦) الثغام (واحده ثغامة) : نبت أخضر ذو ساق بيض أبيضاً شديداً إذا يبس . يُشَبَّه به الشيب .

- ويقال في الفعل : أثغم الرأس : صار كالثغامة بياضاً .

(٧) أي كبر فضعف وتقارب خطؤه . والعَضْبُ (في الأصل) صفة للسيف وما يشبهه : وهو القاطع ، والمفلول : المثلوم ، والسيف الكليل : الذي ينبو ولا يقطع .

- والكلام في البيت على المجاز ،

(٨) المهاة : البقرة الوحشية البيضاء . تشبه المرأة الحسناء بها .

(٩) والبيت في المقصد العام كقول أبي الطيب : (وتأبى الطباع على الناقل) .

وقال - رحمه الله - يخاطب صنهاجة^(☆) إذ كان اليهودي النُّغْراليُّ - لعنه الله - وزيراً وكتّاباً لباديس بن حُبُّوس صاحب أغرناطة :

[يبدأ الشاعر بتنبيه صنهاجة على خطأ أميرهم (١ - ٣)
لاختياره ابن النغريلة الذي فضل قومه على المسلمين وظلمهم (٤ - ٦)
وتحميل باديس المسؤولية (٧ - ١٠) وما يستحق الوزير وقومه من
المعاملة بسبب أفعالهم (١١ - ١٥) وخطاب لباديس نفسه (١٦ - ١٨)
وتبصير له بصنيعهم ومكايدهم عامة وللنغريلي خاصة (١٩) وتذكير له
بأفكار شرعية (٢٠ - ٢١) وبيان له لمفاسد يهود (٢٣ - ٢٤) واستشارة
بمواطن الخير في باديس (٢٥ - ٢٦) وسرد لتجربة الشاعر معهم
ومشاهداته (٢٧ - ٣٥) ووقفه عند النغريلي وطغيانه وإسرافه
(٣٦ - ٣٧) وسوء نيته (٣٨ - ٣٩) وتحريض مباشر للتخلص من
النغريلي وقومه (٤٠ - ٤٧) وتوجيه باديس إلى تقوى الله (٤٨)
وأحكام شرعه] .

(☆) صنهاجة : جيلٌ ضخمٌ من البربر من بَطُون البرانس كان لهم شأنٌ سياسيٌّ كبيرٌ في المغرب والأندلس . وتفرّع من صنهاجة فروع كثيرة قَدَّرت بنحو سبعين بطناً .
- والنُّغْرالي : هو يوسف بن إسماعيل بن النُّغْريلة : خَدَم دَوْلَة بني زيري بعد أبيه إسماعيل وقوي نفوذه ، ومكّن لبني جلدته ، وأساء السيرة في العامة وأساء إلى المسلمين بالكلام في القرآن . ولكنّه أَرْضَى باديس صاحب غُرْناطة بكفاية الجباية ووفرتها !
- وأسهم الإلبيري وغيره من الفقهاء والعلماء وأهل الرأي في كشف تأمر ابن النُّغْريلة وضلوعه في اغتيال ابن الأمير بُلْقَيْن بن باديس (وكان بُلْقَيْن يكره ابن النغريلة ودسائسه) واشتعلت

[من المتقارب]

- ١ أَلَا قُلْ لِّصِنْهَاجَةٍ أَجْمَعِينَ بُدُورِ النَّدِيِّ وَأُسْدِ الْعَرِينِ
- ٢ لَقَدْ زَلَّ سَيِّدُكُمْ زَلَّةً تَقَرُّ بِهَا أَعْيُنُ الشَّامِتِينَ
- ٣ تَخَيَّرَ كَاتِبَتَبَهُ كَافِرًا وَلَوْ شَاءَ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ
- ٤ فَعَزَّ الْيَهُودُ بِهِ وَاتَّخَوْا وَتَاهُوا وَكَانُوا مِنَ الْأَرْذَلِينَ
- ٥ وَنَالُوا مِنْهُمْ وَجَازَاوَا الْمَدَى فَحَانَ الْهَلَاكُ وَمَا يَشْعُرُونَ
- ٦ فَكُم مَّسْلُومٍ فَاضِلٍ قَانِتٍ لَأَرْذَلٍ قَرِيدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
- ٧ وَمَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ سَعْيِهِمْ وَلَكِنْ مِّنَّا يَقُومُ الْمُعِينُ

ثورة في غرناطة ضد ابن النغيلة ورهطه انتهت بالقضاء عليه ، والتخلص منه .

- وباديس بن حبّوس : أمير غرناطة بعد أبيه حبّوس . ولي سنة ٤٢٨ وتلقب بالمظفر بالله الناصر لدين الله . كتب له إسماعيل بن النغيلة ثم ابنه يوسف فتمكن اليهود في غرناطة وعاثوا وبغوا . ولما انكشف لباديس غدر ابن النغيلة بابنه ومشاركته في مؤامرة للإطاحة به لمصلحة ابن صَاحِبِ الْمَرْيَةِ : سمع من الإلبيري وغيره ، وأدعّن لِهَيْجِ العامة الذين قتلوا ابن النغيلة ونفراً من قومه .

وكان باديس شديداً صارماً ، بالغ السطوة أحياناً ، وتوفي سنة ٤٦٥ .

- أغرناطة : حاضرة كورة البيرة وعاصمة دويلة بني زيري . كبرت بعد خراب البيرة وحلت محلها في المنطقة (يُقال فيها غَرْنَاطَة وأغرناطة) .

(١) النَّدِيِّ : مجلس القوم ، ومتحدثهم ماداموا فيه : والندي تطلق على أهل المجلس .

(٤) انتخى : افتخر وتعظم .

(٦) قَتَّ اللَّهُ : أطاعه ، أو أطاعه في خُشوع وخضوع .

وقول الشاعر « لَأَرْذَلٍ قَرِيدٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » هجاء لليهود فقد كان قومٌ من أسلافهم اعتدوا في السَّبِّ فعوقبوا بأنْ مَبَّخُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ . قال تعالى في سورة البقرة [٦٥/٢] : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبِّ فَقُلْنَا لَهُمْ كُنُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ ﴾ .

- ٨ فَهَلَّا أَقْتَدَى فِيهِمْ بِالْأَلَى
٩ وَأَنْزَلَهُمْ حَيْثُ يَسْتَأْهِلُونَ
١٠ وَطَافُوا لَدَيْنَا بِأَخْرَاجِهِمْ
١١ وَقَمُّوا الْمَزَابِلَ عَنْ خِرْقَةٍ
١٢ وَلَمْ يَسْتَخِفُّوا بِأَعْلَامِنَا
١٣ وَلَا جَالَسُوهُمْ وَهُمْ هُجْنَةٌ
١٤ أَبَادِيْسُ أَنْتَ أَمْرٌ حَازِقٌ
١٥ فَكَيْفَ أَخَفَّتْ عَنْكَ أَعْيَانُهُمْ
١٦ وَكَيْفَ تُحِبُّ فِرَاحَ الزَّوْنَا
١٧ وَكَيْفَ يَتِمُّ لَكَ الْمُرْتَقَى
١٨ وَكَيْفَ اسْتَنْمَتْ إِلَى فَاسِقِ
- من القــــادةِ الحَيِّرةِ الْمُتَّقِينِ
وَرَدَّهُمْ أَسْفَلَ السَّافِلِينَ
عَلَيْهِمْ صَغَارٌ وَذُلٌّ وَهَوْنٌ
مُلَوَّنَةٌ لِدِثَارِ الدَّقِينِ
وَلَمْ يَسْتَطِيلُوا عَلَى الصَّالِحِينَ
وَلَا وَاكْبُوهُمْ مَعَ الْأَقْرَبِينَ
تُصِيبُ بِظَنِّكَ نَفْسَ الْيَقِينِ
وَفِي الْأَرْضِ تُضْرَبُ مِنْهَا الْقُرُونُ
وَهُمْ بَغْضُوكَ إِلَى الْعَالَمِينَ
إِذَا كُنْتَ تَبْنِي وَهُمْ يَهْدِمُونَ
وَقَارَتَتْهُ وَهُوَ بَيْسَ الْقَرِينِ

(٩) يستأهلون على تسهيل الهمزة . وفي الشطر الثاني اقتباس قرآني .

(١٠) الأخراج : جمع الخُرْج ، أصله اسم ما يخرج من الأرض وجملة معناه : الغلَّة ، ثم استعمل في منافع الأملاك وريع الأرض ، وغلَّة العبيد ، والحيوانات . والخُرْج : الضريبة على الرؤوس وعلى الدخل . والشاعر يشير إلى الآية الكريمة ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة ٢٩/٩] .

(١١) قَمَّ البيت : كنهه .

(١٢) الأعلام : ج علم : سيّد القوم : والمقصود أعلام المسلمين الذين تعرضوا للاستخفاف من ابن النغيلة ورهطه .

(١٣) الهُجْنَةُ : ما يعاب : ويلزم أحدهم من العيب ، والهُجْنَةُ في النسب كرم الأب مع عدم كرم الأم ، وعكسه العُرْفَةُ .

(١٦) الفراخ جمع الفرخ : وهو ولد الزنا !

(١٨) استنام لكذا : سكن إليه سكون النائم .

- وقوله بيس : أي بئس : سهلت الهمزة .

- ١٩ وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِي وَحْيِهِ
٢٠ فَلَا تَتَّخِذْ مِنْهُمْ خَادِمًا
٢١ فَقَدْ ضَجَّتِ الْأَرْضُ مِنْ فِسْقِهِمْ
٢٢ تَأْمَلُ بَعَيْنُكَ أَقْطَارَهَا
٢٣ وَكَيْفَ انْفَرَدْتَ بِتَقْرِيْبِهِمْ
٢٤ عَلَى أَنَّكَ الْمَلِكُ الْمُرْتَضَى
٢٥ وَأَنَّ لَكَ السَّبْقَ بَيْنَ الْوَرَى
٢٦ وَإِنِّي احْتَلَلْتُ بَغْرَنَاطَةَ
٢٧ وَقَدْ قَسَمُوهَا وَأَعْمَالَهَا
٢٨ وَهُمْ يَقْبِضُونَ جَبَايَاتَهَا
- يَحْذَرُ عَنْ صُحْبَةِ الْفَاسِقِينَ
وَذَرَهُمْ إِلَى لَعْنَةِ الْبَلَاءِ
وَكَادَتْ تَمِيدُ بِنَا أَجْمَعِينَ
تَجِدُهُمْ كِلَابًا بِهَا خَاسِئِينَ
وَهُمْ فِي الْبِلَادِ مِنَ الْمُبْعَدِينَ
سَلِيلُ الْمُلُوكِ مِنَ الْمَاجِدِينَ
كَأَنْتَ مِنْ جِلَّةِ السَّابِقِينَ
فَكُنْتُ أَرَاهُمْ بِهَا عَابِثِينَ
فَمِنْهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ لَعِينُ
وَهُمْ يَخْضَمُونَ وَهُمْ يَقْضَمُونَ

(١٩) وفي سورة التوبة [٩٦/٩] : ﴿ يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنْ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ .

(٢٠) يعني الخدمة الإدارية والسياسية . والشاعر يذكر باديس بحكم الله في اتخاذه ابن النغيلة من دون المؤمنين ، وذلك أن الله تعالى قال : ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيَحْذَرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [آل عمران ٢٨/٣]

(٢٦) احتللت بغرناطة : أي نزل فيها واتخذها دار إقامة بعد نزوحه عن البيرة .

(٢٨) الْخَضْمُ : الأكل بأقصى الأضرار ، والقَضْمُ : الأكل بأدناها . وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه : « تأكلون خضماً وتأكل قضمًا » . وفيها كناية عن الأكل الطيب الطري والأكل الجاسي من ذي التقشف .

يقول : أكل اليهود الأخضر واليابس ولم يبقوا لنا شيئاً !

وَأَنْتُمْ لَا تَضَعُهَا لِابْسُونَ	٢٩ وَهُمْ يَلْبِسُونَ رَفِيعَ الْكُسا
وَكَيْفَ يَكُونُ خَوْنٌ أَمِينٌ؟	٣٠ وَهُمْ أَمَنَّاكُمْ عَلَى سِرِّكُمْ
فَيَقْصَى، وَيُدْنُونُ إِذْ يَأْكُلُونَ	٣١ وَيَأْكُلُ غَيْرَهُمْ دِرْهَمًا
فَمَا تَمْنَعُونَ وَلَا تُنْكِرُونَ	٣٢ وَقَدْ نَاهَضُوكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ
فَمَا تَسْمَعُونَ وَلَا تُبْصِرُونَ	٣٣ وَقَدْ لَابَسُوكُمْ بِأَسْحَارِهِمْ
وَأَنْتُمْ لِأَطْرَافِهَا أَكِلُونَ	٣٤ وَهُمْ يَذْبَحُونَ بِأَسْوَاقِهَا
وَأَجْرِي إِلَيْهَا نَمِيرَ الْعِوَنُ	٣٥ وَرَحْمَ قِرْدَهُمْ دَارَهُ
وَنَحْنُ عَلَى بَابِهِ قَائِمُونَ	٣٦ فَصَارَتْ حَوَائِجُنَا عِنْدَهُ
فَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ	٣٧ وَيَضْحَكُ مِنَّا وَمِنْ دِينِنَا
كَالِكَ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ	٣٨ وَلَوْ قُلْتَ فِي مَالِهِ إِنَّهُ

(٢٩) الكسا جمع الكسوة (بضم الكاف وكسر ها) ، وهي اللباس .

(٣٠) أمتاكم : أي أمنائكم .

(٣١) أكل المال بالباطل : صرفه إلى ما ينافي الحق .

(٣٢) ناهضه : قاموه .

(٣٣) يقولون إن ابن النغريلة ورهطه خدعوا صنهاجة وأهل غرناطة والأمير بما برعوا فيه من عمل السحر أو جعل مخادعتهم كالسحر .

(٣٤) قوله - بأسواقها - يعني : بأسواق غرناطة .

(٣٥) رَحَم الدَّار : جعلها من الرُّخام (وما يُشبهه مما يزين به وتكثر نفقته) .

(٣٧) كان ابن النغريلة قال كلاماً استخفافياً بالقرآن الكريم والإسلام وتصدى له العلماء والفقهاء وردوا عليه أقواله وسخافاتة . وقد بقي في الكتب بقايا من تلك الوقفة أهمها كتاب الإمام ابن حزم في الرد على ابن النغريلة (راجع مقدمة المحقق ص ١٤ - ١٥) .

(٣٨) يُريد : إن مال هذا الوزير المخادع من مالك (مال الدولة) فلا جناح عليك في أن تردّه إلى مُعْدِنه .

- ٣٩ فَبَادِرْ إِلَى ذَبْحِهِ قُرْبَةً
٤٠ وَلَا تَرْفَعْ الضُّغْطَ عَنْ رَهْطِهِ
٤١ وَفَرِّقْ عِدَاهُمْ وَخُذْ مَا لَهُمْ
٤٢ وَلَا تَحْسِبْنِ قَتْلَهُمْ غَنْدَرَةً
٤٣ وَقَدْ نَكَّثُوا عَهْدَنَا عَنْدَهُمْ
٤٤ وَكَيْفَ تَكُونُ لَهُمْ ذِمَّةٌ
٤٥ وَنَحْنُ الْأَذِلَّةُ مِنْ بَيْنِهِمْ
٤٦ فَلَا تَرْضَ فِينَا بِأَفْعَالِهِمْ
٤٧ وَرَاقِبْ إلهُكَ فِي حِزْبِهِ
وَضَحَّ بِهِ فَهُوَ كَبْشٌ سَمِينُ !
فَقَدْ كَنَزُوا كُلَّ عِلْقٍ ثَمِينُ
فَأَنْتَ أَحَقُّ يَا يَجْمَعُونَ
بَلِ الْغَدْرِ فِي تَرْكِهِمْ يَعْثُونَ
فَكَيْفَ تُلَامُ عَلَى النَّاكِثِينَ ؟
وَنَحْنُ خُمُولٌ وَهُمْ ظَاهِرُونَ ؟
كَأَنَّا أَسَانَا وَهُمْ مُحْسِنُونَ !
فَأَنْتَ رَهِينٌ بِمَا يَفْعَلُونَ
فَحِزْبُ الْإِلَهِ هُمُ الْغَالِبُونَ

(٣٩) استفاد الشاعر من معنى التضحية اللغوي والشرعي .

(٤٠) العلق : النفيس .

(٤١) أي وفرقهم بعد تجمعهم وتكالبهم فإنهم عدا .

(٤٢) يقول : نقضوا الذمة فكافئهم بما نقضوا .

(٤٣) نكث العهد (وأخبل والعقد) : نقضه .

(٤٤) خُمُول : أي خاملون .

(٤٥) يصف عسف الوزير ومن استخدمه من قومه .

(٤٦) أي باديس يحمل الأوزار التي يقترفها ابن النغيلة وجماعته .

(٤٧) في سورة المائدة [٥٦/٥] : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ .

وقال أيضاً - رضي الله عنه - :

[عاش الإليري مدة طويلة من حياته (بعد الشباب الأول) في ظلّ الفتنة التي أودت بالدولة الأموية . وظلّ دُوِيّلات الطوائف التي : تناهبت الأندلس وقسمتها ، وتهاوّن زعمائها مع العدو الشرّس . وعدّ الإليريّ تلك الأيام من أيام الفتن (يراجع البيت الأول وشرّحه) . ورأى أن أولى العلم من المسلمين آنذاك تنبهوا لذلك الأبيات (١ - ٣) وكانوا في مراكز مختلفة كلها صالح نافع ملائم : فبعضهم عالم عامل (٤ - ٦) وبعضهم منقطع إلى الجهاد يقاتل العدو عن صدق نيّة وخلوص إيمان (٧ - ٨) وبعضهم عابداً منقطع عن الناس غير خائض في الفتن (٩ - ١٢) وبعضهم منقطع في رؤوس الجبال (١٣ - ١٥) وبعضهم التفت إلى الله تائباً عابداً (١٦ - ١٨) أو منقطعاً ذاكراً (١٩ - ٢٥) ويشيد بهؤلاء جميعاً (٢٦ - ٢٩) ويتمنّى لو يكون خادماً لهؤلاء ؛ ويتمنّى عليهم ويتلوّم على تقصيره (٣٠ - ٣٢) ويُنحي باللائمة على الدنيا (٣٣ - ٣٤) ويصف نفسه بالعفلة لعدم الانتباه لواعظ الشيب (٣٥ - ٣٦) ولِسَبْرِهِ سيرة العجّوز المتصابي (٣٧ - ٤٠) ويرجع إلى نفسه (٤١ - ٤٣) ويختم بالدعاء والرجاء (٤٤ - ٤٥) .

[من السريع]

١ إِنَّ أُولَى الْعِلْمِ بِهَا فِي الْفِتْنِ تَهَيَّوْهَا مِنْ قَدِيمِ الزَّمَنِ

(١) الفتن : جمع الفتنة : وهي هنا ما يقع فيه الناس من الاختلاف أو الحرب والقتال .

٢	فاسْتَعْصَمُوا اللَّهَ وَكَانَ التَّقَى	أَوْفَى لَهُمْ فِيهَا مِنْ أَوْفَى الْجَنَنِ
٣	وَاجْتَمَعُوا فِي حُسْنِ تَوْفِيقِهِ	وافتَرَقُوا فِي كُلِّ سَعْيٍ حَسَنٍ
٤	فَعَالِمٌ مُسْتَمَجِدٌ عَامِلٌ	يَسْأَلُكَ بِالنَّاسِ سَوَاءَ السُّنَنِ
٥	يَنْثُرُ مِنْ فِيهِ لَهُمْ جَوْهَرًا	مَنْ عَلِمَهُ لَيْسَ لَهُ مِنْ ثَمَنِ
٦	يَقْسِمُهُ طُلَّابُهُ بَيْنَهُمْ	قِسْمَةً تَعْدِيلٍ بِقَدْرِ الْفِطَنِ
٧	وَبُهِمَةً مُخْتَرِطٌ سَيْفُهُ	يَغْمِدُهُ فِي هَامِ أَهْلِ الْوَثَنِ
٨	يَلْبَسُ مِنْ إِيَّانِهِ لَأْمَةً	فَضْفَاضَةً يَغْنَى بِهَا عَنْ مِجَنِّ
٩	وَحَابِسٌ فِي بَيْتِهِ نَفْسَهُ	مُعْتَزِلٌ مُسْتَمْسِكٌ بِالسُّنَنِ
١٠	يَأْخُذُ مِنْ دُنْيَاهُ قُوْتًا لَهُ	مُقْتَنِعًا مِثْلَ عِذَارِ الرَّسَنِ
١١	قَدْ جَعَلَ الْبَيْتَ كَقَبْرِ لَهُ	وَبُرْدَهُ فِيهِ لَهُ كَالْكَفَنِ
١٢	فَهُوَ خَفِيفُ الظَّهْرِ لَكْنُهُ	أَثْقَلُ فِي مِيزَانِهِ مِنْ حَضَنِ

(٢) في الأساس : أنا معتم بفلان ومستعصم به .

فالفعل استعصم لهذا المعنى يتعدى بالباء .

- وَالْجَنَن : جمع الجنة ، وهو ما بقي ويحمي .

(٤) السَّوَاء : المُسْتَوِي .

(٥) أَي لَا يَقْدَرُ بَثْنٌ لارتفاع قيمته (كلُّ ثَمَنِ فهو دونه) .

(٧) الْبُهِمَةُ : بضم الباء : الشجاع الذي لَا يُهْتَدَى مِنْ أَيْنَ يُؤْتَى .

- واخترط السيف : استلَّه من غمده .

(٨) اللَّأْمَةُ : الدرع الحصينة ، وَالْمِجَنُّ : التُّرْس .

(١٠) اقْتَنَعَ : اتَّخَذَ الْقَنَاعَ (أَي يأخذ القليل ويحجز نفسه عن الكثير) .

(١٢) فِي مِثْنِ اللَّغَةِ أَنَّ (خَفِيفُ الظَّهْرِ) هُوَ الْقَلِيلُ الْعِيَالُ ؛ وَلَكِنْ الشَّاعِرُ كَتَبَ هُنَا بِخَفَةِ الظَّهْرِ

عَنْ قَلَّةِ الْمَالِ وَالنَّشَبِ وَالْحِظِّ مِنَ الدُّنْيَا .

- وَحَضَنَ : جَبَلَ بَنَجْدَ ، ضَرَبَهُ مِثْلًا .

- ١٣ وهاربٌ شَحّاً عَلَى دِينِهِ إِلَى الْبَرَارِيِّ وَرُؤُوسِ الْقَنْنِ
 ١٤ يَأْنَسُ بِالْوَحْدَةِ فِي يَدِهَا أَكْثَرَ مِنْ تَأْنِيسِهِ بِالسَّكَنِ
 ١٥ لَا يَرْهَبُ الْأُسْدَ وَمَنْ لَمْ يُخَنْ سَيَّدَهُ فِي عَهْدِهِ لَمْ يُخَنْ
 ١٦ وَتَائِبٌ مِنْ ذَنْبِهِ مُشْفِقٌ يَبْكِي بُكَاءَ الْوَائِفَاتِ الْهَتُنِ
 ١٧ تَخَالَهُ بَيْنَ يَدَيِ رَبِّهِ فِي ظَلَمِ اللَّيْلِ كِثْلِ الْغُصْنِ
 ١٨ إِنَّ مَهْدَ النَّاسِ لِدُنْيَاهُمْ شَمَرٌ فِي تَمْهِيطِهِ لِلْجَنِّ
 ١٩ كَأَنَّا الْأَرْضُ لَهْ أَيْكَةٍ وَهُوَ بِهَا قُمْرِيَّةٌ فِي فَنِّ
 ٢٠ وَصَامِتٌ، فِي قَلْبِهِ مَقُولٌ بِالذِّكْرِ لِلَّهِ طَوِيلٌ لَسَنُ
 ٢١ تَرَاهُ كَالْأَبْلَهِ فِي ظَاهِرٍ وَهُوَ مِنْ أَذْكَى النَّاسِ فِيمَا يَظُنُّ
 ٢٢ قَدْ نَوَّرَ اللَّهُ لَهُ قَلْبَهُ بِالذِّكْرِ فِي السَّرِّ لَهْ وَالْعَلَنُ
 ٢٣ فَإِنْ يَبْنُ بِالْفِكْرِ عَنْ صَحْبِهِ فَجَسْمُهُ بَيْنَهُمْ لَمْ يَبْنُ

(١٣) قَنْنُ الْجِبَالِ ، وَقَلَّلُ الْجِبَالِ : أَعَالِيهَا ، جَمْعُ قَنَّةٍ .

(١٤) يُقَالُ : سَكَنَ دَارَهُ : السَّكَنَ بِالْتَحْرِيكِ ، وَالسَّكَنُ بِالسُّكُونِ : أَهْلُ الدَّارِ .

- وَأُورِدَ الشَّاعِرُ التَّأْنِيسَ (وَهُوَ مُصْدَرُ أَنْسَ) فِي مَحَلِّ الْأَنْسِ (مُصْدَرُ أَنْسَ) .

(١٦) الْوَائِفَاتُ : جَمْعُ الْوَائِفَةِ ، وَالْهَتُنُ : جَمْعُ الْهَتُونِ : وَهِيَ صِفَتَانِ لِلْسَحَابِ الْمَطْرِ .

(١٨) الْجَنْنُ : الْقَبْرِ .

(١٩) الْقُمْرِيَّةُ (وَالذِّكْرُ قُمْرِيٌّ) نَوْعٌ مِنَ الْحَمَامِ ؛ وَنَوْعٌ مِنَ الْأَطْرِغَلَاتِ صَغِيرِ الْحَجْمِ لَطِيفِ الشَّكْلِ

وَيُعْرَفُ عِنْدَ أَهْلِ الشَّامِ بِالْكَرِيمِ . وَالْأَيْكَةُ : الشَّجَرَةُ الْكَبِيرَةُ .

- وَإِنَّمَا شَبَّهَ الشَّاعِرُ الرَّجُلَ التَّائِبَ الْعَابِدَ بِالْقُمْرِيِّ ، لِأَنَّ الْقُمْرِيَّ كَثِيرَ التَّغْرِيدِ ، وَيُشَبَّهُ

التَّسْبِيحُ فِي تَرْدَادِهِ بِتَغْرِيدِهِ ، وَمِنْ هُنَا سُمِّيَ فِي الشَّامِ بِالْكَرِيمِ ، قَالُوا : إِنَّهُ يَدْعُو : يَا كَرِيمُ !

يَا كَرِيمُ !

(٢٠) الْمَقُولُ : اللَّسَانُ ؛ وَلَسَنٌ ، أَيْ فَصِيحٌ .

(٢١) أَيْ : ظَنُّ ذَلِكَ الرَّجُلِ كَالْيَقِينِ مِنْ ذِكَاثِهِ وَفُطْنَتِهِ .

- ٢٤ وَإِنْ لَغَوَا وَهُوَ جَلِيسٌ لَهُمْ
 ٢٥ فِي مَلَكُوتِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
 ٢٦ فَهُمْ خُصُوصُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ
 ٢٧ سَمَوْا بِفَضْلِ اللَّهِ نَحْوَ الَّتِي
 ٢٨ وَنَزَّهُوا الْأَنْفُسَ عَنْ مَنْزِلِ
 ٢٩ وَضَمَّرُوا الْخَيْلَ لِيَوْمٍ بِهِ
 ٣٠ فَلَيْتَنِي كُنْتُ لَهُمْ خَادِمًا
 ٣١ وَمَنْ سِوَاهُمْ فَرَجَالٌ رَجَوْا
 ٣٢ وَإِنَّا قَصَّرَ بِي عَنْهُمْ
 ٣٣ لَا غَارَتِ الدُّنْيَا وَلَا أَنْجَدْتُ
 ٣٤ تَمِيلُ لِلْأَحْمَقِ مِنْ أَهْلِهَا

(٢٤) وَلَجَّ : دخل .

- وَاللَّغْوُ : سقط الكلام وما لا يُعْتَدُّ به منه .

(٢٥) الْأَبَاب : جمع لَبَّ : العقل ، واللُّبَاب من كل شيء خالصه .

(٢٦) تَدْرَأُ : تدفع .

(٢٨) اسْتَوْفَزَ : جلس على هيئة كأنه يُريد القيام .

(٢٩) فِي الْأَصْل : « وَسَمَرُوا » هكذا بالسين ، وأظنها : « وَضَمَّرُوا الْخَيْلَ » من التهيئة والإعداد .

(٣٠) يَقُول : يَا لَيْتَنِي إِذْ لَمْ أَكُنْ خَادِمًا لَهُمْ ، لَمْ أَكُنْ (لَمْ أَوْجِد) !

(٣٣) غَارَ : أُنِيَ الْغُور . وَأُنَجِدُ : أُنِيَ النَّجْد . وَالْمَقْصُود : لَا كَانَتِ الدُّنْيَا !

(٣٤) انظر بيت المتنبي :

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم !

الديوان - شرح العكبري ١٢٤/٤

- وتضطغن : تحمل ضعفاً (حقداً) .

- ٣٥ يا عَجَباً مِنْ غَفَلَتِي بَعْدَ أَنْ
٣٦ وَأَذْرِكِ الْفَائِتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ
٣٧ أَقْبَحُ مَنْ تَرْمُقُهُ مَقْلَةً
٣٨ تَقْتَادُهُ الدَّهْرَ دَوَاعِي الْهَوَى
٣٩ يَأْمُلُ أَمَالَ فَتَى يَافِعٍ
٤٠ لَيْسَ جَمَالُ الشَّيْخِ إِلَّا التَّقَى
٤١ شَغِلْتُ بِالْوَصْفِ وَلَوْ أَنَّي
٤٢ وَلَمْ أَبْعُ رُشْداً بَغِيٍّ وَلَمْ
٤٣ إِنَّا إِلَى اللَّهِ لَقَدْ حَاقَ بِي
٤٤ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ فَفِي كَفِّهِ
٤٥ وَهُوَ الَّذِي أَرْجُو فَإِنْ لَمْ يَكُنْ
- نَادَانِي الشَّيْبُ أَلَا فَاْرْحَلَنْ!
يَفْجَأُكَ الْمَوْتُ فَلَا تُنْظَرَنْ
مُبْصَرَةً، شَيْخُ خَلِيعِ الرَّسَنِ!
إِلَى الصَّبَا مِثْلَ اقْتِيَادِ الْبَدَنِ
كَأَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْخٍ يَفَنُ
وَالْمَحْوُ لِلْسُّوءِ بِفِعْلِ حَسَنُ
أُشْغِلُ بِالْمَوْصُوفِ كُنْتُ الْفَطِنُ
أَرْضَ بَعْقَلِي مِثْلَ هَذَا الْغَبْنِ
مَا يُوْرِثُ الْخِزْيَ غَدًا وَالْحَزْنَ
مَنْحَ لِمَنْ شَاءَ وَفِيهَا الْمِنَّ
عِنْدَ رَجَائِي فِيهِ طَوْلًا فَمَنْ؟

(٣٦) أَنْظَرَهُ : أَخْرَه .

(٣٧) فُلَانُ خَلِيعِ الرَّسَنِ : كُنَايَةٌ عَنِ الْاسْتِهْتَارِ . وَفِي الْأَسَاسِ : خَلَعَ فُلَانُ رَسَنَهُ ، وَعِذَارَهُ : عَدَا عَلَى النَّاسِ بَشَرًا .

(٣٨) الْبَدَنُ جَمْعُ الْبَدَنَةِ : النَّاَقَةُ أَوْ الْبَقْرَةُ ، تُنَحَرُ بِمَكَّةَ ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يُسَمِّنُونَهَا .

(٣٩) الْيَفَنُ : الشَّيْخُ الْكَبِيرُ الْبَالِي .

(٤٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ : « لَمْ أَرْضَ بِعَقْلِي » . وَأُحْرَى أَنْ يَكُونَ : أَرْضَى لِعَقْلِي .

(٤٣) حَاقَ بِهِ الْعَذَابُ (يَحِيقُ) : أَحَاطَ بِهِ وَنَزَلَ .

(٤٤) الْمِنَّ : جَمْعُ الْمُنَّةِ (بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ) : الْإِحْسَانُ وَالْإِنْعَامُ .

(٤٥) الطَّوْلُ : الْفَضْلُ وَالْقُدْرَةُ ، وَمَدَّ الْيَدَ بِالْعَطَاءِ .

وقال أيضاً - رضي الله عنه - :

[ظاهر أن الشاعر اكتفى هنا بهذه الأبيات ، فجاءت الطاقة الشعرية في مقطوعة قصيرة ، أثارها مشهد جنازة صاحب من أصحابه ، أو خبر وفاة أحدهم ، فتخيّله في جنازته .
- وفيها حثٌّ على الاعتبار بالموت : وسخرية من الإنسان الذي أسرع إليه النسيان أو الذي تبدّل إحساسه !] .

[من الطويل]

- | | | |
|---|--|---|
| ١ | تَمُرُّ لِدَاتِي وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ | وَأَعْلَمُ أَنِّي بَعْدَهُمْ غَيْرُ خَالِدٍ |
| ٢ | وَأَحْمِلُ مَوْتَاهُمْ وَأَشْهَدُ دَفْنَهُمْ | كَأَنِّي بَعِيدٌ مِنْهُمْ غَيْرُ شَاهِدٍ |
| ٣ | فَهَا أَنَا فِي عِلْمِي بِهِمْ وَجْهَالَتِي | كُمُتِّقِظٍ يَرْنُو بِمُقَلَّةٍ رَاقِدٍ ! |

(١) اللداتُ : جَمْعُ اللَّذَّةِ : واللذّةُ والتَّربُّ : الذي يُولدُ معك في وقت واحد .

(٢) يقول : يمارسُ هذه الأمور - وفيها العظة - فلا يَتَعَطَّ !

(٣) يرنو - مضارع رنا : أي أدام نظره إليه بسكون الطَّرْف .

وقال أيضاً رضي الله عنه - في المدح :

[القصيدة في مدح (ابن سلمان) والثناء عليه ، والأنس به
واللجوء إليه في الضرورات والملمات (١ - ٣) .
وابن سلمان تاج للملك وعون للحاكم ، شديد العزم قوي من العلماء
الكبار يستحق أن يهدى إليه الشعر وتدبج فيه القصائد (٤) .
والشاعر يركن إليه في دفع الخطوب وتحقيق الأماني ودفع الخصوم
(٥ - ٨) والمدوح كفيل بحل كل مشكلة ومعضلة ! (٩)] .

[من البسيط]

- ١ ما تُوجُّ المُلْكُ إِلَّا بِابْنِ سَلْمَانَ وَلَا يَشْدُ سِوَاهُ أَزَرَ سُلْطَانَ
- ٢ مَا الرِّيحُ فِي سَيْرِهَا تَحْكِي غَزَائِمَهُ إِلَّا الْجِيَادُ إِذَا جَدَّتْ بِأَقْرَانِ
- ٣ كَانَتْ جَزِيرَتُنَا مِنْ قَبْلِ أَنْدَلُسَ فَمُذْ نَشَأَتْ بِهَا فَهْيَ الْعِرَاقَانِ

- (١) الْأَزَرُ : الْقُوَّة ، وَالظَّهْر . و : شَدَّ بِهِ أَزْرَهُ أَي قَوَّى ظَهْرَهُ وَمِنْهُ أَزْرَهُ أَي أَعَانَهُ وَقَوَّاه .
وفي سورة طه [٢٠/٣١] : ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِ هَارُونَ أَخِي أَشْدُّ بِهِ أَزْرِي ﴾ .
- (٢) الغزائم - جمع الغزيمة - ومعنى البيت - كما تبادر لي - : إن غزائمه سريعة النفاذ ، لا يُشبهها في
السَّرعَة إلا الرِّيح ، والجِيَادُ إِذَا أَسْرَعَتِ الْجَزْيُ فِي أَرْضٍ رَمْلِيَّةٍ : فِي أَسَافِلِهَا السَّهْلِيَّة .
- (٣) الْعِرَاقَانِ : ثَنِيَّة الْعِرَاق .
- يقول : كانت الأندلس قبله قُطْرًا إسلامياً لا يُنَافِسُ على زعامة أقطار الدولة العربية
الإسلامية ، ولكن الأندلس بهذا المدوح نافست عاصمة الدولة في بغداد في العلم والأدب
والثقافة وفنون الحضارة .

- ٤ نُهْدِي إِلَيْكَ الْقَوَافِي وَهِيَ طَيِّبَةٌ كَالرَّاحِ تُهْدِي زِفَافاً بَيْنَ خِلَانِ
- ٥ مَا لِي تَلَا حِظْنِي عَيْنُ الْخُطُوبِ وَقَدْ أَسْنَدْتُ مِنْكَ إِلَى رُكْنٍ كَثَّهْلَانِ
- ٦ وَكَيْفَ يَشْكُو الصَّدَى مِثْلِي عَلَى مِقْتِي وَمَاؤُكَ الْغَمْرُ يَرُوي كُلَّ ظَمَانِ
- ٧ أَمْ كَيْفَ يَطْمَحُ شَيْطَانٌ إِلَى أَقْفِي وَمِنْ سَمَائِكَ يُرْمَى كُلُّ شَيْطَانِ
- ٨ بَلْ كَيْفَ يَغْمِزُنِي إِنْسَانٌ أَعْيَيْنَهُمُ وَأَنْتَ لِي وَزَرٌ مِنْ كُلِّ إِنْسَانِ ؟
- ٩ نَبَّهْ أَبَا حَسَنِ لِلْمُعْضِلَاتِ وَنَمْ نَوْمَ الْعَرُوسِ عَلَى رَوْحِ وَرَيْحَانِ

(٤) يقال : زَفَ العروس زَفًا وزفافاً : أهداها إلى زوجها .

(٥) قوله : مَا لِي تَلَا حِظْنِي ، كلامٌ مقلوبٌ مقصوده : مَا لِلخُطُوبِ تَلَا حِظْنِي ، وهو في كلامهم كثير .

- وَثَّهْلَانُ : جَبَلٌ ، ضربه مثلاً .

(٦) الصَّدَى : العطش ، وَالْمِقَّةُ : الْحُبُّ ، وَالْمَاءُ الْغَمْرُ : الكثير .

(٧) استفاد من الآية الكريمة في سورة الملوك [٥/٦٨] : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾ .

(٨) يقال : غمزه بالعين والحاجب : أشار . والعبارة هنا كناية عن الاستخفاف بالشاعر أو الانتثار به .

- وَالْوَزَرُ : الملجأ والمعين .

(٩) في الأغاني ١٨٧/٣ :

إِذَا دَهَمَتْكَ عِظَامُ الْأُمُورِ فَنَبِّهْ لَهَا عَمْرًا ثُمَّ نَمْ
فَتَى لَا يَتَنَامُ عَلَى دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ !

والبيتان : لبشار بن برد .

- وَالرَّوْحُ : السُّرُورُ وَالْفَرَحُ . وَالرَّيْحَانُ : النَّبَاتُ الْمَعْرُوفُ ، وَالرَّحْمَةُ وَالرَّزْقُ .

- وَالْمُعْضِلَاتُ جَمْعُ الْمُعْضِلَةِ .

• ويرجح عندي أن ابن سلمان هذا هو أبو الحسن علي بن توبة الذي مدحه الشاعر (ينظر مثلاً القصيدة [٢٢] وحواشيها .

وقال - رضي الله عنه - وقد رفع أهل البيرة على قاضيهم ابن أبي زمين^(☆) :

[يهاجم الشاعر أولئك الذين رفعوا شكوى في حق القاضي محمد بن عبد الله بن أبي زمين ويثمت بهم فقد خاب سعيهم ولم يقبل منهم . ويثني على القاضي ، ويعيب على الشاكين أنهم لم يقدروا القاضي حق قدره .

وفي البيت الأخير تعبير فصيح عن عبارات عامية وعادات كانت معروفة في مثل هذه الأحوال (من التثني والتبذير) .

(☆) محمد بن أبي زمين :

بيت أبي زمين بيت مشهور بالعلم والفضل ، قديم في الشهرة منهم في مدة الدولة المروانية بالأندلس : محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد بن إبراهيم المري المعروف بابن أبي زمين . ولد سنة ٢٢٤ هـ وتوفي بالبيرة سنة ٣٩٩ هـ . وقد روى عنه أبو إسحاق الإلبيري .

قال لسان الدين فيه : كان من كبار المحدثين والعلماء الراسخين وأجل وقته في العلم والرواية والحفظ للرأي والتمييز للحديث والمعرفة باختلاف العلماء ، متفنناً في العلم ، مضطرباً بالأدب ، قارضاً للشعر ، متصرفاً في حفظ المعاني والأخبار مع التمسك والزهد والأخذ بسنن الصالحين والتخلق بأخلاقهم ... إلخ .

وذكر عدداً من مؤلفاته في التفسير ، والفقه ، والحديث والزهد وغير ذلك من الفنون . ومن هذا البيت الشهير ، محمد بن عبد الله بن أبي زمين الذي ولي الأحكام وكان فقيهاً نبياً . وتوفي في عشر السنين وأربع مئة (فهو من جيل أبي إسحاق الإلبيري) .

[من الطويل]

- ١ رَفَعْتُمْ عَلَى قَاضِيكُمْ فَخَفَضْتُمْ وَحَاوَلْتُمْ خِزْيَا لَهُ فَخَزَيْتُمْ
- ٢ وَطَالَ - لَعْمَرِي - مَا سَعِدْتُمْ بِسَعْدِهِ وَلَوْ أَنَّهْ يَشْقَى إِذْنُ لَشَقِيتُمْ
- ٣ وَمَا كَانَ إِلَّا سِتْرَكُمْ لَوْ عَقَلْتُمْ وَلَكِنَّكُمْ عَنْ رُشْدِكُمْ قَدْ عَمِيتُمْ
- ٤ فَهَا هُوَ ذَا يَقْضِي عَلَى الرَّغْمِ مِنْكُمْ فَمُوتُوا بَغِيطٍ وَاصْنَعُوا كَيْفَ شِئْتُمْ
- ٥ وَحَكُّوا عَلَى ظَهْرِ الصَّعِيدِ سِتَاهَكُمْ فَلَنْ تَعْشُرُوهُ فِي الْعُلَى لَوْ خَرَيْتُمْ

= - ولم يذكر جامع الديوان اسم ابن أبي زمنين ، ولا كنيته ، ولا أشار إلى سنة أو تاريخ .
ويرجح عندي أن يكون المقصود بالشعر هو ابن أبي زمنين المتوفى في عشر السنين وأربع مئة .

قلت : وترجم ابن بشكوال في الصلة لأبي عبد الله محمد بن أبي زمنين شيخ أبي إسحاق الإلبيري ، وقال في أثناء ترجمته إنه كان من البكائين الورعين الخاشعين وأنه سكن قرطبة دهرًا ، ثم انتقل إلى البيرة .

ونقل ابن بشكوال عن الحميدي من شعره (والنص في جذوة المقتبس) .

الموتُ في كل حين ينشُر الكفنا ونحن في غفلة عما يُراد بنا
لا تطمئنْ إلى الدنيا وزخرفِها وإن توشحت من أثوابها الحُنا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا أين الذين هم كانوا لنا سَكنَا ؟
سقام الدهر كُأساً غير صافية فصيرتهم لأطباق الثرى رهنا !

- وقال الحميدي : « له تواليف متداولة في الوعظ والزهد وأخبار الصالحين على طريقة ابن أبي الدنيا ، وأشعار كثيرة في نحو ذلك » .

(انظر جذوة المقتبس : ٥٣ ، والصلة ٤٨٢/٢ ، والتكلمة لابن الأثير ١٣٦/١ ، والإحاطة ١٧٢/٢)

(١) أي : رفعت شكوى على القاضي إلى الأمير أو الحاكم ، فخفَضتم من أقدار أنفسكم ، وحاولتم أن تخزوه فأصابكم الحزني وارتدت سهامكم إليكم ! .

(٤) يقضي : أي يمارس مهمة القضاء (يعمل قاضياً ، لم تستطيعوا العمل على عزله) .

(٥) فلن تعشروه : يريد لن تبلغوا عُشْرَ ما بلغ في مدارج العلى .

وقال أيضاً - رضي الله عنه - :

[القطعة في العتاب الذي يرقى إلى الهجاء ؛ وفي البيتين تعبيرٌ
بمخلف الوعد ؛ ويمكن توجيهه على معنى الضعف وعدم القدرة على تنفيذ
الوعد ، على منهج جرير :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً أبشر بطول سلامة يا مربع !

[من الطويل]

- ١ أيا قَوْسَ خَرَّاطٍ يُشِيرُ وَلَا يَرْمِي وَيَا سَيْفَ رَعْدِيدٍ يَرُضُّ وَلَا يُدْمِي
- ٢ تَعَلَّمْتُ خُلْفَ الْوَعْدِ مِنْ بَرَقِ خُلْبٍ فَبَرَقُكَ لَا يَثْرِي وَلَكِنَّهُ يُعْمِي

-
- (١) لم أقف على معنى « قوس خَرَّاط » وأظن - حدساً - أنه قوس النِّدَاف الذي يندفُ القطن والصوف وسواهما . شبه المندفة بالقوس ، وهو « يُشِيرُ وَلَا يَرْمِي » .
والرَّعْدِيد : الجبان يرتعد ويضطرب عند القتال جُبناً .
 - (٢) قوله (يُعْمِي) مستفاد من معنى الآية الكريمة [البقرة ٢٠/٢] : ﴿ يَكَاذُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ .

- يقول : من عادة البرق الواعد أن يكون معه مطر ، فيكون مع المطر خير ، ومن الخير
النِّمَاء والثراء ؛ ولكن برقك خُلْب (لا مطر معه ولا ثروة تتبعه) ولكنه برق يلمع فيكاد
يُعْمِي عيون الذين يَشْمُونَ (يترقبون) أين يُمطرُ سحابه .

وكان أبو بكر بن الحاجّ قد هجا أبا الحسن بن توبة وجماعة من الفقهاء معه ، فضربه ضرباً وجيعاً ، وطُيِفَ به على الأسواق ، فقال ابن مسعود - رضي الله عنه - في ذلك (٥٦) :

[في القصيدة هجاء مرّ وتشفّ ظاهر ، فقد تَبَنَّى وجهة نظر الحكم القضائي الذي أنفذه القاضي ابن توبة في الشاعر أبي بكر بن الحاج بعد تطاوله على القاضي خاصة وعلى جماعة من الفقهاء أيضاً ، وقد وصف ضربه بالسَّوْط وصور أثره في بدنه ونفسه (١ - ٥) وعيَّره بذلك ويبيّن له أن تلك العقوبة هي كفاء هجائه (٦ - ٨) وحذّره من مغبة استرساله في طول لسانه (٩ - ١١) وسرد بعض فضائل القضاة والفقهاء عامة (١٢ - ١٣) وابن توبة خاصة (١٤) وأيدّ قضاءه (١٥ - ١٧)] .

(٥٦) أبو بكر بن الحاج

ترجم له في الإحاطة (٥١٧/٣) وقال فيه

« كان شاعراً مجيداً ، هجا القاضي أبا الحسن بن توبة قاضي غرناطة ومن قصده من الفقهاء ، فضربه القاضي ضرباً وجيعاً ، وطيف به على الأسواق بغرناطة ، فقال فيه الكاتب أبو إسحاق الإلبيري الزاهد - وكان يومئذ كاتباً للقاضي المذكور ، الأبيات الشهيرة :

السوط أبلغ من قال ومن قيل ومن نباح سفيه بالأباطيل
وصورة اسمه كاملاً كما رسمت في المطبوع من الإحاطة هي أنه : عبد الرحمن بن الحاج بن القمي (؟) الإلبيري .

- والقاضي أبو الحسن بن توبة ، سبقت ترجمته في حواشي القصيدة [٢٢] وكان الإلبيري (في مرحلة من حياته) كاتباً عند ابن توبة ، وفي الديوان قصيدة في مدحه وأكثر من إشارة ثناء إليه أو دفاع عنه .

[من البسيط]

- ١ السَّوْطُ أَبْلَغُ مِنْ قَالَ وَمِنْ قِيلَ وَمِنْ نُبَاحِ سَفِيهِ بِالْأَبَاطِيلِ
- ٢ مُرُّ الْمَذَاقِ كَحَرِّ النَّارِ أَبْرَدُهُ يَعْقِلُ الْمُتَعَاطِي أَيَّ تَعْقِيلٍ
- ٣ رَأَى مِنَ الطَّبِّ مَا بُقْرَاطُ لَمْ يَرَهُ فِي بُرءٍ كُلِّ سَخِيفِ الْعَقْلِ مَخْذُولِ
- ٤ ضئِيلُ جِسْمٍ تَخَافُ الْخَيْلُ سَطْوَتَهُ أَعْدَى وَأَطْغَى مِنَ التَّمْسَاحِ فِي النَّيْلِ
- ٥ يُرَقِّصُ الْمَرْءَ تَرْقِصاً بِلا طَرْبٍ لَوْ كَانَ أَثْقَلَ أَوْ أَجْسَى مِنَ الْفِيلِ
- ٦ عِنْدَ السَّخِيفِ بِهِ خُبْرٌ وَتَجْرِبَةٌ فَقَدْ رَمَى تَحْتَهُ مَا عُدَّ بِالْفُؤُولِ
- ٧ وَقَدْ حَسَا مِنْهُ أَمْرَاقاً مُفْلَقَةً جَشَّتْهُ شَرُّ الْجُشَا مِنْ شَرِّ مَا كُولِ

(١) ظاهر أنَّ القاضي أمر بتعزيز الشاعر الهجاء ابن الحاج والتشهير به . والسَّفيه : الجاهل ، والضعيف : الأحمق الذي يسافه الناس ويشاتمهم .

(٢) يعقل المتعاطي : أي يرد إلى متعاطي الهجاء ومذيعه بين الناس إلى عقله (يُحسن سلوكه بتلك العقوبة) .

(٣) بقراط ، ويقال فيه يُبقراط ، طبيب يوناني يُعرف بأبي الطب . ولد سنة ٤٦٠ ق.م وتوفي سنة ٣٧٠ ق.م

ويُضرب به المثل - عند العرب - في المعرفة بالطب .

(٤) هذا البيت في صفة السَّوْطِ

- والتمساح حيوانٌ معروف ، وهو أكبر الزواحف . وضرب مثلاً بالتمساح لشرسته وسرعته .
وتمساح النيل نوعٌ من جنس التمساحات Crocodile وهو يألف المنطقة الممتدة من إفريقية الجنوبية إلى نهر النيل .

(٥) جَسَا يَجْسُو جَسْواً : صَلَبَ .

أي هو سوط يرقص من يناله منه الضرب وإن كان صلباً أو ثقيلاً كالفيل !

(٦) السَّخِيف : هو المهجو أبو بكر بن الحاج .

(٧) الْجُشَاء : تنفَس المدة عن شَيْعٍ أَوْ بَشْمٍ . وجشأه : حملة على التجشؤ .

- ٨ وَقَدْ هَجَاهُ بِهَجْوِ مُؤْلِمٍ وَجَعِ
 ٩ فَقُلْ لَهُ إِنَّ جَرَى هَجْوٍ بِخَاطِرِهِ
 ١٠ وَاذْكُرْ طَوَافَكَ فِي الْأَسْوَاقِ مُفْتَضِحاً
 ١١ وَاذْكُرْ عَقُوبَةَ مَا زَوَّرَتْهُ سَفْهاً
 ١٢ عَصَابَةً عَظَّمَ الرَّحْمَنُ حُرْمَتَهَا
 ١٣ هُمْ لُبَابُ الْوَرَى حَقّاً وَغَيْرُهُمْ
 ١٤ إِنَّ ابْنَ تَوْبَةٍ فِيهِمْ رَافِعٌ عِلْماً
 لَا يَشِبُّهُ الشَّعْرُ فِي نَظْمٍ وَتَفْصِيلِ
 أَذْكُرْ قِيَامَكَ مَحْلُولَ السَّرَاوِيلِ
 مُجَرِّداً خَاشِعاً فِي ذُلِّ مَعْزُولِ !
 فِي السَّادَةِ الْقَادَةِ الشَّمِّ الْبَهَائِلِ
 وَخَصَّهَا مِنْهُ إِكْرَاماً بِتَبْجِيلِ
 عِنْدَ الْحَقِيقَةِ أَبْقَالَ الْغَرَابِيلِ
 مِنْ الْقَضَاءِ وَمُمْتَازَ الْإِكْلِيلِ

(٩) حَلَّتْ سَرَاوِيلُهُ لِيَبْتَئِرَ السُّوطُ جَسَدَهُ (لِيَتَمَكَّنَ الْجِلَادُ مِنَ الْجِلْدِ) .

(١٠) يضرب المثل في الذل بذل العزل ؛ قال الثعالبي في المضاف والمنسوب ٦٧٥ كان بعض الولاة يقول : لا يقوم عز الولاية بذل العزل ! أي تمتلئ النفس من ذل العزل بأكثر مما تمتلئ من فرح التولي (فالمعادلة غير مجبورة !) .
 وقال ابن المعتز :

وَذَلَّ الْعَزْلُ يَضْحَكُ كُلَّ يَوْمٍ وَيُضْرِبُ فِي قَفَا الْوَالِي الْمُدِلَّ !

(١١) الشَّمَّ جَمْعُ أَشَمٍّ ، وَالشَّمَمُ : ارْتِفَاعُ قَصْبَةِ الْأَنْفِ وَحُسْنُهَا وَاسْتَوَاءُ أَعْلَاهَا ، وَيَكْنَى بِذَلِكَ عَنْ ارْتِفَاعِ الْمَكَانَةِ وَالْإِبَاءِ .

- وَالْبَهَائِلِ : جَمْعُ الْبُهْلُولِ : السَّيِّدِ الْجَامِعِ لِكُلِّ خَيْرٍ ، وَالْحَبِيَّ : الْكَرِيمِ .

(١٢) الْعَصَابَةُ فِي اللُّغَةِ : الْجَبَاعَةُ . وَقَصْدُ هُنَا : جَمَاعَةُ الْقَضَاةِ وَالْفُقَهَاءِ .

(١٣) أَوْرَدَهَا فِي الْمَطْبُوعِ (أَبْقَالَ) وَأَشَارَ فِي الْحَاشِيَةِ إِلَى قِرَاءَةِ أُخْرَى هِيَ (أَثْقَالَ) وَقَرَأْتُهَا هَكَذَا (أَبْقَالَ) ؟

وَيُرِيدُ بِأَبْقَالَ الْغَرَابِيلِ ، مَا يُخْرِجُ مِنَ الْحَبِّ مِنْ سَوَاقِطٍ أُخْرَى كَالزُّوَانِ وَالشَّيْلِمْ وَالشُّوفَانِ وَغَيْرِهَا .

(١٤) الْإِكْلِيلُ : التَّاجُ .

- ١٥ قَضَى بِتَنْكِيلِ مَنْ لَمْ يَرْعَ حَقَّهُمْ وَحَصَّنَ الْحُكْمَ فِي هَذَا بِتَسْجِيلِ
١٦ الظَّهْرَ قِرطاسه والسَّوْطُ يَطْلُبُهُ بئسَ الْكِتَابُ بِعَقْدٍ غَيْرِ مُحْلُولٍ !

-
- (١٥) نَكَّلَ بِهِ : جَعَلَهُ نَكَالاً وَعِبْرَةً لغيره ؛ وَعَاقِبَهُ عِقَاباً يَحْذَرُ غَيْرَهُ مِنْهُ إِذَا رَأَاهُ .
(١٦) أَيْ يَطْلُبُهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ لِلضَّرْبِ . وَجَعَلَ الشَّاعِرُ الضَّرْبَ بِالسَّوْطِ عَلَى الظَّهْرِ كَالْكِتَابَةِ عَلَى الْقِرطاسِ (الْوَرَقِ) : فَكَلَامُهُمَا تَسْجِيلٌ لَتِلْكَ الْعُقُوبَةِ عَلَى وَجْهَيْنِ اثْنَيْنِ !

قال ابن مسعود - رضي الله عنه - :
سافرتُ مع القاضي أبي الحسن بن توبة في رسالةٍ إلى الوزير أحمد بن عباس
فوجدناه مشتغلاً ، فكتبت إليه هذه الأبيات ^(٥٦) :

[القطعة أبيات مرتجلة في مناسبة عارضة . وفيها تقريظ للوزير
يدخل في باب المُجاملة . والقطعة أشبه ماتكون بالبطاقة القصيرة
العارضة] .

(٥٦) - القاضي الفقيه أبو الحسن بن توبة ؛ سبقت ترجمته في القطعة [٢٢] .
- والوزير الكاتب أبو جعفر أحمد بن عباس ، كان كاتباً في دولة زهير الصقلي صاحب المرية
وقد وصفه ابن حيّان مؤرّخ الأندلس بقوله « كان حسن الكتابة ، مليح الخط جيّد
الخطابة ، غزير الأدب ، قوي المعرفة ، شارعاً في الفقه مشاركاً في العلوم ، مقتبساً للشعر من
غير طبع فيه ، حاضر الجواب ذكي الخاطر » وقال ابن بسام إن أبا جعفر قد بذأ أهل زمانه في
أربعة أشياء : المال ، والعُجب ، والبخل ، والكتابة . وقد أنحى الأمير عبد الله بن بلقين
(آخر أمراء بني زيري - حكام غرناطة - في مدة دول الطوائف) على أحمد بن عباس على
هذا بلوم شديد وقال فيه « وكان له - يعني زهير العامري - كاتبٌ يعرف بولد عباس من
أشد الناس حماقة واستخفافاً ، مثيراً للشّر مؤرّشاً بين الملوك (أي مثيراً للفتن بينهم) ، وكان
الغالب على أمر زهير » ...

وقد أسره باديس بعد هزيمة جيش زهير ومقتله ؛ وبعث ابن جهور صاحب قرطبة إلى
باديس في استبقاء ابن عباس والعفو عنه ؛ فلم يسمع منه وقتله سنة ٤٢٩ .
(ترجمته في الذخيرة لابن بسام المجلد الثاني - القسم الأوّل : ١٥١ والتبيان للأمير عبد الله بن
بلقين ٢٤ والمغرب لابن سعيد : ٢٠٥/٢) .

[من السّريع]

- | | |
|--|---|
| أَيَا وَزيراً لَمْ يَزَلْ آخِذاً | ١ |
| عِنْدَ الْمَلَمَّاتِ بِأَيْدِينَا | |
| وَسَيِّداً نَحْكُمُ فِي مَالِهِ | ٢ |
| وَجَاهِهِ النَّامِي بِمَا شِينَا | |
| أَرَاكَ مَشْغولاً بِكَسْبِ الْعُلَا | ٣ |
| وَحَارِساً دُنْيَاكَ وَالِدَيْنَا | |
| فَاجْعَلْ مِنَ اللَّيْلِ لَنَا سَاعَةً | ٤ |
| يَحْكُمُ فِيهَا مَالَهُ جِينَا | |
| وَلَا يَكُنْ يَحْضُرُنَا ثَالِثٌ | ٥ |
| فَرَبِّمَا الثَّالِثُ يُؤْذِنُنَا! | |

قال : فاجتمعنا معه وقضينا الرسالة وانصرفنا

انتهى المجموع من شعر الفقيه الزاهد أبي إسحاق التُّجِيبِي الإلبيري ،
رضي الله عنه ، ونفعه ، وتقبَّل منه

وكتب عبد الله الفقير إليه سبحانه حَم بن يوسف بن حَم البَلَنُيِّ
- وفقه الله - بثغر مَنْرُقة - كَلأه الله - في منتصف ذي الحجة سنة
ست وسبعين وست مئة ، والحمد لله كما هو أهله

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

المستدرك
على ديوان الإلبيريّ

قال الإلبيري

[هذا المقطع هو الجزء الباقي من قصيدة مفقودة : استشهد به
الشريشي (الأندلسي) شارح مقامات الحريري في أثناء شرح المقامة
المرقندية ؛ في استطراده إلى ذكر ذهاب الأمم والاعتبار بصنائع
الأيام .

ذكر الشاعر كثيراً من متاع الدنيا من الذهب والمال والأسلحة
المختلفة ومن الخيل العتاق (١ - ٣) وذكر تقلب من خلا في تلك النعم
مع القوة والبأس ولكن حكم القضاء الحتم جاء عليهم . وكل شيء هالك
إلا وجهه (٤ - ٥) .

[من الكامل]

- | | | |
|---|---|--|
| ١ | أَيْنَ الْمُلُوكِ وَأَيْنَ مَا جَمَعُوا وَمَا | ذَخَرُوا مِنْ ذَهَبِ الْمَتَاعِ الذَّاهِبِ |
| ٢ | وَمِنْ السَّوَابِغِ وَالصَّوَارِمِ وَالْقَنَا | وَمِنْ الصَّوَاهِلِ بَدَنٍ وَشَوَازِبِ |
| ٣ | كَانَتْ سَوَابِقُهَا تَحْمِلُ مِنْهُمْ | أَقْمَارَ أُنْدِيَةٍ وَأُسْدَ كَتَائِبِ |

- (١) جانس الشاعر بين الذهب (المعدن الثمين) والذاهب : (اسم الفاعل من ذَهَبَ) .
- (٢) السَّوَابِغُ : جمع سابغة : الدروع ، والصَّوَارِمُ : السيوف . والقَنَا : جمع القناة : الرُّمَحُ ،
وَالصَّوَاهِلُ : جمع صاهل : الفرس . والبدن : جمع بادن : الْجَسِيمُ . والشَّوَازِبُ : جمع
الشَّازِبِ : الضامر .
- (٣) أي الخيل السَّوَابِقُ ، فهم يتخيرون الخيول الكريمة .

- ٤ كَانُوا لَيْوْثَ خَفِيَّةٍ لَكِنَّهُمْ سَكَنُوا غِيَاضَ أَسِنَّةٍ وَقَوَاضِبِ
٥ قَصَفَتْهُمْ رِيحُ الرَّدَى وَرَمَتْهُمْ كَفُّ الْمُنُونِ بِكُلِّ سَهْمٍ صَائِبِ

(٤) غِيَاض : جمع غَيْضَة : مجتمع الشجر في مَغِيض ماء ؛ والأجمة .
وأوردها الشاعر هنا على الْمَجَاز ؛ يقول : كانوا في حماية الأَسِنَّة (الرِّمَاح) والقَوَاضِبِ
(السيوف ؛ جمع قَاضِب) . جعل ذلك السلاح كالغَيْضَة ، ثم إنها تحمي مَنْ فيها .
- وَخَفِيَّة : اسم مكان ؛ يقال لَيْوْثُ خَفِيَّة ؛ نسبة إلى ذلك المكان ، كما يقال : أُسْدُ شَرَى .
وفي شعر الأشهب بن رُمَيْلة (أمالي القالي : ٨٨) :
أُسُودُ شَرَى لَاقَتْ أُسُودَ خَفِيَّةٍ تَسَاقَوْا عَلَى حَزْدِ دِمَاءِ الْأَسَاوِدِ

وقال الإلبيري :

[الأبيات من قصيدة مفقودة ، فيها لوم لأهل زمانه ممن أخطأه الموت وكان على غير التقى وغير الخطة المرضية . وفيها رثاء عام لأصحابه وأصدقائه ممن اتصف بالتقوى وصدق المودة ؛ وفيها رثاء لنفسه بعد أن مات عنه أكثر أترابه ولذاته] .

[من المتقارب]

- | | | |
|---|--------------------------|------------------------------|
| ١ | فإن الردى غال أهل التقى | فلم يبق إلا الغشوم العنيد |
| ٢ | وأودى بكل خليل ودود | فأين - ولا أين ! - خيل ودود؟ |
| ٣ | وكم من أخي ثقة قد لحدت | فلله ما غيبت له اللحد |
| ٤ | وأثكلني الأنس ثكل اللدات | فصرت كأني غريب وحيد |
| ٥ | وكم من شقي يوارى التراب | وكم من سعيد يوارى الصعيد! |

(١) الغشوم : صيغة مبالغة اسم الفاعل من غشم الوالي الرعية : ضبطهم بعسفه وأخذ كل ما قدر عليه وأراداه .

والعنيد من عنَد : عتا وطغا وتجاوز قدره ؛ وعنَد أيضاً : خالف الحق ورده عارفاً به .

(٢) ودود : صيغة مبالغة اسم الفاعل من ودَّ : أحب .

(٣) لحد الميت : دفنه . واللحد : جمع لحد .

(٤) اللدات : جمع اللدة - وهو التراب (الموازي في العمر) .

(٥) الصعيد : التراب والقبر .

وقال الإلبيري :

[ظاهر أن الأبيات قطعة تامة أنشدها الشاعر على هذه الحال .
وفيهما استلام العبد المؤمن لله تعالى وتسليم حكمه وقضائه ، ودعاء
بالعفو والمغفرة] .

[من البسيط]

لا قُوَّةَ لِي يَا رَبِّي فَأَنْتَصِرُ ولا بَرَاءَةَ مِنْ ذَنْبِي فَأَعْتَذِرُ
فَإِنْ تُعَاقِبْ فَأَهْلٌ لِلْعِقَابِ وَإِنْ تَغْفِرْ فَعَفْوُكَ مَأْمُولٌ وَمُنْتَظَرُ
إِنَّ الْعَظِيمَ إِذَا لَمْ يَغْفُ مُقْتَدِرًا عَنِ الْعَظِيمِ فَمَنْ يَغْفُو وَيَقْتَدِرُ؟

-
- (١) كأن المعنى أنه : لا قوة له غالبية فيمنع نفسه من بعض مِيلها وهواها فينتصر عليها ، فهو لهذا صاحب ذنب ؛ فهو - أيضاً - غير بريء (غير خالٍ) من الذنوب ؛ ولو كان خالياً من الذنوب لكان عُذره عند الحساب واضحاً ؛
- (٢) مَأْمُولٌ : مَرْجُوٌّ .
- يقول : إن نالته عقوبة من الله تعالى فبذنوبه وبما يستأهل به العقاب ...
- (٣) عن العظيم : أي عن الذنب العظيم .

وقال الإلبيري :

[قَدَّمَ المقرئ - في إحدى نسخ نفح الطيب لهذه الأبيات (٣١٨/٤) - بهذه العبارة : « قال الإلبيري في تيه الغني بغناه ، وهو كلاً شيء في عقباه » .

ويظهر لي أن الأبيات هي قطعة وافية ، لا جزء من قصيدة وهي في الاعتبار بالغني الذي يغره ماله ويظنه خالداً له ثم تقلب له الأيام وجهها ؛ وفيها تحذير من الركون إلى الغنى ، وتبيان ما يكفي بني آدم في دنياهم وهو الكفاف . وأية حاجة للمرء بما يفوق كفافه ؛ وكفافه هو كفايته أيضاً ؟] .

[من المنسرح]

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | وَذِي غِنًى أَوْهَمَّتْهُ هِمَّتُهُ | أَنَّ الْغِنَى عَنْهُ غَيْرُ مُنْفَصِلٍ |
| ٢ | فَجَرَّ أَذْيَالَ عَجْبِهِ بَطْرًا | وَاخْتَالَ لِلْكِبَرِيَاءِ فِي حُلٍّ |
| ٣ | بَزَّتْهُ أَيْدِي الْخُطُوبِ بِزَّتَهُ | فَاعْتَاضَ بَعْدَ الْجَدِيدِ بِالسَّمَلِ |

-
- (١) غير منفصل عنه : أي غير مفارق إياه .
 (٢) البَطْرُ : مصدر : يَطْرُ أي : طَغى عند النُعمى وطول الغنى .
 (٣) بَزَّ الشيء : انتزعه وأخذه بجفاء وقهر ، والبَزُّ : الشياب .
 - والسَّمَلُ : اسم من سَمَل ، وسَمِلَ الثوبُ : أخْلَقَ وبلي فهو خَلَقَ بال .

- ٤ فلا تَثِقْ بِالْغِنَى فَأَفْتَهُ الـ فَقْرُ، وَصَرَفُ الزَّمَانِ ذُو دَوْلِ
٥ كَفَى بَنِيْلِ الْكَفَافِ مِنْهُ غِنًى عَنْهُ فَكُنْ فِيهِ غَيْرَ مُحْتَفِلٍ !

-
- (٤) من القول الشائع : آفة الغنى الفقر .
- وَصَرَفُ الزَّمَانِ : واحد صروفه وهي حوادثه ونوائبه .
- (ذو) دَوْل : جمع دولة ، والدَّوْلَة : انقلابُ الزمان من حال بُؤْسٍ وَضَرٍّ إلى حالة غَيْبَةِ
وَسُرُورٍ ؛ (والعكس) .
(٥) الكفاف من الرِّزْق : ما أغنى عن النَّاس : ليس فيه فضلٌ (زيادة) ولا نُقْصَان .
- وَقَوْلُ الشَّاعِر : كَفَى بَنِيْلِ الْكَفَافِ مِنْهُ : أي من المال .

وقال - عفا الله عنه - مبتهلاً إلى مولاه

[هذه الأبيات وحدة تامة : وفي النص ابتهاج ورجاء واعتراف
بالتقصير ، وتلوّم ذاتي ، ورغبة ملحة في طلب العفو والمغفرة] .

[من الوافر]

- | | | |
|---|---|---|
| ١ | أَتَيْتُكَ رَاجِئاً يَا ذَا الْجَلَالِ | فَفَرَّجْ مَا تَرَى مِنْ سَوْءِ حَالِي |
| ٢ | عَصَيْتُكَ سَيِّدِي - وَيَلِي - بِجَهْلِي | وَعَيْبُ الذَّنْبِ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالِي |
| ٣ | إِلَى مَنْ يَشْتَكِي الْمَمْلُوكُ إِلَّا | إِلَى مَوْلَاهُ يَا مَوْلى الْمَوَالِي |
| ٤ | لَعَمْرِي لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي | وَلَمْ أُغْضِبْكَ فِي ظَلَمِ اللَّيَالِي |
| ٥ | فَهَا أَنَا عَبْدُكَ الْعَاصِي ، فَقِيرٌ | إِلَى رُحْمَاكَ فاقْبَلْ لِي سُؤَالِي |
| ٦ | فَإِنْ عَاقَبْتَ يَا رَبِّي تُعَاقِبُ | مُحِقّاً بِالْعَذَابِ وَبِالنَّكَالِ |
| ٧ | وَإِنْ تَعَفُّ فَعَفُوكَ قَدْ أَرَانِي | لَأَفْعَالِي وَأَوْزَارِي الثَّقَالِ ! |

(٦) النَّكَالُ : العقاب أو النازلة ؛ وفي التنزيل العزيز : ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا ﴾ [البقرة ٦٦٢] . و : ﴿ جزاء بما كسبنا نكالاً من الله ﴾ [المائدة ٢٨٥] .

وقال الأستاذ الزاهد أبو إسحاق الإلبيري الغرناطي رحمه الله تعالى :

[تدور الآيات حول حقيقة الموت وعدم الخلود في الدنيا وأن
الإنسان : يتناقص عمره كل يوم .
فهى : تنبيه وتحذير .

وفي البيت الأول شطران كلّ منها مستقل بمعنى من الحكمة
فالإنسان كما يدين يُدان ، والله تعالى في كل مكان وهو لا يحده مكان
ولا زمان (١) والدنيا فانية يعمرها الإنسان قليلاً ويمضي سريعاً
(٢ - ٢) ويقول : كيف أترّ بمرور كل يوم وإنما هو يأخذ من رصيد
عُمري ؟ (٤)] .

[من الكامل]

- ١ كُلُّ امْرِئٍ فِيمَا يَدِينُ يُدَانُ سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانٌ
- ٢ يَا عَامِرَ الدُّنْيَا لَيْسُ كُنْهَافَا هِيَ بِأَلَّتِي يَبْقَى بِهَا سَكَّانٌ

(١) يقال : دِنْتُ فلاناً بما صنع : أي جزيته .
- وفي المثل « كما تدين تُدان » ؛ وهو في أمثال العسكري ١٦٨/٢ ، وشرحه : أي كما تفعل
يفعل بك . والذين : الجزاء .

(٢) يختلف هذا الكلام عن قول أبي العتاهية :
لِـدُوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ فَكَلِّمْ يَصِيرُ إِلَى يَبَابِ !
فكلام العباسي فيه تبيين ونظرة سوداوية ، وفي كلام الأندلسي : تحذير من الانغماس في
الدنيا ولفت رفيق بعبارة لطيفة .

- ٣ تَفْنَى ، وَتَبْقَى الْأَرْضُ بَعْدَكَ مِثْلَمَا يَبْقَى الْمُنَاخُ وَتَرْحَلُ الرُّكْبَانُ
- ٤ أَسْرُ فِي الدُّنْيَا بِكُلِّ زِيَادَةٍ وَزِيَادَتِي فِيهَا هِيَ النُّقْصَانُ !

-
- (٣) الْمُنَاخُ : مَبْرَكُ الْإِبِلِ . وَالرُّكْبَانُ جَمْعُ رَاكِبٍ وَهُوَ الَّذِي يَعْلُو ظَهْرَ الْبَعِيرِ وَغَيْرِهِ وَتَقَالُ فِي رَاكِبِ أَيْةٍ وَسِيلَةٍ وَتَجْمَعُ عَلَى : رَكَابٍ وَرُكْبَانٍ وَرُكُوبٍ وَرَكْبَةٍ وَرَكْبَةٍ .
- (٤) هَذَا الْمَعْنَى مُتَدَاوِلٌ ، وَأَشْهَرُ مَنْ تَنَاوَلَهُ أَبُو الْفَتْحِ الْبُسْتِيُّ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ (دِيَوَانُهُ : ٣١٢) :

زِيَادَةُ الْمَرَّةِ فِي دُنْيَاهُ نَقْصَانٌ وَرُبْحُهُ غَيْرُ مُحْضٍ الْخَيْرِ خُثْرَانُ !

قال الإلبيري^(☆) :

[يتوجه الخطاب في هذه الآيات إلى المُستغرق في الدُّنيا المشغول
عن الآخرة الذي لا يحسب حساب اليوم الموعود : آخر ساعة من ساعات
الحياة الدُّنيا ، وأول ساعة من زمن الآخرة : الموت (١ - ٢) .
فَسرعانَ ما يَفْجأ الموت ذلك اللاهي النَّاسي المغتر بالدُّنيا فيبيكيه
أهله ساعة أو ساعات ويوارونه التراب ثم يقتسمون ما أفنى حياته في
جَمعه ! (٣ - ٥) .

ويدعو الإنسان إلى اليقظة والحذر وإلى أن يحسب حساب الموت ،
والآخرة التي وراءه (٦ - ٧) .

[من مَخْلَع البسيط]

- ١ كَمْ آمِنٍ لِّلْمَنَـوَنَـوْنَ لَاهٍ عَنِ الرَّدَى بَاتَ مُطْمَئِنِّناً
- ٢ صَبَّحَهُ وَافِدُ الْمَنَايَا فَعَايَنَ الْمَوْتَ حِينَ عَنَّا

(☆) استطرد الشريشي في شرح المقامات إلى ذكر المقابر وأورد نماذج من شعر الزُّهاد والعُبَّاد في ذلك وأورد شعر الإلبيري هذا ، وروى في شرحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه « قال رسول الله ﷺ : أَكْثَرُوا مِنْ ذِكْرِ هَادِمِ اللِّذَاتِ . قالوا : وما هَادِمِ اللِّذَاتِ ؟ قال : الموت » قال الشَّريشي : وقال الإلبيري في معنى ما تقدَّم : الآيات

(١) لَهَا عَنِ الشَّيْءِ : غفل عنه ، وترك ذِكْرَهُ ، وأضرب عنه .

(٢) صَبَّحَهُ : أَتَاهُ مع الصَّبَّاحِ .

وعاين الموت : رآه عياناً (صار حقيقة ماثلة) .

و : عَنِ الشَّيْءِ يَعْنِي : ظَهَرَ أَمَامَكَ واعتَرَضَ .

٣	حَتَّى إِذَا مَاقَضَى بَكَاءُ	حَمِيمُهُ مُعْغُولًا مُرْنًا
٤	وَارَوْهُ فِي لَحْخُدِهِ وَسَنُّوْا	عَلَيْهِ قَيْدَ التُّرَابِ سَنًّا
٥	وَانْتَهَبُوا مَالَهُ وَشَنُّوْا الـ	غَارَاتِ فِيهَا حَوَاهُ شَنًّا
٦	لِمِثْلِ هَذَا فَكُنْ مُعِيدًا	مَا قَدْ أَعَدَّ الْهُدَاةُ مِنَّا
٧	وَارْتَقِبِ الْمَوْتَ فَهُوَ حَتْمٌ	يَخْتَرِمُ الطِّفْلَ وَالْمُسِنََّا

(٣) الحميم : الصديق تودُّه ويودُّك .

المُعْغُول : اسم فاعل من أَعْغَلَ : رفع صوته بالبكاء والصياح .

الْمُرْن : اسم فاعل من أَرْنَت المرأة في نَوْحِهَا .

(٤) قيد التراب : كذا في مطبوع الشريشي على المقامات . وكأنه : هَيْل التراب ؛ والهَيْل :

مانهار وانصب من الرمل وغيره .

(٥) شن الغارة عليها : بثها وفرَّقها من كل وجه .

(٧) اخترمته المنية : أخذته .

التَّخْرِيجُ وَالرَّوَايَةُ

[١]

- البيت الأول في الروض المعطار في خبر الأقطار : ٢٩
- الأبيات ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ في ألف باء للبلوي ٢٥/١
- الأبيات ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٣٤ ، ٣٥ على هذا الترتيب في ألف باء ٣/١

[٢]

في التخرّيج :

في شرح المقامات الحريرية للشريشي الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٧ غير معزّوة :
وحلاها بعبارة « وقال آخر » .

في الرواية :

- ١ : تلاحظني .
- ٢ : فيه طي .
- ٥ : أزال يا صاحي .
- ٦ : وبدلت التّكاسل .

[٤]

البيت الأول في الروض المعطار للحميري : ٣٠

[٥]

التخرّيج :

في إحدى نسخ نفح الطيب للمقري ٨٦/٤ أن الإلييري « قال هذه القصيدة في علماء السوء » .

وقد أورد المقرئ في النفح ٨٦/٤ و ٣١٨/٤ الآيات ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ وفي البيت ١٥ :
ويذيله (بالذال المعجمة) .

- وفي أخبار وتراجم أندلسية (مستخرجة من كتاب السفر للسلفي) ص ١٣٥ الآيات :
١٤ ، ١٥ ، ٢٣

- وفي شرح مقامات الحريري للشريشي ٢٨٥/١ وردت الآيات ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٠ وفيه
(٧٦/٢) الآيات ٢٣ ، ٢٤ ، ٣٠

الرواية :

رواية الشريشي :

٢٣ : قطف البلاد قد كان يعمرها

٢٩ : ولطالما كانوا .

[٨]

التخريج :

في نفح الطيب للمقرئ ٣١٨/٤ الآيات ١ ومن ٣ - ١١

وفي شرح المقامات للشريشي ٢٧٤/٢ الآيات ١٥ ، ١٦

الرواية :

رواية نفح الطيب :

٣ : وأخدع بالمتى .

٤ : مفلول الشبا .

٧ : أن يشتهي .

٨ : ضحك الجهول .

٩ : تنبهه .

[١٠]

التخريج :

في شرح مقامات الحريري للشريشي ١٨٢/١ الآيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥

الرواية :

رواية الشريشي :

- ١ : وقد رم رحلي (بالراء المهملة) .
٥ : وكم وارد فيها .

[١١]

التخريج :

في الروض المعطار (٢٩) الأبيات ١ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥
وفي ١٥ : ويحك فتى .

الرواية :

في الأصل المخطوط : يبيع ما يفتى ؛ ولعل الصواب ما أثبت ، وقد أثبتتها كذا في المطبوع
ولم ينه إلى رواية الأصل المخطوط .

[١٢]

التخريج :

في نفح الطيب ٢٤٥/٤ - ٢٤٦ الأبيات ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧

الرواية :

رواية النفح :

- ٥ : وجلالة فبدالها .
٧ : لما انتهوا بجفونهم .

[١٣]

التخريج :

القصيد في الإحاطة في أخبار غرناطة (٣١٧/٤ - ٣١٨) ومنها في المغرب في حلى المغرب
لابن سعيد (١٣٣/٢) الأبيات ١ ، ٤
وفي نفح الطيب (٤٩١/٣) الأبيات ١ ، ٤ أيضاً .

الروايات :

- ١ : في المغرب ، والنفح والإحاطة : تستجيد
- ٢ : في المغرب والإحاطة : ماذاكم ؟
- في النفح : صواباً .
- ٤ : في الإحاطة : بيتين كناً .
- ٥ : في الإحاطة : ليس لسكانه .
- ٧ : في الإحاطة : مالك عن .

[١٤]

التخريج :

أورد ابن سعيد في المغرب (١٣٣/٢) الأبيات ١ ، ٢ ، ٨ ، ٩

الرواية :

رواية المغرب :

- ١ : خوف الذباب .
- ٢ : وعاقبتها بأشد العقاب
- ٨ : فكم وعدتني .

[٢٢]

التخريج :

- في الإحاطة الأبيات من ٢٧ إلى آخر القصيدة عدا البيت ٣١
- وفي صلة الصلة البيت ٢٧

[٢٤]

التخريج :

في شرح المقامات للشريشي ٢٠٤/٢
الأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥

الرواية :

رواية الشريشي :

١ : وخطت بليلى ؛ تأهبي للرحيل .

٢ : فما للشيب .

٣ : أصابك ظلها .

٥ : بنور الشيب .

وفيه أيضاً ١١٢/١ البيت العاشر ، ونصه فيه :

فلازم قرع باب التوب دأباً فإن لزومه سبب الدخول

[٢٥]

التخريج :

القصيدة في أعمال الأعلام للسان الدين بن الخطيب (١٣٢ - ٢٣٣) عدا الأبيات : ١١ ،

١٣ ، ١٦ ، ١٨ ، ٢٣

- ومنها في نفح الطيب الأبيات ١ ، ١٥ ، ٢ ، ٣ ، ٤ على التوالي المذكور .

- ومنها في المغرب في حلى المغرب (١٣٢/٢) الأبيات ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤

الروايات :

١ : في أعمال الأعلام ، والنفح ، والمغرب : بدور الزمان .

٢ : زاد في أعمال الأعلام - وانفرد بهذه الزيادة - بعد البيت الأول :

مقالة ذي مقية مشفق يبعد النصيحة زلفى ودين

٣ : في المغرب والنفح : أقرّها .

٤ : في أعمال الأعلام والنفح : من المؤمنين .

٥ : في المغرب : وكانوا من الفترة الأرذلين .

٦ : في أعمال الأعلام : وقد جاز ذلك وما يشعرون .

٧ : في أعمال الأعلام : فكم مسلم فاضلٍ قانتٍ .

[٢٧]

التخريج :

الآيات في التكملة لابن الأبار ١٣٦/١ - ١٣٧ وهي في النفح ١١٣/٤

الروايات :

في التكملة لابن الأبار :

٢: بعيد عنهم .

قال ابن الأبار : ولو قال في البيت الثاني : « كَأَنِّي عَنْهُمْ غَائِبٌ غَيْرُ شَاهِدٍ » لَكَانَ أَبْدَعُ وَأَبْرَعَ فِي الصَّنَاعَةِ الشَّعْرِيَّةِ .

- وفي النفح :

٣: علمي لهم .

ونقل المقرئ في النفح نقد ابن الأبار بعبارة .

[٣١]

التخريج :

أورد في الإحاطة (٥١٧/٣) البيتين الأولين .

الرواية :

في الإحاطة :

١: من قول ومن قيل .

٢: محرف ومصحف .

[٣٣]

التخريج :

القطعة في شرح مقامات الحريري للشريشي ٦٦/٢ في أثناء شرح المقامة السمرقندية وعند استطراد المؤلف لذكر ذهاب الأمم .

الرواية :

- ١ : في شرح المقامات : (دخروه) بالدال المهملة .
- ٢ : في شرح المقامات : (شوارب) بالراء المهملة .
- ٣ : في شرح المقامات : ليوت حقية .

[٣٤]

التخريج :

في شرح مقامات الحريري للشريشي ١٧٨/١

الرواية :

- ١ : في شرح المقامات : (غلّ) بدلاً من غال وأرجح ما أثبتت بقرينة المعنى ؛ (وانظر الشطر الثاني) .
- وفيه (العتيد) بالتاء المثناة وأرجح النون .

[٣٥]

التخريج :

في الإحاطة (مخطوطة برلين) نقلها دوزي وأوردها محقق المطبوع من الإلبيري .

[٣٦]

التخريج :

القطعة في شرح المقامات للشريشي ٣٠/٢ في أثناء شرح المقامة الكرجية ، عند استطراد الشارح إلى حديث الغنى والفقر .

- وفي نفح الطيب ٣١٨/٤

[٣٧]

التخريج :

في نفح الطيب للمقري ٣١٧/٤

[٢٨]

التخريج :

في نفح الطيب ٢١٧/٤

وشرح المقامات ٣٣١/١

الرواية :

٢ : في شرح المقامات (يبقى لها) .

[٢٩]

في شرح مقامات الحريري للشريشي ١٨٠/١ وفي شرحه للمقامة السماوية .

فهرس الأعلام

(أ)

ابن الأبار : ٥ ، ١٠ ، ١٧

د . إحسان عباس : ٥

أحمد بن عباس : ٩ ، ١٢٨

إسماعيل بن النغيلة : ٧ ، ١٥

إلبيرة : ٥ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٤ ، ١٢١

أبو إسحاق الإلبيري : ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٣ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٣ ، ٧٢ ،

١١٣ ، ١٢٤ ، ١٢٨

ألفونسو السادس : ١٣

(بنو) أمية : ٨

إميلو غارثية غومز : ٥ ، ١٧ ، ١٨

(ب)

باديس بن حبوس : ٩ ، ١٥ ، ١٠٧

بلقين بن باديس : ١٧ ، ١٠٧

(أبو بكر] خاطبه الإلبيري بالقصيدة (١) [: ٢٣ ، ٢٥

أبو بكر بن الحاج : ١٢٤

بلانثيا (المستشرق) : ٥

(أبو الحجاج) البلوي : ٧٥

(ت)

تحيب (قبيلة) : ٨

(ج)

- حَذْرُهُ (نهر غرناطة) : ٩
ابن حزم : ٨ ، ١٣ ، ١٦ ، ١١١
حبوس بن ماكين : ١٤
الحجازي (صاحب المسهب) : ٧٢
حصن العقاب (رابطة العقاب) : ٧ ، ١٥ ، ٧٢ ، ٧٣
الحكم المستنصر : ٨
خلف بن هشام الأشبوني : ١٠
ابن خير الإشبيلي : ٥

(د)

- دَرْوُوقَة : ٨
دوما (دومة دمشق) : ٦
دمشق : ٦

(ز)

- زاوي بن زيري : ١٣ ، ١٤
ابن الزبير الغرناطي : ٥
ابن زيدون : ٨
(بنو) زيري : ٥

(س)

- السَّامري : ٩٧
سرقطة : ٨
ابن سلمان : ١١٩
ابن سعيد : ٥ ، ٦٨

(ش)

شأنجة : ١٢

ابن شهيد : ٨

(ص)

صنهاجة : ١٤ ، ١٠٧

(ص)

د . الطاهر أحمد مكي : ١٧

طليطلة : ١١ ، ١٣

(ع)

العامريون : ١١

أبو العباس : ١٤

ابن عبد البر القرطبي : ٥٧

عبد الرحمن بن محمد (شنجول) : ١٢

عبد الرحمن بن محمد (الناصر) : ٨

ابن العسال الطيطلي : ١٠ ، ١١

ابن عطية : ٥

عبد الله بن بلقين : ١٤

عبد الملك بن إدريس الجزيري : ٢١

عبد الملك بن محمد بن أبي عامر : ١١ ، ١٢

(ابن) عبد الملك المراكشي : ٧١

عبد الملك بن مروان : ٦٦

عبد الواحد بن عيسى الهمداني (ابن قبلان) : ١٠

علي بن توبة (أبو الحسن) : ٩ ، ١٤ ، ٩٥ ، ٩٨ ، ١٢٤ ، ١٢٨

عمر بن خلف الهمداني : ١٠

د . عمر فرّوخ : ٥

(القاضي) عياض : ٥

(غ)

غرناطة (وأغرناطة) : ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١٤ ، ١٨ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ١٠٨

(ق)

قلعة أيّوب : ٨

قنطرة الوادي : ٩

(ل)

لسان الدين بن الخطيب : ٥ ، ١٦ ، ٧٢ ، ٨٠

(م)

محمد بن أبي عامر (الحاجب المنصور) : ١١

محمد بن حسين البطليوسي : ١٠

محمد بن خميس اليابري : ١٠

محمد بن عبد الله بن أبي زمنين : ٨ ، ١٢١

المرية : ٩ ، ١٦

معاوية بن أبي سفيان : ٦٦

المعتصم بن صامح : ١٦

المقرّي : ٥

الموحدون : ١٨ ، ٧٣

(ن)

أبو نواس : ٣٨

(هـ)

هاشم بن أبي رجاء : ٦٩ ، ٨٠

هشام بن الحكم : ١١

(ي)

يحيى بن هذيل : ٣٨

يوسف بن إسماعيل بن النغيلة : ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٠٧ ، ١١١

يوسف بن هارون الرّماذي : ٣٨

(و)

الوادي آشي (صاحب البرنامج) : ٥

فهرس القوافي

(قافية الهمزة)

ماعناء الكبير بالحساء وهو مثل الحباب فوق الماء ٩٦

(قافية الباء)

أين الملوك وأين ماجعوا وما ذخروه من ذهب المتاع الزاهب ٣٢١
ألفت العقاب حذار العقاب وعفت الموارد خوف الذئاب ٧٢
تغازلي المنية من قريب وتلحظني ملاحظة الرقيب ٣٦
يضيع مفروض ويغفل واجب وإني علي أهل الزمان لعاتب ٨٥

(قافية التاء)

كأني بنفسي وهي في السكرات تعالج أن ترقى إلى اللهوات ٥٩
تفت فؤادك الأيام فتا وتنحت جمك الساعات نحتا ٢٤
قالوا ألا تستجد بيتاً تعجب من حسنه البيوت ٧٠

(قافية الحاء)

ألا خير بمنترح النواحي أطيح إليه منشور الجناح ٤٨

(قافية الدال)

تمر لداتي واحداً بعد واحد وأعلم أني بعدهم غير خالد ١١٨
فإن الردى غال أهل التقى فلم يبق إلا الظلوم العنيد ١٣٥

(قافية الراء)

ويل لأهل النار في النار ماذا يقاسون من النار ١٠١
عج بالمطي على الباب الغامر وارتفع على قبر تضمن ناظري ٩٠

(قافية الزاي)

لبرزت في ميدان كل بطالة وبرز غيري في التقى أي تبريز ٨٢

(قافية الفاء)

أأحور عن قصدي وقد برح الحفا ووقفت من عمري القصير على شفا ٥١
لا قوة لي ياربي فأنتصر ولا براءة من ذنبي فأعتذر ١٣٦

(قافية الكاف)

من ليس بالبائس ولا المتباكي لقبيح ما يأتي فليس بزكا ٤٠
أحماسة البيدا أطلت بكاك فبحسن صوتك ماالذي أبكاك ٣٨
ماعيدك الفخم إلا يوم يغفر لك لأن تجر به مستكبرا حللك ٨٠

(قافية اللام)

لو كنت في ديني من الأبطال ماكنت بالواني ولا البطال ٤٤
ماأميل النفس إلى الباطل وأهون الدنيا على العاقل ٦٦
بصرت بشيعة وخطت نصلي فقلت له تأهب للرجل ١٠٥
السوط أبلغ من قال ومن قيل ومن نباح سفيه بالأباطيل ١٢٥
وذي غنى أوهمته همته أن الغنى عنه غير منفصل ١٣٧
أتيتك راجياً ياذا الجلال ففرج ماترى من سوء حالي ١٣٩

(قافية الميم)

أياقوس خراط يشير ولا يرمي وباسيف رعديد يرض ولا يدمي ١٢٣
رفعتم على قضاكم فخفضتم وحاولتم خزيأ له فخزيتم ١٢٢
أي خطيئاتي أبكي دما وهي كثير كنجوم السما ٨١
قد بلغت الستين ويحك فاعلم أن ما بعدها عليك تلوم ٥٧

(قافية النون)

ماتوج الملك إلا باين سلمان ولا يشد سواه أزر سلطان ١١٩

فأصخ إليّ يلح لك البرهان ٦٨	أنت المخاطب أيها الإنسان
عن الردى بات مطمئناً ١٤٢	كم آمن للمنتهين لاه
عند الملمات بأيدينا ١٢٩	أيها وزيراً لم يزل أخذاً
سبحان من لم يخل منه مكان ١٤٠	كل امرئ فيما يدين يمدان
تهيهوها من قديم الزمن ١١٣	إن أولي العلم بما في الفتن
بدور الندي وأسود العرين ١٠٧	ألا قل لهن حاجة أجمعين

(قافية الهاء)

فر من الله إلى الله ٧٥	يا أيها المغتر بالله
ونهى الجهول فما استفاق ولا انتهى ٥٣	الشيب نبيه ذا النهى فتنبهها
وقل أهلاً به وبزائريه ٨٣	ألا حيّ العقاب وقاطنيه